

أدب

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ يَقْنِي بِشُؤُونِ الْفِكْرِ

في هذا العدد

أبحاث

مصارعة الثيران في السياسة الدولية	عبدالله القصيمي
نقد أبحاث العدد الماضي	الدكتور ع. عبد الدائم
نقد قصص العدد الماضي	نازك الملائكة
رموز ترنيمة قديمة	محيي الدين محمد
أزمة البطل المعاصر	مطاع صفدي
العربي والحريّة	عبدالله يونس
دفاع عن محمد	غالي شكري
« مذكرات فتاة رصينة »	فريدة النقاش

شعر

ذلك المساء	فدوى طوقان
قصيدة وفنجان قهوة	عبد الباسط الصوفي
الحقد الاسود	علي الجندي
عام بلا مطر	علي كنعان
وتحت السماء عرب	محمد البوعناني
يهتز الشارع يا لوركا	جيلي عبد الرحمن
شارع حسن الاكبر	رشدي صادق
الى سواد عينين ثانية	خليل الخوري

قصص

اينما كان	الدكتور ع. المجيلي
اسمها المحبة	عادل ابو شنب
السمك في الحوض	علي بلور
الصنم الحي	عبد الرحمن البيك
ذكريات	محمد الزعبي
جندي في بيته	ارنست همنغواي

العدد الثاني عشر
ديسمبر (كانون الاول)

دار الآداب تقديم

وحدّی جمع اللّام

مجموعة شعر

للشاعرة العربية الكبيرة

فدوى طوقان

يصدر هذا الشهر

المعروفة من السبع الحالم

مجموعة شعر

للشاعرة المبدعة

سلمى الخضراء الجيوسي

يصدر هذا الشهر

وجدها

الطبعة الثانية

للشاعرة الكبيرة

فدوى طوقان

يصدر هذا الشهر

الحب في النفس

مجموعة قصص

للقصاص العربي

الدكتور عبد السلام العجيلي

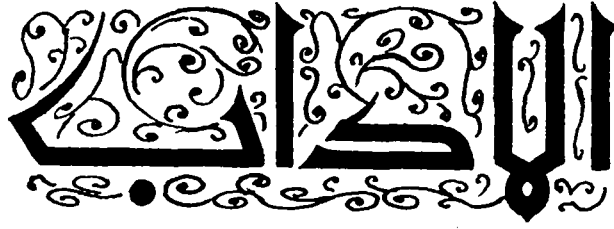
صدر هذا الشهر

العدد الثاني عشر
ديسمبر (كانون الاول)

السنة السابعة

7ème ANNEE

No. 12 Dec. 1959



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

DAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH, LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدبر المسؤول
الدكتور سويل إدريس

Rédacteur en chef et
directeur

SOUHEIL IDRIS

معارضة السران في السياسة الدولية !

بقلم عبد الله القصيبي

لاي شعب افزع من هذا ...

وفي كثير من المجتمعات لا يوجد رأي جماهير ولا رأي مفكرين . وانما يوجد رأي واحد وشهوة واحدة . وجهاز يتحرك فيتحرك كل شيء باسلوب التتابع الالي !! . وانا لا استطيع ان احتقر كتابا او مفكرا اكثر من احتقاري لذلك الكاتب او المفكر الذي يذم ويمدح ويؤمن ويكفر ويؤيد ويناقض ويغير مواقفه من الاشياء لان السماء او شهب السماء ورجوها ارادت ذلك او فعلته ... واني بصدق وعمق لاهنى هؤلاء الكتاب والمفكرين على صفاقهم وقدرتهم على التحرر من قيود الاحترام للذات ! ...

ودعارة الرأي والضمير والقلم والمذهب والعقيدة شر انواع الدعارات . وهؤلاء الذين يفسقون بعقائد الناس ومذاهبهم وافكارهم واقلامهم هم افسق الفاسقين !! . والناس يعدون الحاكم الذي يفتصب اعراض النساء فاجرا يستحق المقاومة واللعنة . ولكنهم لا يرون هذا الرأي في الحكام والزعماء والدعاة الروحانيين الذين يفتصبون شرف الكلمة ويزنون بالعقول والعقائد والاخلاق !! وما ابشع ان يتفق رأي الناس في الاشياء ، يؤمنون جميعا ويفكرون جميعا ويؤيدون او يعارضون بلا خلاف - يتحركون بالجملة كأنهم حزم الحطب !! .

اذا اختلف حاكم او زعيم او نبي او كاهن مع اخرين امثالهم من الحكام والزعماء والانبياء والكهان والشيوخ لم يوجد من يفكرون ويرون ويحكمون في هذا الخلاف ... وانما يوجد اتباع لهذا واتباع لذلك ، لا يفهمون ولا يناقشون بل يمتثلون ويؤمنون ويهتفون .. واكثرهم اتباعا وه يؤيدون هم اقواهم واوسعهم نفوذا ورشوة ودعاية وتضليلا ...

كم نصاب بالذهول والحسرة حينما نجد شعبا باسره يتحول في غمضة عين الى جهاز دعاية ... كل شيء فيه : الصحافة والاذاعة والكتاب والملقون والمفكرون - ان وجدوا - يتحولون كلهم طفرة مثل صدى ذليل يكررون وينشدون بنفس واحد . واسلوب كاسلوب الصلاة رايها معينا او حكما معينا او مذهبا او سبابا معينا او المطالبة بالسير في طريق معين لان حاكمهم او زعيمهم او قائدهم الروحي قال ذلك او رآه او اتخذه اسلوبا من اساليب دعائته ضد قوم او حكام اخرين او ضد شيطان او شبح اخترعه لغرض سياسي او لعداوة شخصية او لعقدة نفسية او لحقد او حيلة وطمعا ومكرا ..

... والشياطين والاعداء والخصومات والحروب التي اغرقت الانسان في كل تاريخه بالالام والمخاوف والعداوات انما نبعت من نفوس الزعماء والحكام والعلمين وحيلهم لا من مصلحة الانسان او مصلحة الحياة !! .

ومن الفظاعة ان يعادى شعب شعبا او حاكما او زعيما او مذهبا ويحول عداؤه هذا الى عقيدة وتاريخ وشعار لان حاكما او زعيما او قائدا روحيا اراد هذا العداوة وفرضه على شعبه واتباعه .

ومن الفظاعة المضاعفة ان يغير ذلك الزعيم او الحاكم رايه في اعدائه او معاملته لهم فيراهم اصدقاء وطيبين بعد ان كان يراهم خصوما اشرارا خائنين او ينتقل بهم من الصداقة الى العداوة ومن فاعلي فضيلة الى فاعلي رذيلة فيصبح اتباعه والخاضعون لحكمه او لتعاليمه ملزمين بهذا التنقل من النقيض الى النقيض !! .

.. ولا يخطر على البال هوان او استعباد او تحقير

الادب الثوري

يحرره كبار الأدباء والمفكرين العرب

انتظره في الشهر القادم

ولهذا لانجد رأيا ولا فكرا ولا حرية أو انصافا حين يشجر خلاف أو يقع صدام بين هؤلاء وهؤلاء ولكن كفرا غبيا أو ايمانا غبيا .. واقتناعهم بهذا أو هذا ليس باقتناع ولكنه اتباع .. والمؤيد غبي جاهل وكذلك المعارض ..! ولن يجد البشر في كل ما يجدون ماهو منكر وسخيف وعبودية مثل ان يجدوا ان الشعوب تتعامل : تتصادى وتتحارب وتتلاقى وتختار مذاهبها والتهتها وافكارها واخلاقها واصدقاءها واعداها من خلال احقاد الحكام والزعماء والدعاة الروحانيين وخلال اهوائهم ومخاوفهم وتوتراتهم وخصائصهم النفسية والعقلية ..! ولست اعتقد انه يوجد تشويه للانسان اخبث من هذا التشويه !

..... والعجيب جدا ان البشر لم يفتنوا حتى اليوم الى ان قادتهم هؤلاء هم الذين يصنعون خصوماتهم واحقادهم الكبرى التي تنتهي بالحرب أو بالاستعداد الدائم للحرب ، وانهم هم الذين يقيمون الحدود والحواجز الفاصلة بينهم بالاسلاك الشائكة والمكهربة ..! واختلافات السادة والارباب وتنافسهم وتناقض اهوائهم ورغباتهم وما فيها من انحرافات لاتسد حساباتها. والاسفاه من دماء هؤلاء السادة والارباب ..!

ومصارعة الثيران لاتصيب الثيران وحدها ..! ويظهر انها ليست هي اسبانيا وحدها المتخصصة او المختصة بفنها المتوحش الذي عرفت به ..! واذا كان الحكام والقادة والاقوياء يصرون على ان يتقاتلوا ويتصارعوا ويفعلوا الجنون فعلى البشر ان يعرفوا كيف يجعلونهم يصنعون ذلك بصفتهم الشخصية ويمنعونهم من ان يؤدوا العابهم الخطرة فوق رؤوس الشعوب او بعضلات الشعوب ..!

يجب عليهم ان يتبارزوا بالسيوف مبارزة فردية كما كان القدماء يفعلون ..! وهذا اقرب الى العدل والشجاعة واخلاق الفروسية ..!



والمشكلة ان لكل انسان عام شخصية خاصة يحيا داخلها حينما يجب ان يكون انسانا عاما يحيا خارج ذاته . واطغر الاشياء ان يكون للانسان العام شخصية فردية - اي ان يحيا ويفكر ويتألم ويتلذذ من داخل ذاته ..

ان معنى هذا ان تخضع الاعمال العامة والمجتمعات لخصائص شخص واحد ولا لاهم وظروفه واخطائه - اي ان تتحرك الدنيا كلها وتساق بالام فرد او بمخاوفه او بطموحه او بجنونه او بأي شيء من اخلاقه وتفسيراته النفسية او العقلية للمواقف العامة الكبرى ..!

.... انه لا يوجد من يتصور ان جيلا كبيرا قد يمر من سم الابرة .. ولكن الناس لم يزالوا يشاهدون ملايين الناس يمرون من خلال غلطة رجل واحد أو شهوته أو كبريائه أو من خلال تعاليمه المنحرفة - يمرون سراعا الى الموت او الى العبودية الدائمة - عبودية العقل والعقيدة والمذهب او عبودية العذاب ..!

وقد حاول الانسان في تاريخه الطويل ان يتحاشى هذا المازق ، فراح يفترض كائنات مركبة تركيبا عجيبا لتقود حياته وتشرف على العدالة والمنطق في هذا الكون بدون التزام لاحد الافتراضين .. وكان ان افترض آلهة غريبة التكوين فيها بعض صفات البشر وليس فيها صفاتهم الاخرى لكي تكون هذه الآلهة قادرة وفاعلة ولكن بلا خضوع للصفات الاخرى التي تجعلها محكومة بها كما تحكم الزعيم او الحاكم او القائد شخصيته الخاصة ، فيكون في ذاته العامة محكوما بذاته الخاصة ..!

... وقد تناقض الانسان في تصويره للاله : لقد تصور انه لا بد ان يكون كاملا ، ثم تصور انه بدون النقائص والاغراض الذاتية لا يمكن ان يفعل شيئا او ان يدبر ملكه او يرغب في تدبيره . فحواجز الفضيلة والقوة هي حواجز الرذيلة والضعف ..!

ثم تناقض مرة اخرى فذهب ينزه هذه الرذائل ويحولها الى فضائل لانها رذائل آله :

فصورة آلاله اذن في ذهن الانسان انه كائن له رذائل البشر فضائل الآلهة - او له رذائل البشر دون فضائلهم .. لم يستطع ان يتصور هذه الفضائل الا في اطار هذه الرذائل !

لقد كانت دائما الصورة المثالية التي ابتكرها البشر لمن يقودون الجماعات او يحكمونها او يعلمونها صورة منزهة عن ذاتها ..

... فالذات خطر على الفضيلة وعلى القانون والعقل ولكن لا فضيلة ولا قانون ولا عقل بغير الذات ... المعلم او القائد الذي يخضع لذاته كيف يمكن ان يكون منزها او عادلا او عاقلا دائما ؟ ..!

... ولكن من حسن الحظ ان المعلمين والقادة والحكام والزعماء الذين يحكمون المجتمعات هم محكومون ايضا بتلك المجتمعات على نحو ما حكما غير مباشر .. ولولا ذلك لكان الخطب اكبر ..!

وكلما ضعف هؤلاء السادة ضعفت الاحتمالات التي تجعل الشعوب تتصافح بالسيوف ويزحف بعضها على بعض تحت رايات تقودها حشود متلاحقة من الحمقى والمجانين والمرضى والمنحرفين والطامحين والقامريين بالبشر ..!



انه لولا الحكام والزعماء والمعلمون الخالدون لهبطت الخصومات بين الشعوب الى اكثر من تسعين في المائة ..!

عبدالله علي القصيمي



قراءة العدد الماضي

الأبحاث

بقلم الدكتور عبدالله عبد الدائم

الناقد العربي والمسؤولية اللغوية بقلم نازك الملائكة :

دفاع عن العربية بقلم الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة . وحسب نازك الملائكة ان تكتب ، ان تكتب اي شيء ، لتكون كتابتها دفاعا عن عبقرية اللغة العربية . حسبها ان ترسل الكلم معبرة دقيقة لا فضول فيها ، وان تنوع العبارات متاخذة شفاقة عن تمام الفكرة الثابتة وراعا ، ان هي ارادت ان تثبت للمتشككين قدرة العربية ، ضمن اطرها الاصيلية المعروفة ، على تشفيق المعاني من الالفاظ ، دون تحطيم الالفاظ ، وعلى تفتيق المضمون من الشكل ، دون تمزيق الشكل .

وهل اولى من الموهبة الكبيرة للتفليل على ان اللغة العربية لاتشكو عجزا فيها ، وانما تشكو عجز جاهليها ، وان انصار الخروج على قواعدها حين يعجزون عن الابداع يتخذون هذا الخروج مبدءا يخفون به عجزهم وينصبون ضعفهم مثلا اعلى ؟

والحق مهما يكن الصراع قائما بين اللغة والفكر في أي لغة من اللغات ومهما تكن الالفاظ مقصرة عن المعاني مجمدة لها في كثير من الاحيان ضمن اشكال مالوفة وتعبيرات مجدية معروفة ، يظل من الصحيح دوما وابدأ ان العبقرية تصهر الالفاظ صهرا جديدا وتحملها حرارة جديدة وتجعلها طوع معانيها ومشاعرها . وامارة الابداع الحق ماهو في ان يتصدى للغة منكسرا ، فلا يجد سبيلا سوى كسر قيودها الشكلية ، وانما هو في ان يتصدى لها تصديا ايجابيا خلافا فيكسر فيها ارنها وجموحها وابتذالها من داخلها وفي قلبها ، دون ان يكسر منها الشكل والاطار . ان الاطار ليصبح طوع ارادتك ان صهرته صهرا جديدا فاخرجت منه ، بعد اذابته في حرارة ابداعك ، ماشاء من وشي وما تحب من صور مبتكرة جديدة . وليس الشأن معه ان يظلم على امره فلا تجد مخرجا سوى ان تقتله وتقتل معنائه معه ، ان تحطمه فلا تبقي فيه بقية من تعبير وتقذف بالوليد مع الوالدة .

والحق ان موقف التخالف امام قيود اللغة ، موقف ينشأ عن سوء فهم للعقل الانساني . ان هذا العقل الذي اثبت قدرته على ادراك اكثر امور الكون تعقيدا والتغلب على اعوص مشكلاته ، يثبت دوما انسه يعرف ان يخلق من كل قيد مناسبة لنوع جديد من الابداع . ان من الضعف الذي ان لنا ان نكشفه ان نزع ان هنالك لغات عصية على الابداع العقلي ، وان هذا الابداع محطم بها مهيف الجناح بسببها . والصحيح هو ان العقل الانساني الجبار يعرف ان يخلق من طبيعة كل لغة ، بل من صعوباتها ، مجالا لابداع من نوع جديد يتناسب مع هذه الطبيعة وتلك الصعوبات . وكلنا يدرك كيف ان الصفات الخاصة التي

تتصف بها بعض اللغات الاوروبية ، يجعل من ادب هذه اللغات وفكر هذه اللغات شيئا ذا مذاق خاص وابداعا من طراز فذ .

ثم ، مالنا وللبرهان على هذه البهية ؟ اوليست اللغة اولا واخرا وليدة عبقرية الامة ومعبرة عن طراز نظرتها وفهمها للاشياء ؟ اوليس ضعفها دليلا على تردي هذه العبقرية وانحدارها ؟ ان الابداع اولا واخرا صراع بين الفكر وبين اللغة ، اللغة التي ابداعها والتي يريد ان يتجاوزها ، ويتجاوزها لها لا يكون الا بدعا منها ، من منطقها من اطرها . . واذا انقلبت الحركة الى فراق بين اللغة والفكر ، الى هجران احدهما للآخر ، لم تعد ثمة معركة ، ولم يعد ثمة مجال للابداع ، وكنا امام فرار من جوهر الجهد الانساني الخلاق .

ان الكاتبة الكبيرة قدمت خير وصف للزمة القائمة ، ازمة اهمال اللغة لدى بعض المحدثين ولدى كثير من الشعراء المحدثين ، حين جعلت من هذه الزمة ازمة حضارة وازمة امة ، وحين عدت هذه الظاهرة سمة لظاهرة اعم واشمل ترصد في نهاية الامر الى ضعف الثقة بالذات ، وإلى البحث عن الابداع خارج الذات . انها حقا ازمة لا يجوز اهمالها ولا يجوز ان نعددها مشكلة سطحية شكلية ، فهي في الواقع في القلب من مشكلتنا الكبرى ، مشكلة ايماننا ، كامة عربية مبدعة ، بقدرتنا على الابداع . انها مشكلة بحثنا عن انفسنا خارج انفسنا ، مشكلة الطفولة الفكرية التي تجعلنا نتخلى عن الاستقلال الفكري ، عن الحرية ، عن الاصلية . انها ازمة الغراب الذي « اضل مشيته واخطأ مشيا . »

ان كلمة نازك صرخة في حينها تدعو ادبانا الى مواجهة المشكلة الحقة ، بدلا من التلهي عنها والتعلل بغيرها . ليست المشكلة ان نحمل ادبنا آراء وافكارا نحاول ان نضعها فيها قسرا حبا منا في بضاعة مجلوبة . وليست المشكلة ان نجد فيه ادواء ليست ادواءه ومسائل ليست مسائله ، وانما هي ان نستمد منه ، ومنه فعلا ، مواطن ضعفه ووسائل تطويره . ان الانسانية لا تنتظر منا كائنا هيجنا ضل نسبه ، وانما تنتظر منا مولودنا ، مولودنا بقسماته وسماته ، بعد ان نحسن صياغتها وننقن وشيها . وان لغتنا العربية اية من ايات عبقرتنا وهي التي كانت دوما رمزا لبلاغة فلة وجاملة لتراث انساني خالد . ان فيها فلسفتنا ونظرتنا الى الكون وانحناءات وجودنا وتمرجات عبقرتنا ومظاهر انسانيتنا . افنمجب ان يقول عنها ماسينيون بعد ان تنوقها : « ان البعث الدولي للغة العربية عامل اساسي في اشاعة السلام بين الامم في المستقبل . وقد كانت هذه اللغة في نظر كثير من الفرنسيين المسيحيين - وانا منهم - وما تزال ، لغة الحرية العليا ووحى الحب والرغبة التي تطلب الى الله - من خلال الدموع - ان يكشف عن وجهه الكريم » ؟

ازمة البطل المعاصر بقلم مطاع صفدي :

يقتطف الكاتب في هذا المقال لوحة من كتاب يشير بصدوره قريباً ، كتاب « الثوري والعربي الثوري » . واللوحة عرض تحليلي عميق لتاريخ

القصص

بقلم نازك الملائكة

تعطيني القصص الثلاث المنشورة في العدد الماضي من «الاداب» فرصة لتشخيص صنفين من اصناف القصة العربية المعاصرة ، الصنف الذي يستمد ملامحه من بيئتنا العربية وتمثله قصة سميرة عزام ، والصنف الذي لا يتطلع الا الى نماذج القصة الاوربية حتى يكاد يصبح فنا هجيناً لا هو بالعربي ولا هو بالغربي ، ومنه القصتان الاخرتان اللتان تختلفان في خطوطهما العامة على الرغم من وحدة الموقف الذي تتخذانه بازاء الفكر الاوربي . ومع انني قد تحاشيت ان اتحدث عن « القصة » كمضمون عام ، الا ان تناولي للافاصيص الثلاث كان على اساس كونها نماذج غير مقصودة للملامح القصة العربية ومشاكلها .

- ١ -

« اطفال الآخرين » لسميرة عزام

موضوع هذه القصة تحليلي وقد استندت الكاتبة الى مشاهداتها النفسية والاجتماعية في تسليط الضوء على نفسية رجل طبيعي يجابهه الطبيب بانه لن يزرُق اطفالا . وكان التحليل موفقا وقد رفرت الكاتبة فيه عواطف غزيرة دافقة ، ومست الموضوع لمسات مرهقة لم تحررها واقعيته الصارمة من الطابع الشعري الجمالي . وتلك مزية عامة نلمسها في قصص سميرة فهي تصف الواقع وصفا عاريا لاتحاول ان تطفه بأي شيء ، غير ان ذلك لا يفوت عليها الفرصة لرقرة الجمال في صورها . وهي تثبت بذلك ان الشعرية مبدولة في كل ماحولنا من مظاهر الحياة . وانما ينبغي ان يملك الكاتب عينا تتنوق وعاطفة تتلقى .

وموضوع « اطفال الآخرين » وتفصيلها كلها عميقة الصلة بالمحيط العربي المحلي . وتلك ايضا مزية نذكرها لقصص سميرة ، ولعلها مزية كل قصاص حقيقي . انها تنظر حولها وتلتقط الموضوع . ولا اذكر انها قد استمدت قط موضوعا من وحي القصص الاوربية ، او حتى من مجرد خاطرة نظرية عابرة تمر بذهنها دون ان يتاح لها ان تعانها . ان حكاية « اطفال الآخرين » تجري في حياتنا كل يوم ، ولئن كان مثل ذلك لا يكفي لخلق قصة ناجحة فانه ولا ريب احد عناصر النجاح . ذلك ان الموضوعات المحلية موضوعات تعاش وتمتلك حيوية الحياة ، والكاتب يحسن التعبير عنها لانه عاناها وهو يرقب قريبا او جارا او حتى وهو يسمع حكاية في سهرة ما . وما من شيء كالحياة يفني القصص الناجحة .

ومن هذا الموضوع صنعت الكاتبة هيكل قصصيا مكتملا له بدايته ونهايته ، ومن الحق ان نلاحظ انه هيكل متماسك ليس فيه ثغرات ولا حشو . تبدأ القصة بالرجل الحساس لطيب وهو يفادر عيادة الطبيب وقد ضاق الوجود في عينيه ، وتنتهي به وهو يخرج من سلبية الياس ويقرر ان يثق بالوجود ويقاوم صوت الظلام في كيانه ، وذلك موقف طبيعي مستمد من الواقع الانساني ، فالحياة ترفض ان تستسلم والانسان يصارع ويرفع راسه محاولا ان يصير الظلام نورا باهرا وحرارة متفجرة . وذلك هو المعنى العام وراء سلوك بطل القصة . وخلال ذلك تقدم لنا الكاتبة عرضا مركزا لمشاعر الرجل وآماله وجراحه وخبرته، وتنجح في رفع الازمة الى ذروتها حين يجلس الرجل مهدما محزونا وتصر

القصة في العالم الغربي . فيه نلفي مخاض الرواية الحديثة ، وما تقلبت عليه من منعرجات المنازع قبل ان تنتهي الى الرواية الوجودية الحديثة ، التي يمثلها « سارتر » ويمثل بعض وجوها « كامو » . بل ان هذا العرض التاريخي نفسه لا يشير الى قصة القصة وتاريخ الرواية الا من خلال ما انتهت اليه على يد الرواية الوجودية الحديثة حتى لنستطيع ان نعهده نبشا لبذور الرواية الوجودية في تاريخ الرواية .

انه ضرب من التحليل التراجعي ان صح التعبير ، فيه تلبس الاشياء الماضية معاني جديدة لم تكن لها ، اتخذتها بعد تكون الاشياء الجديدة . هكذا ينطلق الكاتب في تحليل معنى الاسطورة على ضوء نظرة الفلسفة الحديثة ، فيبين كيف تتمثل البطولة فيها في « الخارق » ، وكيف يلقي المرء عن طريقها حريته بفضل تحرر سحري من قدر الطبيعة . ثم ينتقل الى القصة ، فيبين انها بنت العصر الحديث ، عصر التنازم والقلق وفي حديثه هذا عن القصة يعرض لاهم مراحلها عرضا ديكالتيكيا عميقا، فيروي لنا ماكان من واقعية « بلزاك » و « توماس هاردي » وما اتسمت به واقعية « دوستوفسكي » من غنائية سوداوية لاتعرف من المأساة الا مظهرها الخارجي . ويعرج في رحلته هذه عبر تفتق القصة الحديثة - التتمة على الصفحة ٦٧ -

دارالمحارف بلبنان

بنابة المسبلي ساحة رياض الصلح ص.ب. ٢٦٧٦

تقديم

القصة البوليسية المخيفة التي تقع حوادثها في مخزن لتجميل وجوه الاموات بعد موتهم...

بداية منفتحة البوليس

المشروع ليعرضها

معية تملكها باصا

بريصة خاصة لا تترك خلفها اثر...

الجثث

تأليف
كارتر براون



ثمن النسخة
١٥٠ ل.س.
أوما يعادلها

الادب الثوري اقوى اعداد الاداب الممتازة

يصدر في اواخر الشهر القادم

زوجته - التي تسلك ببراءة - على ان تنكح جراحه بالتطلع الى اطفال
الاخرين ذوي الرؤوس الشقراء والسوداء .

واذا كان لنا انتقاد نوجهه الى هيكل القصة فهو ان الخاتمة كانت
اضعف من ان تكفي لانهاء القصة واكمال هيكلها . ذلك ان سميرة قد
صرفت مجهودا في بسط ظروف الرجل النفسية وما سببه له الموضوع
من الم وحيرة وقد نجحت بذلك في خلق مشكل استشارت به عواطف
القاريء والهبت تطلعه الى حله . ومن ثم فعندما جاء هذا الحل
على صورة خاطرة عابرة سريعة نبضت بالامل في نفس الرجل ، كان
ذلك غير كاف لاشعارنا بان ازمنا التي استشارتها سميرة قد انفجرت
ومما يضيف الى ذلك ان العجز المكاني الذي شغله عرض المشكل
كان كبيرا جدا بينما لم يستغرق الحل الا اسطرا ، وذلك يشعر بعدم
التناسب بين الازمة وحلها ويترك في نفس القاريء عطشا لم يرتو . وقد
يكون مهما عند هذه النقطة من تعليقنا ان نؤكد اننا لا نصر على ان
يكون الحل متفائلا ، فالحياة احيانا قاسية . وانما نطلب الحل
الدراماتيكي الملائم وذلك لا يكتمل الا بان تتوازن القوى الفعالة في
القصة فتجئ الخاتمة كقوة لازمة بحيث تحلها وتقنعنا بان القصة قد
انتهت سواء على هذا الوجه او ذاك . والحق ان القصة كانت تحتاج
الى خاتمة اخرى اقوى ، مثل ان تعلم الزوجة بما حكم به الطبيب فتظهر
لزوجها من الحب والتفهم والتقدير ما يسنده في ازمته وينتشله من
المه ، واذا ذلك تجيء نافذة الامل والحياة اكبر وكثر ضياء . ذلك ان
الرجل في قصة سميرة يصارع همه وحيدا ، والقاريء يشعر ان زوجته
لا تشاركه ما يعانيه . وذلك موحش بحيث يسدل ستارا على كل امل
وبذلك تبقى الازمة غير محلولة .

اما التحليل النفسي فهو العنصر البارز في هذه القصة الجميلة ، وقد
نجحت الكاتبة في ان تصنع لوحة اجتماعية محلية مكتملة . وكان
الزوج المصدوم هو واسطة التصوير ، فهو صاحب النظرة ومن خلال
مشاعره وجراحه راينا مشاهد الحياة الاجتماعية التي نعرفها حولنا .
ولم تحاول الكاتبة ان تصفي زينة او تجميل على هذا المجتمع ونما رسمته
كما هو . ولعله ليس من المقبول ان نلوم سميرة على انها منحت بطلها
حساسية مبالغا فيها وانها جعلت المه موضوع كرامة وكبرياء ، فان نماذج
هذا لانسان موجودة في مجتمعنا الذي الف الكبت والكتمان وعدم
الصراحة .

وقد نجحت سميرة عزام في تمييز شخصيات القصة وتلوينها ..
الزوجة مولعة بالاطفال وفيها خصلة حماسة غير عادية بحيث تتدخل من
شرفة منزلها سائلة المعلمة في مدرسة الاطفال ان تصفح عن طفل مشاغب
فلا تحرمه من اللعب ، وبحيث تعرف اسماء الاطفال واحدا واحدا .
تلك هي الخصلة الحلوة فيها ، ولعلها معارضة لشيء من البرودة نلاحظها
عليها ازاء زوجها ، فهي لا تلاحظ انه مهموم هما شديدا ذلك اليوم ، كما
انها لم تكن حساسة في ملاحظتها : « قل لامك انني قصدت الطبيب ..
وان نتيجة الفحص اكدت صلاحيتي للامومة . »

والزوج طيب وحساس ومتشائم ، وشخصيته اكثر تناسقا من شخصية
الزوجة . وهو على العموم انسان مستوحش لا يحس بالاستقرار حتى

مع اقرب الناس اليه وربما كان ذلك بسبب غزارة غير عادية في عواطفه
وحب عظيم للحياة ، والواقع ان زوجته اقل حساسية منه وان كان ذلك لا يبره
بشكل خاص . على ان الاثنين يتصفان بشيء من العنف ينشأ عن مبالغة
في الكبرياء .

وقد نجحت سميرة في تصوير الشخصيات الجانبية ، واغتنت القصة
بخلفية غنية من حركات الاطفال وحكاياتهم . سمير يتمرد على المعلمة
ويستأثر بالدراجة ، وخالد يصر على ان يجعل القطة تجلس في الارجوحة
ليهزها حتى اذا قفزت هاربة اعادها بالقوة ، ومها تبعد في الرقص ،
والنافذة تاتي دائما بمنظر الوجوه الصغيرة ، ويكون اخر ما نراه منها
صورة الايدي البضة ترتفع لتحيي الرجل اليائس وتعيد اليه الامل في
الحياة والسعادة .

- ٢ -

« الالوان » لمي يتيم

لعلنا لا نخطئ لو صفنا قاعدة تجري هكذا : « كلما كان الاثر الادبي
اكمل بناء وواضح موضوعا كان اختيار عنوان له اسهل على الكاتب . »

- التتمة على الصفحة ٦٩ -

دار المعارف بلبنان

بنية المسلي صاحة رياض الصلح م. ب. ٤٦٧٦

أروع قصة لاشعر غانية في باريس

قصة الفتاة التي

استثمرت جمالها

وجسدها فلبست

بعقول الناس ...

وجعلتهم يتكلمون عائلاتهم لأجلها ...

الغانية ناني

تأليف

اسيل زولا

قصة الجراح الذي يربط

على جراح باريس

فلبس لهم واستولى

على اموالهم ...



من النسخة

٥٠ (٥٠)

أومايكادها



نقد الأبحاث

— تنمة المنشور على الصفحة ٤ —

ومخاضها العسير ، على الكاتب النفسي « بروس » الذي بدأ عنده المسئلة الكبرى التي ستكون قلب الرواية الوجودية الحديثة ، مشككاً « الضياع » وان يكن هذا الضياع عند « بروس » ضياعاً فنياً . وينقله حديثه عن « بروس » الى الصميم من سمات الادب المعاصر ، ادب القلق لا ادب الحنين ، الى انشودة الوحدة والعزلة ، الى ثلاثية الوحدة التي نظّمها « كافكا » الى البطل المعاصر ، بطل العصر وأسطورته ، أي بطل المدينة .

وبطل العصر بطل مفروض على كاتب الرواية مادام وليد أسطورة العصر وأزمه . انه بطل السقوط . ولقد نبذ هذا السقوط لدى كاتب كدوسوفسكي في صراع لبطل مع تناقضات المجتمع وقيمة الطبقة وكان هذا الشكل الاول للسقوط بداية المعاناة النصالية لبطل الرواية الحديثة ، ولكن في شكلها السلبي .

اما « بروس » فكان أيضاً ممثلاً لهذا الصراع مع نظام المجتمع ونظام الذات ، وكان ادبه استنفاداً لهذه المرحلة ، التي سنقفها مرحلة جديدة على يد « دوهايميل » حيث نجد الارهاص الواضح باتجاه العصر الحديث كله ، وولادة الموضوعة الاولى في موضوعات الرواية الوجودية ، موضوعية الفشل والعدم واللامعقولية . ومثل ذلك او اكثر منه يصدق على « جول رومان » حيث نجد بياشير فكرة « الضياع » وان كانت هذه البياشير مازال مبهمه ضائعة بعض الشيء . اما الروائي الذي رسم تجربة لضياع والسقوط رسماً واضحاً لأول مرة فهو « مالرو » زعيم جيل « الملعونين » والرائد الاول لفكرة العزلة والوحدة والضياع ، وان تكن عزله ادانية للوجود دون تحديد اي مهمة جزئية محددة ضده .

وقبل ان ينتقل الكاتب الى الصورة المثلى للرواية الوجودية الحديثة على يد سارتر وكامو ، يهرج على الرواية الاميركية ويعقد مقارنة بين الكتاب الأوروبيين الذين يختارون ابطلهم عادة من المثقفين او الارسطراطيين او المنحرفين عفاً وبين الكتاب الاميركيين الذين يختارون هؤلاء ابطل من النماذج الوحشية المبينة للمدينة . ويحدثنا على هذا النحو عن « فولكنر » خاصة وعن بطله الاميركي « البطل الابله » ، هذا البطل الذي تتحدد معالمه بوضوح اكبر على يد « شتاينبك » . وينتهي المطاف بالكاتب الى الحديث عن الرواية الوجودية في كامل صورها على يد « سارتر » فيصف لنا بطله « بطل الفجر » والفشان والقلق . يحدثنا عن العرية كشافة التي يلجأ اليها ، في « الفشان » وفي « طرق الحرية » ، عن البطل السذي هو وجود خالص لا يبرر له . ويبين كيف بدأ من هذه النقطة تلميذه العاق « كامو » الذي جعل من فكرة العزلة نفسم الوجود .

والعرض كله كما قلت تحليل عن طريق نظرة خلفية ، لمولد الرواية الوجودية الحديثة ولينور هذه الرواية في تاريخ الفكر الغربي . بل انه في جملته سستند الى فكرة اساسية وهي ان الفضة والرواية كانت اسرع الى اكتشاف الفلسفة الوجودية من الفلسفة ، ثم سارت معها بعد ذلك جنباً الى جنب .

والذي يلفت النظر في المقال كله أسلوبه الذي يجار بصلة القربى

بينه وبين أسلوب الكتاب الوجوديين الفرنسيين . بل هو في ايماءاته المكثفة العميقة واساربه الخاطفة لجربة ثقافية طويلة ، أقرب الى نمط المعالجة الغربية منه الى أسلوب البحث العربي .

وان يكن لنا على اجمال من مآخذ ، فانسارات هيئات الى بعض الالفاظ . انه في جملة نجاح كبير في التعبير تعبيراً عربياً واضحاً عن مصطلحات غربية فيها الدقة ولها مدلولاتها الفنية الخاصة . وهو بهذا يفصح عن هضم بيتن لمستوى من التفكير الغربي العميق .

سوى ان بعض الالفاظ العربية مازال فيه غير مستقرة ، وتكفي بان نذكر منها ما يؤدي الى اخطار في المعاني . وأبرزها ترجمته لكلمة Roman - fleuve بالرواية المتناعبة . في حين ان هذه الكلمة تحمل مدلولاً خاصاً ، يسىء اليه ان نرده الى مجرد التتابع . انها كما نعلم الرواية التي بحرص على خلق عالم مقلق ، يسببه النهر في غزارة مجراه وانتظامه . وهي بالنالي لاخضع للعقدة والحل كما يخضع الرواية العادية ، بل تنتهي فيها الامور نهاية ، فل عنفا واكثر خضوعاً للمنطق المجرد . وفيها يفقد الأشخاص أهميتهم ، الا اذا نظرنا اليهم كرواة وشهود لطور يتجاوزهم .

كذلك لاندرى لماذا يورد الكاتب اسم الرواية الثالثة من روايات طرق الحربة لسارتر باسم « سوربيس » في حين ان هذه الكلمة تعني « التأجيل »! حضارنا ثورة فكرية بفلم عادل الهاتسمي الكلمة دفاع حار مؤمن عن التراث العربي وشانه ، بوجهه الكاتب خاصة الى اولئك الذين هاموا بحياة الغرب فانساهم ذلك حضارتهم وتكروا لماضيهم .

والمقال في جملة خلاصه سريعة خاطفه يقدفها صاحبها في وجه اولئك

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بنسبر
ص . ب ٦٥٦ — تلفون ٢٧٦٨٣

اميل خوري وعادل اسماعيل	السياسة الدولية في الشرق العربي
ميخائيل نعميه	سبعون
فلسطين زريق	نحن والتاريخ
الدكتور فيليب حتي	تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
مارون عبود	الجزء الثاني
عمر ابو ريسه	نفقات عابر
اسكندر الرنايسي	مخاضات
مناف ابن عربي	حب الملوك والسلاطين
الدكتور حسن صعب	تحقيق صلاح الدين المنجد
شفاء السائل لتهذيب المسائل	المفهوم الحديث لرجل الدولة
كولن ولسون	لابن خلدون
جوزيف صانغ	تحقيق الاب اغناطيوس خليفه
امين نخيله	سقوط الحضارة
يوسف الحويك	سعيد عقل واشياء الجمال
	الحركة اللغوية في لبنان
	ذكراتي مع جبران

يقع في عدم التركيز واضطراب الخطة . لاسيما ان البحث الذي تناوله لايجزئ فيه ان يكون موضوعا لمقال وحيد ، ويحتمل دوما فضلا من التفصيل .

المتنبي والقومية العربية بقلم محمد خير الحلواني
في هذه الكلمة يحاول الكاتب ان يدحض ذلك الرأي السائد الذي ينسب الى المتنبي غيرة على العروبة وانتصارا لها . وينتهي الى القول بان مثل هذا المنزع خطأ شاع لدى الباحثين ، من أمثال الاستاذ شفيق جبري والاستاذ حنا فاخوري وعبد الوهاب عزام وأمين الريحاني وغيرهم، دون ان يكون في الواقع مؤيدا بحياة المتنبي أو شعره .

وصاحب المقال يجيد حين يبين ان السمة البارزة لدى المتنبي كانت طموحه الشخصي الذي كان يستبج كل شيء في سبيله . اما الابيات التي يفندھا والتي لا يرى فيها شواهد على انتصار المتنبي للعروبة كما يرى غيره ، فلا تخلو نظراته اليها من فكرة مبيتة . ولا نستطيع ان نقول انه بدأ فعلا من شعر المتنبي لينتهي الى رأيه ، والاوضح من هذا انه بدأ برأي مبيت وأراد على أساسه ان يفسر بعض أبيات المتنبي .

والحق ان الابيات الجزئية التي اوردها ولم يجد فيها ما وجده غيره من روح عربية ، ينبغي ان تفهم ضمن الجو العام لحياة المتنبي وشعره كاملا . ومن القسر لاكثرها ان نسلبها معنى الانتصار للعرب . ومن العسير ان ننكر على الابيات الشهيرة التي مطلعها « وانما الناس بالاولك » روحها العربية وان نوافق صاحب المقال على رده لها الى « هجاء يصدر عن حقد » . ومثل ذلك يصدق على البيت الشهير « ولكن الفتى العربي فيها » ، فسواء كان الفتى العربي المقصود هو المتنبي او الفتى العربي بوجه عام ، يظل من الصحيح ان فيها لوعة على افتقاد العروبة في معاني الشعب .

وفي اعتقادنا ان البحث في حاجة الى مزيد من التنقيب والتفري والنظرة الشاملة الى جملة ديوان المتنبي وحياته . والا فهل من اليسير ان نتجاهل الروح العربية المبثوثة هنا وهناك في ارجاء الديوان ، وفي ابیات كالتالية :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يمانى
جزت بني الحسن الحسنى فانهم في قومهم مثاهم في الفرعدانا
- ولو كانت دمشق ثنى عناني لبيق الثرد صيني الجفان
- وانما لمن قوم كان نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظام
ان في مثل هذه الابيات ، حين تتردد وتوتر ، ما يمنع شعر المتنبي عبقا عربيا به ينبغي ان نفسر ابياته المفردة .
ومهما يكن من امر فمن التجني بعد هذا كله ان نصف عصر المتنبي كله ، كما فعل الكاتب ، بالبعد عن الشعور بالقومية العربية . فيسيرة الاعاجم على الامصار كما نعلم كان من شأنها اذكاء الشعور العربي لا اطفائه . ولم يمنع سيف الدولة خضوعه لسلطان بني بويه من ان يكون ممثلا للروح العربية الثائرة .

يوسف كرم ومأساة الانسان الحديث بقلم غالي شكري
عقل كبير ذوى منذ حين ، وذباله مشرقة متوضعة انطفا سناها من عالم الفلسفة ، ذلك هو يوسف كرم الذي يحدثنا عنه صاحب هذه الكلمة في عمق وجلال . وليست الكلمة حديثا عن شيخ الفلسفة الحديثة الراحل فحسب ، وانما هي في الوقت نفسه فلسفة تتحدد خطوطها من خلال فلسفة الاستاذ . فالكاتب يصف لنا استاذہ ، باحثا علميا ، ونصيرا لاتخاذ الفلسفة تجربة تعاني وتحيا . ويحدثنا عن ابتعاده عن تأسيس

الجاحدين ، فيذكرهم ببعض جوانب التراث العربي المجيد ، وبالمكاسب العقلية والعلمية الكبرى التي قدمها للانسانية . وهكذا يعرج على ذكر اخوان الصفاء وما كان لهم من سبق في نظريات التطور وعلى ابن خلدون واضع علم الاجتماع قبل كونت . ويقف وقفة خاصة عند كتاب العربية الخالد ، القرآن ، مبينا بعمق الاسس الفكرية والانسانية التي وضعها ، وما كان له من شأن في توكيد النظر الكلي الشامل ولنظير الموضوعي والفكر المعلن والفكر المتأمل ، مبينا بعد هذا كله ما كان لفروسة القرآن المباركة من آثار في تفكير العرب من بعد ، وما خلقه لديهم من اعتماد للمنهج التجريبي الذي كان سببا في الدور الكبير الذي لعبوه في مجال العلوم من رياضيات وفلك وطب وغيرها .

والبحث كما قلنا خلاصة خاطفة ، فيها يحاول الكاتب ، حماسة منه لموضوعه ، ان يذكر قارئه بكل شيء في عجلة لاتتسع لكل شيء ، وهكذا

إقرأ

مختارات

لشعر العرب الكبير

عمر أبو ريش

فالشعر
والحب
والجمال ..
والوطنية الدافقة
بين دفتي هذا الديوان
المجدد ، الأنيق
الطبع والإخراج

التمن
ليكرات

منشورات : المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت
توزيع : الشركة العربية للتوزيع - بيروت

صاحبتا بفتاة بصفتها بالسطحية وبأنها « ليست فنانة » وبأنها « كالبيضاء » وهذه الفتاة تشعره بأهميته كاستاذ في فنه . واذ ذاك يعود الفنان الى غرفته وهو يشعر بأنه « لم يفشل » . فاين العقدة في هذا كله ؟ وماذا كان الحل ؟ لاريب في ان مي يتيم ارادت التعبير عن فكرة ما ، غير انها في الواقع لم تحسن خلق الاطار القصصي المثير الذي تصوغ فيه الفكرة ولذلك تبدو قصتها بلا فكرة ولا عقدة .

وقد كانت في التأليف - ماعدا ذلك - عيوب فرعية ابرزها ذلك الحوار ذو الطبيعة المقاتلة عن المنظور والالوان فالراء يشعر انه دخيل في القصة . ان الخروج بحكاية ما من سياق الاحداث الى سياق تقرير الحقائق العلمية والمناقشات التكنيكية امر قد يرد في القصص والمسرحيات الرصينة احيانا ، ولكنه ينبغي ان يكون دائما جزءا من الاحداث بحيث يلقي ضوءا على نفسية الاشخاص او يساعد على تقدم لحكاية والا عاد اشبه باستطراد علمي ليس له مكان في .

ومن عيوب قصة «الوان» ان الاحداث فيها كانت بلا غاية . قد يقال في الدفاع عن وجود حادث مافي قصة ان مثل ذلك يقع في الحياة . والجواب على ذلك ان القصة الفنية المؤثرة لانقص كل ما في الحياة وانما تختار وترتكز لكي تحدث تأثيرا حادا مباشرا . ان الحياة منشورة غير مبلورة ولا مركزة والقصة تعزل كل ماهو ضروري حاد التأثير وتضمه في اطار . وعلى هذا الاساس نتساءل : ماذا كانت قيمة الاحداث في قصة مي يتيم ؟ لقد داس حسن على قدم سيده في الشارع ، فما فائدة ذلك لهيكل القصة ؟ لقد رأى صحافيا ، فما جدوى ذلك للقصة ؟ وماذا لو انه لم يقابله ؟ وما دور الام ؟ لماذا لعنها حسن في اول القصة بقلعة وقسوة ثم احتضنها في اخرها ورفعه بين ذراعيه فجأة ؟ قد يكون الجواب على هذه الاسئلة ان الكاتبة مي يتيم ارادت ان تلقي ضوءا على نفسية حسن فجعلته يمر بهذه الاحداث . واعتراضنا على ذلك ان القصة القصيرة « وحتى الطويلة » لم تكن قط يوما ، ولن تكون ، وسيلة مباشرة للتحليل النفسي . وانما يأتي لتحليل عرضا فيها ويأتي نتيجة لتسلسل الاحداث . والواقع ان احدي الفطرات الشائعة في قصتنا العربية ان يكون هدفها المباشر هو التحليل النفسي . ذلك ان هذا مقابر للحياة

مدرسة فلسفية ايماننا منه بان طبيعة الدراسات الفلسفية « لاتدع من الباحثين فيها اساتذة ولا من طالبها تلامذة ولا من اتجاهاتها مدارس » . كما يلخص لنا منهج استاذنا واصفا اياه بأنه منهج العرض التاريخي غير انه بعد هذا الوصف لمنازع الاستاذ مايلت حتى يحاول ان يتجاوزه ، ان يتقدم نقدا باطنيا فيه المحبة والتعاطف والتبرير ، حين ينطلق من مفاهيم هذا الاستاذ المتصلة بالفلسفة اليونانية والفلسفة في العصر الوسيط والفلسفة الحديثة ، الى مفاهيمه هو ، وحين يضع في مقابل تفسيرات استاذنا التي تجنح في نهاية الامر الى العودة الى مذهب اليونان ومذهب ارسطو خاصة ، تفسيرات اخرى اكثر واقعية يحاول عن طريقها ان يبحث عن الظروف الموضوعية للمذاهب الفلسفية عبر التاريخ .

والكلمة في جملتها خير تمجيد للاستاذ الراحل لانها جديرة به في عمقها وروحها الفلسفية الواضحة الملمنة . انها من الكلمات القلائل التي نشعر من خلالها ان كاتبها يستنشق حقا جو الفلسفة التي يكتب فيها ، ويعيش هذا الجو حتى الاعصاب والعروق .

دمشق عبد الله عبد الدائم

نقد القصص

- تتمة المنشور على الصفحة ٥ -

وذلك لان الاثر الادبي الكامل يحمل في ثناياه عنوانا صريحا ينادي ، فلا يحوج الاديب الى البحث . وانما البحث الحق عن الموضوع والهيكل الذي يصاغ فيه ذلك الموضوع ، ولسوف يثبت العنوان بعد ذلك جاهزا ويقدم لنا نفسه . وعلى ذلك يمكن ان نحكم بان الاثار الادبية الهزيلة التي لا تملك هدفا فنيا واضحا هي وحدها التي يتعب المؤلف في اختيار عنوان لها . وفي هذه الحالة يمكن ان تقترح عناوين غير قليلة يعوض احدها عن الاخر لانها كلها غير واضحة فهي تصلح عنوانا لآثر غير واضح المعالم .

وانا اميل الى ان اصنف قصة مي يتيم في الصنف الثاني . ان عنوانها « ألوان .. » عنوان عام لا يصف شيئا ولا يعين شيئا ، وقد زاده التنكير ضبابية وضياعا ، فكان في ذلك جزء من اقصوصة لاتملك من مقومات الفن القصصي شيئا معينا . وللأسماء - كما يقول العرب - نصيب من مسمياتها .

ولعل اهم ماينقص هذه القصة هو وجود أزمة ، وقد نسيت الكاتبة - ويشفع لها انها ناشئة - ان الاصل في كل قصة ان تكون حكاية وان تقص علينا حادثا سرعان ما يصل الى مستوى الاشكال فيثير اهتمام القارئ واذ ذاك يأتي الحل نوعا من الفرج والاستقرار . وقصة « ألوان .. » خالية من هذا الاشكال خلوا تاما . أنها لاتملك ذروة متأزمة وانما هي « مسطحة » كليا من بدايتها الى اخرها حتى كادت تصبح نوعا من المذكرات تصف يوما عاديا من حياة رسام . حقا ان للقصة موضوعا واضحا هو حياة فنان في يوم ما من حياته ، ولكن هذا الموضوع لم يصغ في كيان فني من أي لون فلم تحدث الكاتبة عقدة للحادث وانما تركت الخرز مبشرة لايشدها خيط . حسن الفنان يخرج الى الشارع وهو يشعر انه فاشل في فنه ، وهناك يلتقي بصحفي يصفه هو نفسه بأنه « لسان ثور » ، وهذا الصحفي يحكم على حسن بأنه « فنان كبير » . ثم يلتقي

اطلب « الاداب »

في المملكة المغربية الشريفة

من وكيلها العام السيد احمد عيسى صاحب

مكتبة الوحدة العربية

١٧ شارع الملكة (الاحباس)

الدار البيضاء

الانسانية ، والقصة ليست الا ظلا امينا للحياة . ان المرء لا يعيش لكي يدرس نفسه او نفسيات الناس وانما يعيش لان الحياة تفرض عليه ان يحبها وان يتمسك بها . ونما تأتي الومضات النفسية عبر معيشتنا للحياة . والحق ان الحياة تصبح مضحكة وسخيفة لو اننا عشناها وفق قواعد علم النفس او اردنا بها ان تكشف تجربة نفسية او نحو ذلك .

ترانا نحب اصدقاءنا لاننا نحبهم ونحب صداقتهم ام لاننا مهتمون بدراسة سايكولوجيتهم ؟ كذلك ينبغي ان نترك ابطال قصصنا يعيشون بكل عواطفهم من اجل الحياة نفسها ، دون ان نجعلهم يمرون باحداث معينة تثبت لهم نفسية من صنف ما .

واذا درسنا قصة مي يتيم من ناحيتها الواقعية الاجتماعية وجدناها تستقي افكارها من منابع غير محلية (بعكس ما رأينا في قصة سميرة عزام) ويغلب على ظننا ان هنالك محاولة للتأثر بالشخصية التي اصبحت مقلدة كثيرا في الادب الاوروبي المعاصر : شخصية (روكنتان) بطل سارتر في (La Nausée) فهذا الفنان حسن يقاوم حبه لاهله ويتظاهر بتحجر العاطفة . ان محبة امه له « تثقل على نفسه » وهو يسمى حنان اخيه وتحذيراته المخلصة « مضايقات » - وبصنوع العلو الفكري فيسمي الفتاة التي يحبها « سطحية » ويصفها بانها مثل « البطة » وبذلك يجرد نفسه من الحب الذي هو اجمل مظاهر الانسانية في الانسان . ثم انه يقابل ملاحظات الصحفي بالبرودة ويصفه بانه « لسان ثرثار » ، ويمشي في الشارع بلا مبالاة فيدرس اقدام المارة ، ويتحدث عن كل ذلك وكأنه عمل بطولي . ثم هو يلعن ويسب ويتصرف تصرفا متوحشا . وكل ذلك لانه يريد ان يكون فنانا . او ان يقلد بطل البير كامو الذي قتل انسانا مجرد ان الشمس كانت حارة . والسؤال المثير هو : اين مثل هذه الشخصية في حياتنا العربية؟ ولماذا يجب ان نقاد اشخاص القصة

الاوربية في قصصنا ؟ اني لاحب ان اتصور مي يتيم فتاة عربية طبيعية فيا اصالة الفرد العربي العادي بما فيه من عاطفة وحنان طبيعي وحسب للمجتمع . ولذلك لا استطيع تماما ان افهم سر تحدثها بصمير المتكلم عن رجل بارد ميت الاحساس يريد ان يشتق منه من لعناته لامة الطيبة الحنون واخيه المخلص ومن سخريته من صديقة رقيقة تحترمه وتضع فيه ثقتها ، وبحسب انه اذا داس اقدام المارة ارتفع الى ذرى الفن . وبعد فلعل استعمال الصمير الغائب كان اقرب الى المعقول ما دامت الكاتبة تتحدث عن بطل رجل لا عن بطة فتاة . ذلك ان الصمير المتكلم انما يستعمل في الحالة التي يحتاج فيها المؤلف الى ان يذهب عميقا ويعيدا في تحليل مشاعر بطله ولقنات ذهنه وخلجات قلبه ، ومثل ذلك قد يبلغ من التفصيل بحيث يتضمن التفريق بين ادق مظاهر السلوك الاجتماعي والنفس بين الرجل والمرأة ، فهل حقا تستطيع فتاة ، اية فتاة ، ان تتكهن بما يحس به رجل في موقف ما ؟ سؤال مطروح ، على كل حال ، وقد يكون القطع بجوابه غير يسر .

ومهما يكن فنحن نحتاج الى قصة عربية تغمس القلم في بوادينا وخضرة نخيلنا وخشونة خيامنا ، وتصف الرجل العربي الذي يمضي في شوارع المدينة العربية ، تصفه بكل مشاكله وعواطفه وافكاره . اما ان نرسم ظلالا باهتة من اشخاص سارتر وكامو ونجعلهم يتكلمون بالعربية فان ذلك يفقدنا اصالة العروبة وخصوبة المنابع الموهوبة في قلوبنا . والخسارة جسيمة ، ففي الفد ينبغي ان ينبعث منا جيل من القصاصين الخلائين يفرضون الروح العربية الفنية على الادب العالي فرضا . ولن يأتي ذلك اليوم الا اذا كفنا عن النظر بازدراء الى ما في ايدينا من موهبة وخصوبة وتدقق . وما اصدق كلمة امرسن : « نحن نملك ما نحب وانما نحرم انفسنا بالاشتناء . »

الحرب العالمية الثانية

١٩٤٥-١٩٣٩

موسوعة تاريخية - صورة عن الحرب الماضية تنشر لأول مرة في

اللغة العربية وتصدر على اجزاء متتابعة بغلاف ملون

ثمان الجزء ٥٠ غرشا لبنانيا او ما يعادله
كتب فصولها :

- العسكريون الذين قادوا الجيوش
- السياسيون الذين دبروا الحرب
- الجنود الذين خاضوا المعارك
- الصحافيون الذين حضروا معاركها
- المؤلفون الذين درسوا مستنداتها

اشرف على اختيارها : الاستاذ عمر ابو النصر

اصدار : دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة توزيع : الشركة العربية للتوزيع - بيروت

« قرنفة للأسفل المتعب » لذكربا نامر

العنوان المهم لهذا الشيء الذي طلق عليه الكاتب اسم « قصة » هو « قرنفة للأسفل المتعب » وتفسره العبارة في القصة : « ربما ساقول لحظة اسمع تحطم عظام جمجمتي : خذي دمي يا مدينتي قرنفة فرمزية لصدرك المتعب » ومن الحق ان نلاحظ ان العنوان عابر ولا صلة له بالقصة وانما هو مقتبس من عبارة ما ليس لانها مرتبطة بعقدة القصة وانما مجرد ان فيها صورة شعرية . وقد كان من السهل ان تسمى القصة باي اسم اخر مقتبس من عبارات اخرى مثل « بحشا عن ربيع لا يرحل » او « بحارة بلا وجوه » او « المدينة التي لا تسافر اليها الشمس » فكل هذه الامور صور وردت في القصة ولست ارى في العنوان الحالي ما يميزه عنها من ناحية الصلة بالعقدة .

والواقع ان هذا « الشيء » ليس قصة وليس له من الكيان القصصي اي شيء . وانما هو مجموعة صور متعاقبة ملتقطة من زاوية فكرية معينة . ففي البداية نرى فتاة مجهولة لا اسم لها تضطجع على سريرها وتصفى الى اغنية تأتي من راديو الجيران وتفرق في حلم جنسي فظيع يتم عن شنوذ فيها . ثم يلاشى المنظر وينتقل الى مشهد جنازة في الشارع لا صلة لها بالفتاة . ثم يأتي مشهد ثالث : شابان يتحاوران حول الموت والحياة وتتعاقب بعد ذلك مشاهد سريعة جدا ، رجل يجتاز الشارع ، شاب يلمس ذراع فتاة ، عامل يأكل ، رجل يقتل رجلا تحرش باخته ، قابلة تنهب لتوليد امرأة ، مفهى فيه رجلان يلعبان الترد ثم مشهد جنسي اخر تختتم به القصة . والحق ان ذلك كله لا يكون قصة وانما هو اشبه شيء بتلك الكوابيس المطربة . لمتنافرة التي قد يراها المرء بعد عشاء ثقيل ، فينتقل الذهن من مشهد بلا معنى الى مشهد اخر بلا معنى ويكون الانتقال مفاجئا ولا تكون هناك روابط . والطابع الكابوسي ملموس احيانا في قصة ذكرربا نامر مثل قوله : « ما زل الحمار سيذا . فليسقط أبي . فلتنش امرأة جارنا . كلنا سنموت . » ويبدو ذلك في تناقض العبارات المتعاقبة التي ينطق بها الاشخاص فتترك وقعا غريبا في النفس ، فينبينا يقول الشاب :

- ما الفائدة من الوقوف تحت الشمس ؟ لنسر .

تفني الفتاة الصغيرة :

- ايمتى بدك تجي يا ماما .. تأخرتي يا ماما

وينبينا يقول الشاب المطعون :

- اوه ساموت ، لماذا تحرشت باخته ؟

ينادي الجرسون في المقهى :

- واحد قهوه

والمشاهد نفسها متناقضة تناقضا ملحوظا . ومن هذا كله يبدو انه لا يصح لنا ان نتحدث عن هذه القصة كبناء قصصي فليس لها كيان فني من اي نوع وانما هي تعاقب مشاهد يريد الكاتب ان يثير بها احساسا ما في نفس القاريء ، او يعطي انطباعا ما عن الحياة بمخطط رمزي . انها اذن ليست قصة وانما هي تخطيط اعتنى الكاتب فيه بالشكل غاية بالغة ، وعبر عن افكاره تعبيرا غائيا حتى كاد يجعل للفكرة مظهر الموسيقى السمفونية . والحق ان المقطوعة كلها تذكر باجواء طالما اثارها في نفسي الحركة الثالثة من السمفونية الرابعة لتشايكوفسكي حيث يحاول الفنان ان ينام فتنبعث في ذهنه مشاهد صوتية لها طبيعة الكابوس مثل منظر

رجل سكران يتنشر في طريق ضيق ، وصدى نشيد حزين ينفثه طفل الشوارع المشردون ، ومنظر فرقة من الجنود المشاة مزهوة بالبستة . وسدى يحاول الفنان ان يغفو الا بعد ان يستنفذ ذهنه هذه الصور ولاصوات . وانما تذكرني مقطوعة ذكرربا نامر بالموسيقى لان جوها كان منقوما الى درجة لا بد ان يكون الكاتب قد تعمدها ، فقد قام على الاصوات ورنين الكلمات فكان هناك صوت الراديو القادم من بين الجيران في افتتاحية القصة ، واجراس عذبة الايقاع تفرع عبر سهوب شديدة الحزن ، وضجيج القوارب ، وضربات المجاذيف الرتيبة ، واصوات الرجال السبعة الذين ارادوا اغتصاب الفتاة ، وتحطم عظام الجمجمة على الاسفلت ، وغناء البنت الصغيرة ، وصوت المؤذن ، وضجة المقهى ، وقفقة الترد وغير ذلك من الاصوات المسموعة . كما ان الكاتب تتمد ان يستعمل التنعيم في عباراته فكانت لغته موسقة مملوءة بالصور وكأنه يقصدها لذاتها كمعارف شعرية جميلة دون ان يعنى كثيرا بان تكون لها صلة بسياق القصة ، وهذه امثلة :

« صوتها مدينة خضراء تسافر اليها شمس ناعمة الضوء وسماء زرقاء وعصافير تبحث عن ربيع لا يرحل واصداء اجراس عذبة الايقاع تفرع عبر سهوب شديدة الحزن » .

« موسيقى شبيهة بطيور رمادية محمولة فوق حقل اصفر . »

« فرحا باهرا غريبا يحمل في جوفه حزنا قد يتفتح وردة الاسود في كل لحظة . »

« بحارة يملكون اجسادا ... مبللة بقطور ليست رضية ولا يملكون وجوها . »

« عيناها حممتان وديعتان تحطمت اجنحتها »

« ابتسمت حبيبتي بغبطة ثملة وكان شرايينها امتلات خورا . »

ما اجمل هذه الصور ، وما احفلها بالشعر ، ولكن ما علاقتها بالقصة وماذا تضيف الى هيكل الاحداث ؟ وهل يصح للقصص ان يفرق في اوصاف شعرية لا تنمي سياق موضوعه ولا تضيف اليه شيئا ؟ او ليس التركيز والاقتصاد خاصية ملازمة للقصة القصيرة بحيث ينبغي ان يستفيد الكاتب من كل كلمة يقولها في اضافة لمسة الى حياة شخصياته او الى تطور الاحداث ؟ قد يجيب الكاتب بان قصته رمزية وان الموسيقى تكون الجانب الرئيسي من كل رمز ناجح وجوابنا ان الرمزية في القصة ينبغي الا تكون هدفا واعيا للكاتب وانما عليه ان يقص الاحداث ويترك الرموز تتساقط عفوا بين يدي القاريء الواعي . فالحياة الحق لا تقصد الرمز ولا التلميح وانما نحن نعيش لاننا نحب ان نعيش ومن حياتنا الطبيعية هذه نثبت الرموز والصور غنية كثيفة . وليس من الصحيح ان نعيش عيشة رمزية ، وان نكتب قصصا رمزية لمجرد اننا رمزون . ان الحياة تأتي لولا ، ومنها تنبجس الرموز سواء اكان ذلك في القصص ام في في الحياة .

هذا كله من ناحية البناء والشكل العام للقصة . ثم تأتي لنظر في المضمون فماذا سنجد ؟ اننا بازاء عالم مظلم لا يشره ضوء ولا فرح وكان الحياة قد استحال فيرا كبيرا كالعا . فالرجال في القصة اناس شهوانيون بلا عواطف وذلك بسبب الامانة والعذاب للمرأة ، والشجرة التي كانت تحبها العصافير تستحيل الى تابوت ، والرجل الذي كان له بيت وغد واحلام يصبح لحما باردا اصفر محمولا في نعش ، وحفار القبور رجل بلا انسانية يخفي الخبث وموت الشعور ، والطبيعة - التي يمثلها الغراب - تقف جامدة غير مبالية بهوم الانسان ، ولشبشب

متشائمون يتحدثون عن الموت والجحيم وفراغ الدنيا وعيب الحياة ، والله .. حتى الله الذي يتصف بالرحمة يتحول في القصة الى ابداء وكرامية وبرودة . وفي الدرب قاتل .. والحبيبة الطيبة التي هي منبع العذوبة والجمال تتحول الى موسى . ذلك هو الجو العام لقصة زكريا تامر التي تصور مدينة تعب فيها حتى الاسفلت كما يلوح من العنوان . قصة لا شيء فيها غير الرعب والعذاب والشر والجريمة . ما من نبضة طيبة تخفق ، ما من ابتسامة ، ما من خفقة حب ، فمن اين جاءنا زكريا تامر بكل هذا ؟ واين مثل ذلك في حياتنا العربية ؟

الواقع اننا في هذه الدنيا العربية ما زلنا اناسا غزيري العاطفة نحب الحياة ونتطلع اليها متفائلين ، والرجل العربي العادي يؤمن بالعاطفة وبان الله كريم رحيم مملوء بالوادة ، وبان الطبيعة تتعاطف مع الانسان حتى لتبكي احيانا بدموع المطر وانين الرياح على جنازة عزيز . والرجل الذي تتحول حبيبته الى موسى لا يمكن ان يبكيها في مقهى وانما يقلب ان يقتلها قتلة شتيعة .. ثم اننا - وتلك نقطة اساسية - لا نشعر قط في هذا الشرق العربي بان المدينة شريرة او قدرة او انها تكرهنا . ذلك اننا ما زلنا شعبا يمني ، وما زالت مدننا العربية صبايا يافعة تفتح اعينها المبهورة على فجر جديد لا عهد لها به . انها مدن جديدة لم تبلغ مرحلة الشباب بعد ونحن ما زلنا نبنيناها بأيدينا المتحرقة للنشاط والحياة بعد خمود قرون . وانما نجد صورة المدينة المعجوز المريضة في شعر بعض شبانا وقصصهم لان هؤلاء يستقون من اداب اوربا المعجوز حيث المدن قد شاخت واصبحت بؤرا للجريمة والمرض والظلام والفشيان ، وحيث الادب المعاصر نفسه لا يعكس غير ذلك الجو القائم الموبوء . وانه ليبس مضحكا جدا ان نستعيد ثياب جيراننا القدرة الممزقة في الوقت الذي نملك نحن فيه انقى الثياب واحدها واجملها . ذلك يذكرني دائما ببيت عميق المفزى من شعر الشاعر العربي المبدع سليمان العيسى يجري هكذا : (البحر الخفيف)

كيف راح السليم يتر ساقيه

ليسمى زحفا على اعواد

فذلك هو حالنا حقا . نحن الاغنياء بالحياة والروح والاصالة والاخلاق نترك مواهبنا وبنائينا بالخصوبة ونتطلع مستجدين الى ادباء اوربا التي تتفسخ حضارتها وتحترق وتقرب من نهايتها المحتومة . نحن الذين تقبل الدنيا علينا اليوم وتتطلع اليها لنعيد بناء العالم ، نحن انفسنا نزدري كنوزنا الفكرية والحضارية ونقف اذلاء على موائد الغرب المنحطة التي تشيع الجريمة والنعر والاس والفشيان في انفس القراء . ولماذا نفعل ذلك واية مصلحة لنا فيه ؟

وبعد فان قصة زكريا تامر ليست متفردة في نهجها هذا بين القصص العربية . ان هناك عددا غير قليل من الكتاب يكتبون هكذا فلا يشتقون اجواء قصصهم من جونا العربي الملهب بالحياة والنشاط والوعود المبشرة ، وانما يقتبسونها من منابع كتيبة جامدة تقذفنا بها البلاد الاوروبية الكهلة المتشائمة . وهم بهذا يسكتون صوت عواطفهم الفزيرة ليصفوا مقلدين الى الضجة القادمة من الغرب . والمقلدون لا يبدعون حتى اذا كانوا اذكاء او موهوبين . وانما يبدع الاديب اذا هو ركن الى نفسه وعبر عن احساسه الحققة واندفع مع كل خلية في قلبه اندفاعا طبيعيا . او ليس الاديب انسانية مركزة ؟ وهل تشقى الحياة الانسانية وتذوي الا حين تكبت ويغلب عليها التصنع والجمود والتقليد ؟

وقد يكون الالم من عنصر التقليد في قصة « زكريا تامر » ان الاشخاص ليسوا عربا وثقافتهم ليست عربية . فلماذا يقول هذا الشاب : - كلنا مجانين . وديستوفسكي مجنون . سارتر ابله لا يحب الشمس . رامبو ولد غير مهذب . تشايكوفسكي صغد حزين . لوركا بلبل اسود . كافكا صرصار من حجر . جيمس ماسون طبل .

ليس هذا استخذاء امام الفكر الاوربي ؟ اي مسخ ذلك لشخصيتنا الفكرية بحيث لا نستطيع ان نتذكر اسما واحدا عربيا حين نحاول التعبير عن انفسنا ؟ وهل حقا ان المثقف العربي المتوسط يشعر ان من البداهة ان يتحدث عن لوركا ورامبو وسارتر بهذه البساطة ؟ هل هذه هي افكارنا ؟ هل تلك هي حياتنا ؟ الا ليت الكاتب قد ترك المؤذن السذي ينادي (الله اكبر) خارج قصته لكي نسميها له قصة اوربية فترتاح من نقده وتخف دهشتنا من العامل العربي الذي يخاطب الرغيف قائلا له : « يا عاري الكبير » .

واحب اخيرا ان اتحدث عن العنصر الاخلاقي في قصة زكريا تامر . كانوا يقولون دائما ان الفن لا يتصل بالاخلاق وان ليس لنا الحق في ان نقدر فنا على اساس خلقي . وذلك حق ونحن نؤيده تأييدا قاطعا . فقد تكون القصة التي تصف جريمة اخلاقية منكورة قصة مكتملة من الناحية الفنية فتبهزنا بجمالها ونخشع امام الفن فيها . وانما تنهار القصة اذا كان المقصود بها ان نكتب فنا غير اخلاقي فتصبح الاخلاق غايية يستهدفها الكاتب ونضحي من اجلها بالفن والواقعية معا . والامر كذلك عندما تصبح الاخلاقية نمطا شائعا او زيا مستوردا نرفضه على ما نكتب لمجرد انه مستعمل لدى غيرنا . وانا اكاد اميل الى ان اسمي قصة زكريا تامر شبه دعوة لهدم الاخلاق العربية ، سواء اكان الكاتب يقصد ان يدعو لذلك ام كان يكتب وهو غافل لمجرد انه ينساق مع دعوة خفية يشير بها اناس وراء الستار . وما من دعوة ، من وجهة النظر القومية العربية ، اسوأ نية من الدعوة لهدم الاخلاق . فعلى اساس اي شيء سنبنى مستقبل الامة العربية ان نحن تركنا شبانا يرون مثلهم الاعلى في نموذج فتاة تحلم بان يقتصبها سبعة رجال ، ورجل تحولت حبيبته الى موسى ، وشاب يشعر بان الله يكرهه ، وفتى ينادي بوقاحة « فليسقط ابي ، فلتعش امرأة جارنا » ... وفتاة تتمنى موت امها ؟ هل هذه هي الاخلاق التي ستدفع الشباب العربي الى بناء امة شامخة تعطي من ذهنها الموهوب وروحها المكتنز حضارة تضيء الظلام ؟

ولعل خير صورة اختتم بها هذه الكلمة الطويلة عن قصة زكريا تامر هي عبارته التي انهى بها قصته :

« ما امنيتك ايها الرجل الكئيب ... ؟ »

« ان انام مئة سنة »

تلك خاتمة تصلح رمزا للقصة كلها . فما ان هذا الرجل العربي يحصر امانيه كلها في ان ينام مئة سنة . وليس هذا هو احساس العروبة اليوم . ان الشباب العربي يصحو اليوم ويهب منتشيا نشيطا ويفتح نوافذ تدخل منها شمس صباحية مفعمة بالرطوبة والعبر ، هذا الشباب يندفع اليوم في حرارة ونشوة لينفق طاقاته الفكرية والجسمية في بناء امة تعمل من المحيط الى الخليج ، فاين اين فينا نموذج هذا الرجل الغامل البليد الذي يريد ان ينام مئة سنة وكأنه بمعزل عن الحياة كلها ؟ اوليس من حقنا ان ندعو لمثل بنومة لا يقوم منها ابدالدهر ؟

أينما كان...

قصة بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

دفيئا في قبره . أينما كان فاني اذكره واحيي ذكره واخفض الرأس
لتحيته ولنى تذكاره !

✱

حين وقع بصري عليه لأول مرة احسست بانني لقيت به بعضا من
اهلي الذاهين . رايت في جلسته القرفصاء على الموقد يهيبه القهوة
لضيوفه جلسة جدي حداد في مضافته وهو يصب القهوة من الدلسة
الكبيرة التي اسمها القمقوم الى الدلال الاخرى المتدرجة في الحجم حتى
تنتهي الى المصب وهو اصفر انية القهوة الذي منه يسقي الضيوف .
كان كجدي ذاك في صغر فده وفي انحاء ظهره اذا قام وفي لبثه اكثر
وقته امام الموقد متشغلا بالقهوة ونارها ومحاسنها ونجرها عن كل شغل .
ولكن ملامح وجهه والتماح عينية ونبرات صوته كانت تذكرني بعمي عبد
حتى لكان عمي لم يفادر هذه الحياة ولكانه كان يخطر امامي في تلك
اللحظة . لم اخبره بمن يذكرني به من اهلي رغم اني في كل وقت كنت
فيه حرا من المشاغل كنت اترك جماعتي واقصد حجرة المضافة لاقعد
على يساره امام الموقد ، فلعله ظن ان كل ما يدفعني الى ملازمته هو
غرامي بالقهوة المرة فكان يؤثرني بالفنجان الاول من القهوة البكر ويتنظر
ان يلح في نظرة خاطفة رضا الخبير في تعابير وجهي ، ويجيبني بما
لايجب به غيري حين اساله عن الاحوال والناس ، فلا يهز لي كتفيه ولا
يحيل العلم بالامر الى الله بل يقول لي بكلمات مقتضبة ولكنها حاسمة
ان الانكليز خنازير وان اليهود كلاب جبناء ما استطاعوا يوما ما ان يدوسوا
ارضه ولن يستطيعوه مادام في عروقه دم وفي صدور ابنائه وابناء
ابنائهم انفاس تتردد . . كان ذلك شيئا لايقوله لغيري من اصحابي ولا
لرئيسي ورئيس جماعة المجاهدين التي كنت واحدا من افرادها . فان
المفروض ان هذه الجماعة انما جاءت الى ارضه لتحميه من اليهود
وتحميها ولتتخذ منها نقطة انطلاق لتحرير الاراضي التي تجاورها من
رجس اليهود واغتصابهم ومحاولتهم فيها تثبيت اقدامهم فكيف يقول
لافراد الجماعة ورئيسها ان اليهود لا يستطيعون ان يدوسوا ارضه وانه
قادر بغير هذه الجماعة المدربة على القتال المهيئة بالسلاح والعتاد
الزودة حتى ببضعة رشاشات وبمدفع هاون ، انه قادر بغير هذه الجماعة
ان يحمي ارضه من اليهود وان يحول بينهم وبين التسلل الى قريته او
نصف منازلهم او الاستيلاء على نعاجهم واغراسهم واباعرهم ؟ انه لو فعل ذلك
لو قال لرئيس جماعة المجاهدين واصحابي ماكان يقوله لي ، لما لقي
منهم الا ابتسامة الاستهزاء ، اذا لم تصله من محتقهم او بعض سفهائهم
شتيمة تلحقه بكل هؤلاء الذين اتينا لنفديهم بارواحنا فلقينا منهم الفيق
والعقوف والجحود ولقينا منهم احيانا الخذلان والتواطؤ والخيانة . .
لذلك فانه لم يكن يجيب احدا غيري بما كان يجيبني به من رايه في
الاحوال والناس ، فكان يبدو لنا عارفا بجميلنا مقدرا لحضورنا ويضع
نفسه وابناؤه والقليل الذي يملكه في خدمتنا ، خدمة هؤلاء الفتيمة

ربما كان الان (١٩٤٠) في قريته التي تتألف من بضعة منازل من الحجر الفشم،
الذي لم يصقل ولم تحسن تسويته ، منازل يتكون كل منها من حجريين
او ثلاث حجر مبنية متلاصقة على صف واحد ، متجهة كلها الى الجنوب
حتى تتلقى الشمس بجباهاها وتترك ريح الشمال وراء ظهورها ، تحيط
بهذه المنازل ارض منبسطة ولكنها مزروعة رؤوس حجارة وفتات صخور
ينبت في تربتها الفقيرة عشب لا يكاد يشبع بطون دوابه القليلة من
نعاج هزيلة وافراس ضئيلة القد وبضعة حمير وبغير او بعيرين . . . ربما
كان الان في قريته تلك التي لايربط بينها وبين ماحولها من مدن او قرى
الا دروب ضيقة في الارض الصخرية ولكن جنود اسرائيل يبرزون فيها
بين الحين والحين ليحصوا الذكور من اهل القرية وليتفقدوا فيها بطاقات
التموين ، فاذا اقتحموا عليه الحجرة المبيضة النصف الاسفل من
جدرانها الداخلية بالكلس والتي كان بعدها مضافة لزواره وجدوده يتشاغل
باشغال نار كان في يوم ما يعد عليها القهوة للضيوف ، فيتهمونه ، فيقوم
اليهم متكاسلا بين البرم والثائر بينما يتسلل احفاده هاربين الى الحجرة
الاخرى حيث تجتمعت في زاوية منها حفيداته وامهاتهن وجداتهن، اعينهن
الى الباب واسمعهن الى المضافة وصدورهن مملوءة بالتوجس والخوف
والقسم . . .

ربما كان الان في قريته تلك او في قرية اخرى بعيدة ، قرية على
الحدود ، في كوخ مصنوع من القش والطين او في بيت من الشعر قائم
على عمودين ، عنده كما عند كل رجال الحدود بنقية ولكنه لا يحملها
على كتفيه فهي على كتفيه الواهنتين ثقيلة وانما يعتمد عليها حين يقوم .
ينظر من تحت حواجبه الكثة الى ابناؤه وبناتهم فلا يملأ صدره الفم
الذي يملأه لو كان في قريته حيث يقتحم عليه جنود اسرائيل حجرة
المضافة وانما تملأه حسرة ان ينتهره حين يبطل في القيام والاحترام
عريف لا يدري من هو ، اين كان ، واين امسى . . . وان يرتقب ليقبم
اوده ويظعم صفاره وصفار ابنائه ان تصل اليه حصته من معونة الشتاء
وان يمد عينيه فيرى بمد البصر طلائع الارض التي هي ملك له او لمن
هو منهم ولكنه لا يقوى على الوصول اليها . . .

ربما كان في قريته تلك وراء الحدود او في قرية اخرى على الحدود
وربما لم يكن في هذه ولا في تلك وكان في مكان اخر . ان عشرة اعوام
امد طويل على شيخ ينوء بعبد السنين . . ربما كان في جدث تحت
سطح الارض انطفاة فيه عيناه اللامعتان وهمد صوته الحاد واتى الموت
فيه على حركات ذراعيه المقتصدتين وخطوه الهادئ المتزن ، فلم تسبق
منه الا حجارة مكومة على قبر ضائع في تلك الارض البعيدة وهي القرية
المرخصة وهي الغالية ، المنسية وهي التي لا تنسى . . .

ربما كان الان في قريته وربما كان في قرية اخرى على الحدود او كان
(١٩٤٠) من مجموعة « الحب والنفس » التي تصدر هذا الشهر عن دار
الاداب بيروت

الادب الشوري

عدد الاداب القادم

حافل بالدراسات والقصائد والقصص

وقصف في قلب معقلنا وفي وضوح النهار .

كان ، لوقت اصيلا وكنت مضطجعا على الارض التربة في زاوية من غرفة المضافة اتطلع اليه وهو يقلب بيد الحماسة حبات القهوة على النار في الانية الحديدية بحركات متساقطة فيرتفع لتقليبه بها باليد المعدنية صوت خشخشة لطيف الوقع على الاذن وينبعث منه عبير القهوة العطري المثير . وفجأة هز جدران الحجرة والارض التي كنت مضجعا عليها دوي قاصم تلاه اخر واخر ، وارتفع في آن واحد وبعد لحظة قصيرة تلت الدوي عواء الكلاب وصهيل الخيل وضوضاء ملات القرية واصوات في حجرات المنازل الاخرى اخترقت الينا جدران الحجرة التي كنا فيها . وفرت من مضجعي واقفا واتجهت الى الباب اريد الاندفاع منه لولا ان نظري وقع عليه ، عليه هو ، فوجدته لا تزال كفه تروح وتجيء بيد الحماسة يقلب بها حبات القهوة بهدوء وبخس الحركات المتساقطة التي كان يقلبها بها قبل ان تلعلع الانفجارات وتطلق ضوضاء البهائم والناس في جو القرية . فاستحييت من ثورتني وتراجعت عن عزمي على الخروج من الباب وعدت ففقدت متصنعا الهدوء ، والقلق في الحقيقة يملأ علي جوانب نفسي . وكان ارتجاج الجدران وارض الحجرة قد توقف بعد ان تلاشى في الفضاء دوي الانفجارات الثلاثة فقلت اسأله :

- اين ترى وقعت هذه الانفجارات ؟ ما احسبها بعيدة عنا ؟ .

فترك يد الحماسة واخذ يسوي بكفه اليمنى عيدان الحطب ويدفعها الى النار تحت الصحن الحديدي الذي كان يقلب فيه حبات القهوة ، وقال وهو ينحني برأسه على الموقد :

- بعيدة ؟ انها عند حقل الصخور . هذه هي مدافع الانكليز الخنازير وكان مسبة الانكليز قد وصلت الى مسامعهم في تلك اللحظة عينها ، فقد تلاحت بعد فترة السكون القصيرة انفجارات مدوية اخذت تهز الارض مجددا من تحتنا وبصورة اشد مما فعلته في الانفجارات السابقة، وتناهت الى اسماعنا ضوضاء غير التي ثارت تلك المرة اخذت تقترب منا شيئا فشيئا وبسرعة . فلم اتمالك نفسي بل خطفت بندقيتي التي كانت مسندة معترضة في اطار واحد من نوافذ الحجرة واندفعت الى الباب . وفي هذه اللحظة اظلمت الغرفة حين اقتحم الباب علينا جمع من رفاقنا المجاهدين ومن اهل القرية بينهم بضع نساء ملأوا بضجيجهم جو الحجرة التي كنا فيها هو وانا . ولاول مرة سمعت صوته يرتفع عاليا ، عاليا حتى لقد برز من الضجيج بظابعه وسيطر عليه بحدته . كان يصيح منتهرا :

- اش ... اش!

فخفت اصوات الضاجين وساد الموقف هدوء نسبي استطعت خلاله ان اتبين ان في مقدمة الجمع كان رجال مفرزة الحرس الموكلة اليهم خفارة القرية في حقول الصخور المحيطة بها والمزمن بان يدافعوا عن مراكزهم حتى الموت . كانت عيونهم زائفة والذعر يعقل الستهم ، وقبل ان يتاح لي مخاطبة واحد منهم انفرج الجمع امام الباب فتسرب الضوضاء الى الحجرة وبدأ الرئيس ، رئيسنا ، بقامته الربعة وعينه الفاترتين ولحيته الكثة وهو يتقدم حتى وقف الى جانب الموقد وقال يسأل واحدا

الطيبين الكثيري الصخب المعتدين بانفسهم وباسلحتهم ، وكان يتلقى من رئيسنا او ممن ياتيه باسم رئيسنا كل امر بالقبول لا يضع فيه رأيا ولا اعتراضا الا ايماءات عارضة يعتذر لها بخبرته بالارض لا بالحرب ومعرفته بالناس لا بالامور .

وكانت ارضه ، هذه الارض التي اقمنا في قريته لنحميها ولنجعل منها مركزا لحركاتنا في هذا القطاع من لواء الجليل ، تقع جنوبي صفد بينها وبين جب يوسف والرامة . جثنا هذه الارض لنجرب فيها ، مع الانكليز ، تجربة جديدة لم نتعرض اليها حين كنا في قرى القسم الاعلى من لواء الجليل شمالي طريق صفد الرامة - عكا . فقد كانت هذه القرى تقع في القسم العربي من مخطط مشروع التقسيم الذي كان الانكليز يهيئون انفسهم للتخلي عن فلسطين على اساسه ، وكان تدخلهم في عملياتنا فيها ضئيلا ومحدودا حتى لكانهم كانوا يتقاضون عامدين عن اعمالنا الحربية مهما بلغت من الحدة والانتشار . لذلك فقد عبرنا بقسم من قوانا طريق صفد - عكا عند قرية فراضة وتمرکزنا في هذه الارض لننطلق منها في المنطقة التي اعطاها مشروع التقسيم لليهود ولنرى كيف يكون تفاعل الجيش الانكليزي ازاء غزواتنا وكماثنا في هذه المنطقة التي سموها منطقة يهودية . وكان دأب قيادتنا منذ جعلنا مقرنا في قريته ، هو من ارضه ومنذ اخلى لنا ، هو ، بعض الحجر من منازل عشيرته وشاركنا بحجر اخرى من منازل اخرى منها ، كان دأب قيادتنا ان ترسل الكشافة لتتعرف على الدروب ولتدرس نقاط الضعف للمستعمرات المجاورة ولتهيب الخطط للحركات المقبلة . وكانت كشافتنا تصطدم في الغالب بما لم تكن تصطدم به في مناطق الرأس الاحمر وميرون وعين الزيتون ، تصطدم بحضرة دوريات انكليزية كانت تثبت وجودها وتضطر كشافتنا الى الانثناء والانسحاب الى مقرنا في هذه القرية الوعرة المسالك المنقطعة الدروب . وكان هو ، صاحب القرية وكبير العشيرة ، في كل الايام التي لبثناها نستكشف ونتها ونناور ، لا يكاد يبارح مجلسه امام موقده : منه يجيب على استفسارات رئيسنا على المنطقة وقرائها ومسالكها، ومنه يشير الى ابناؤه بمرافقة دورياتنا او بدلائلنا على مخابئ صالحة لكماثنا . اما فيما عدا هذا وذاك فقد كان في جلسته الدائمة امام الموقد كأنه قد نفخ عن كتفيه هموم الدنيا كلها مطمئنا الى اننا بعدنا واسلحتنا واندفاعنا وحيثنا قد كفيناه شر اليهود والانكليز وكل ما يؤرق الناس في القرى القريبة والبلدان البعيدة ، في فراضة وعين الاسد والرامة وعكا وصفد . وفي الحق اننا كنا كذلك في قريته مطمئين بعد طول قلق وعناء ومكابدة لحياة الحرب في القرى الواقعة شمالي طريق صفد - عكا . فقد كانت الارض المنبسطة حول القرية تزداد تضرسا كلما تباعدت عنها حتى تنتهي بحقول من الصخور المدبية كأنها اسوار تحمي القرية من الواغلبين الذين لا يعرفون حق المعرفة مسالكها وتجعل الرقيب المتمكن من نقاطها المشرفة قادرا على اكتشاف المتسللين اليها في سر وسهولة . فكنّا ، ما عدا دورياتنا الموزعة في مهامها ، ننام في الليل ملء جفوننا واثقين من منعة معقلنا ومن يقظة حراسنا . اما النهار فكان، لمن لم يكن في مغازد الاستكشاف او الكماث ، ادعى الى الاطمئنان اذ كنا بعيدين عن ان يتناولنا سلاح مهاجم او ان نؤخذ على غرة . ولعل هذا الاطمئنان الى سلامة مواقعنا والى بعد الخطر عنا هو الذي جعلنا نستعين بامر الحراسة فنسلها الى مفرزة جديدة لم يتمرس افرادها بعد بأحوال القتال تمرسا كافيا وهو الذي مهد الطريق الى ان نصاب بما اصبنا به حين فاجأنا مصفحات الجيش الانكليزي ومدافعه بزحف

من الحرس :

— ماذا جرى ؟ ماذا تركتم مراكزكم ؟

فقال الفتى الذي وجه اليه السؤال :

— دبابات يا سيدي الرئيس ! دبابات ومصفحات بعد التراب اقبلت

تطوقنا من كل جهة ، فجننا نخبركم بالامر .

فقال الرئيس بهدونه الذي كنا نعرف انه كان يخفي وراءه حنقا قتالا :

— جئتم كلكم ؟ الاوامر ان تظلوا في مراكزكم . جبناء !

فتلعثم الفتى وقال :

— الدبابات يا سيدي الرئيس .. الدبابات والمصفحات مثل التراب ..

فقال الرئيس بصوته الهاديء دوما :

— اخرس !

وفي هذه اللحظة ارتفع دوي الانفجارات من جديد ، انفجارات كثيرة متلاحقة كان يتخللها اصوات طلقات متتابعة لاسلحة رشاشة . وخيل اليها ان الدوي الذي كان يهز الارض تحتنا والجو حولنا كان يزداد قربا منا شيئا بعد شيء . وادرت نظري في رفاقي حولي فرايت ملامحهم ناطقة بالخوف وايديهم على اسلحتهم لا تكاد تثبت عليها ، بل خيل الي ان رئيسنا نفسه قد فارق هذوؤه ودب القلق الى نفسه ، فقد رأته يقلب بصره بين رجاله ويرده الي ثم يحوله اليه ، الى الشيخ الصغير القد الذي وقف ساكنا ساكنا لا يختلج له هذب ولا ينطق بكلمة .

صاح الرئيس بصوت ، على غير عادته ، صارخ :

— الى مراكزكم ، كل منكم في حظيرة ..

ولكن احدا لم يتحرك ، واتحرك بعضنا ببطء ودون حماس ، بينما كانت انفجارات القنابل وازيز الرصاص تملأ الفضاء . وعلا صراخ طفلس

● جائزة نادي القصة بالقاهرة لعام ١٩٥٨

● جائزة جريدة الكفاح لعام ١٩٥٨

● جائزة جريدة السياسية لعام ١٩٥٧

ثلاثة جوائز نالتها المجموعة القصصية :

وحل في جبين الشمس

بقلم : سمير تنير

● صور من عذاب الإنسان العربي وكفاحه .

● اقاصيص قال عنها ميخائيل نعيمة « انها مكهبة بالمشاعر البشرية الحية »

صدرت اليوم عن :

منشورات عويدات

لنته صيحة امرأة هبطت بالقلوب الى الحضيض . وفجأة سمعت ، رغم الدوي والضوضاء والتوتر المسيطر ، سمعت صوته ، صوته هو ، يقول :

— هؤلاء الخنازير يظنون انهم يخيفوننا بحدائهم ورمصاص يواريدهم؟

نحن لهم . يا ولد يا اسماعيل هات الفرس ..

فقال ذلك الفتى الذي ترك مركز حراسته وهرب :

— الدبابات .. الدبابات والمصفحات مثل التراب ..

فارتفع صوته يقول :

— والدبابات ؟! هل هي الا حدائد ؟ نحن رجال يا ابني وهم رجال ..

ورأته يستدير الى زاوية من الحجرة حيث كان صندوق خشبي مصفح بمربعات من التنك ملونة وبراقة فيتناول من ورائه سيفا مهترئ القمد لم تقع عليه عيني قبل هذه اللحظة ، وبكل هدوء تمنطق بذلك السيف ثم اخترق الجمع المحتشد في الغرفة وامام الباب وتوجه الى الفرس التي كان يمسك بعنانها اسماعيل ، احد ابنائه . ولما امتطى الفرس واخذ عنانها بيده التفت الى رئيسنا وقال :

— يا حضرة الرئيس ، خذ رجالك ووزعهم على الخنادق التي حفرتموها

حول القرية .. انا وابنائي ذاهبون لنرى هذه الدبابات ...

ولوى رأس فرسه متجها بها بين منازل القرية الى الشمال حيث كانت اصوات الانفجارات تدوي فتردد الصخور اصداها بصور عجيبة ومربعة . وارسلت بصري ، كما ارسل بصره كل من كان في ساحة القرية آنذاك وراء هذا الشائب الطاعن في السن على صهوة فرسه ، كان خطو الفرس هادئا كان فارسه ذاهب عليه الى نزهة ، وكان هو على سرجه قبسل ان يخرج من بين المنازل مسترخيا كأنه خادم بيت عتيق وراء قافلة طعن . ولكنه بعد ان خرج من المنازل واباعد عن جمعنا سل سيفه من غمده والقاه عريانا على كتفه فتبدل فجأة كل الجو الذي حوله وحولنا بهذه الحركة منه . لم تسرع دابته في خطوها ولا هو غير جلسته على صهوة فرسه ، ولكن تقدمه المستمر يحف به على جانبيه ووراءه ستة من ابنائه حفاة مشمرين واصابعهم على اذندة بنادقهم ، انسانا زمجرة المدافع وازيز الرصاص والخوف الذي تسرب الى اعماق نفوسنا والذعر الذي عقل السنتنا . ورايت بعض رفاقي يعدون وبنادقهم في ايديهم لاحقين بالنائب ذي السيف العريان على كتفه . وسمعت من جديد صوت رئيسنا هادئا من دون صراخ وهو يلقي اوامره على عرفاء جماعتنا بالتوزع معينا لهم اماكن التمرکز والتهيؤ للقتال ..

في تلك الساعة من الاصيل ، ذلك الشيخ بين ستة من ابنائه سائرا الى لقاء الدبابات بسيفه المجرد على فرسه الاعرج ، منظر رائع ، منظر لا ينسى .. ولا ينسى كذلك منظر رأيت فيه ذلك الشيخ بعد ثلاثة اعوام او تزيد في رواق من اروقة بناء الاركان العامة ، في دمشق . في فترة هذه الاعوام الثلاثة ، بل لعلها كانت اربعة ، تغيرت امور كثيرة علي ظهر البسيطة . من قتل منا هناك بليت عظامه في قبور لا شواهد عليها في ارض يندسها خطو الغاصب صباح مساء .. اما من عاد حيا فقد ادشسه ، واعجبه ، ان تصفر له من العار اكاليل الفار وان يذكر الناس جهاده ولا يذكرون هزيمته . في ذات يوم بعد مرور تلك الاعوام خرجت من مكتب احد اصدقائي في بناء الاركان العامة فاخذت عيني بوقفته في الرواق ، وقفة جدي حداد ذي القد الصغير والظهر المحدوب ، فخيّل الي انه لم يكن واقفا امام باب في بناء رسمي في دمشق ، بل كأنه قائم لتوه من امام الموقد في حجرته في فريته حيث كان يدرر القهوة — التتمة على الصفحة ٧٣ —

اينما كان

- تنمة المنشور على الصفحة ٨ -

حتى تتلقى الشمس بجباهاها وتترك ريح الشمال وراء ظهورها ، تحيط بهذه المنازل ارض منبسطة ولكنها مزروعة رؤوس حجارة وفتات صخور يثبت في تربتها الفقيرة عشب لا يكاد يشبع بطون دوابه القليلة من نعاج هزيلة وافراس ضئيلة القد وبضعة حمير وبعير او بعيرين .. ربما كان الان في قريته تلك التي لا يربطها بما حولها من مدن او قرى الا دروب ضيقة في الارض الصخرية، ولكن جنود اسرائيل يبرزون فيها بين الحين والحين ليحصوا الذكور من اهل القرية وليتفقدوا فيها بطاقات التموين، فاذا اقتحموا عليه الحجرة المبيضة النصف الاسفل من جدرانها الداخلية بالكلس والتي كان يعدها مضافة لزواره وجوده يتشغل باشغال نار كان في يوم ما يعد عليها القهوة للضيوف ، فيتهرونه ، فيقوم اليهم متكاسلا بين البرم والثائر بينما يتسلل احفاده هاربين الى الحجرة الاخرى حيث تجمعت في زاوية منها حفيداته وامهاتهن وجدانتهن ، عينهن الى الباب واسماعهن الى المضافة وصدورهن مملوءة بالتوجس والخوف والغم ..

ربما كان الان في قريته تلك او في قرية اخرى بعيدة ، قرية على الحدود ، في كوخ مصنوع من القش ولطين او في بيت من الشعر قائم على عمودين ، عنده كما عند كل رجال الحدود بتدقية ولكنه لا يحملها على كتفيه فهي على كتفيه الواهنتين ثقيلة وانما يعتمد عليها حين يقوم . ينظر من تحت حواجبه الكثة الى ابناء ابنائه وبناتهم فلا يملأ صدره الغم الذي يملأه لو كان في قريته حيث يقتحم عليه جنود اسرائيل المضافة وانما تملؤه حسرة ان ينتهره حين يتكاسل في القيام والاحترام عريف لا يدري من هو ، اين كان ، واين امسى .. وان يرتقب ليقسم اوده ويطعم صفاره وصغار ابنائه ان تصل اليه حصته من معونة الشتاء ، وان يمد بصره فيرى بمدى طلائع الارض التي هي ملك له او ملك لمن هو منهم ولكنه لا يقوى على الوصول اليها ..

ربما كان في قريته تلك وراء الحدود او في قرية اخرى على الحدود، وربما لم يكن في هذه ولا في تلك وكان في مكان اخر . ان عشرة انواع امد طويل على شيخ ينوء بععب السنين .. ربما كان في جدت تحت الارض انطفاة فيه عيناه اللامعتان وهمد صوته الحاد واتى الموت فيه على حركات ذراعيه القتصدين وخطوه الهاديء المتزن ، فلم تبق منه الا حجارة مركومة على قبر ضائع في تلك الارض البعيدة وهي القرية ، المربعة وهي الفالية ، المنسية وهي التي لا تنسى ..

ربما كان الان في قريته وربما كان في قرية اخرى على الحدود او كان دفينا في قبره . اينما كان فاني اذكره واحيي ذكره ، واخفض الرأس لتحيته ولدى تذكاره... اينما كان !

عبد السلام العجيلي

بين دلالاته المختلفة الاحجام المتدرجة في الصفر من القمقوم الى المصب. جمعت في مكاني اتطلع اليه في قيامه الصابر امام الباب الذي كان واقفا حياله ، كفاه ممسكتان احدهما بالآخرى ورأسه مطرق الى الارض ونظره مثبت في نقطة واحدة من اسفل الباب .. واقفا ينتظر ، من امد طويل هممت بان اندفع اليه فاهز يديه واقبل وجنته وكتفه ، ولكني لاطراقة رأسه الثابتة الصابرة ولوقفته التي لا تتبدل بدلت عزمي . احسست بيد تعصر قلبي وبمرارة تسرب الى اعماق نفسي فتملأها . ماذا اقول له وكيف اتقدم اليه ؟... انه يقف هنا وقفة تكاد ان تكون وقفة الذل امام تابع تابع الرئيس الذي اعاد هو الى روعه ، بمشيته الهادئة بسيف مهتريء الغمد على حصان هزيل ، اعاد هو الى روع ذلك الرئيس الهدوء والى صدور رجاله قلوبهم التي طارت منها . فما الذي اقول له في وقفته هذه امام هذا الباب ؟ هل اقول اننا بعددنا واسلحتنا وما كنا نمثله من دول وقوى وراونا عجزنا عن ان نحتمي ارضه التي كان هو يحميها . بنفسه وابنائهم ؟ .. انه ليعرف ذلك جيدا ، والا لما كانت لهذه الاطراف وهذه الوقفة في هذا المكان . ام اقول له اننا دفعنا رجالنا في المالكية وفي الرأس الاحمر وفي عين زيتيم وجننا هنا لتتسلق المجد على اجداثهم ونشيد لنا الفخار باعمالهم ؟ .. وشعرت بالخزي يملأ علي جوانب نفسي وباني عاجز عن مواجهة هذا الشيخ الكئيب في هذا المكان وفي هذه الساعة ، فعدت الى مكتب صديقي الذي خرجت منه وارسلت استغفهم من المكتب المجاور عما جاء به الى هذا المكان . فجاء الجواب حاسما : لقد جاء يطلب ما لا يمكن تحقيقه .. صودرت منه ست بنادق فجاء يتوسط الى الرئيس، ذي الحول والطول ، مدعيا انه عرفه في ذات مرة في فلسطين ، ما اكثر من عرف الرئيس في فلسطين وفي غير فلسطين ! جاء يتوسط اليه ليراه وليسترحم منه الافراج عن بنادقه الست .. ولكن الرئيس غير فارغ للقاء هذا البدوي الخرف ، واذا فرغ له فانه لن يلبي طلبه ، فان هؤلاء البدو الشياطين الذين يتسللون كل يوم من الحدود واليها لا يؤمنون لا على سلاح ولا على ارض ولا على وطن ! ربما كان الان في قريته التي تتألف من بضعة منازل من الحجر القشيم، الذي لم يصقل ولم تحسن تسويته ، منازل يتكون كل منها من حجرين او ثلاث حجر مبنية متلاصقة على صف واحد ، متجهة كلها الى الجنوب

وداع للسلاح

تأليف: ارنست همنغواي

القصة العالمية التي اعجبتم بها على الساحة وتمنيتكم لو تقرأ المعونتها بنصها الكامل

نقاصا الى العربية
منذ البعدي

دار العلم للملايين

صَلَاة
حَدِيثًا

أول مرة ترجمة دقيقة كاملة
للأستاذ
د. كبريت

ذلك المساء

ذلك المساء

والشارع الممدود تسحب فوقه شمس الخريف
حزما بقايا من ضياء
والصمت يحتضن المكان سوى رفيف
اشجاره وخطى لبعض العابرين
ساروا هناك على الرصيف
ساروا بلا هدف بلا قصد ، حيارى تانهين
لم ادر فيم وقفت ، فيم تسمرت قدهي على ذلك
الرصيف

لم ادر ماذا شدني عند الجدار
هل كنت ابحت في ضياعي عن وجودي
هل كنت في قلق الحياة

ذلك المساء

اسعى باعمامي الى شيء . الى شيء بعيد
اسعى اليه ، اود لو القاه ، لكن لا اراه

★

كان الفراغ يحط في عيني ثقله
وتفاهة الاشياء تلقي ظلها الخاوي بنفسي
وتلف ايامي البطيئات المملة
فحكاية الحب التي أنهيتها
شيعتها ودفنتها
من امس امس
ها نحن قد مرت علينا
عشرون يوما فارغا مرت علينا
عشرون يوما ، ما التقينا

ووقفت :

« ماذا لو يمر الان بي ؟
انا كيف القاه لو التقت العيون
لا ، لن امد يدي اليه ، لن يحركني فرح
ذاك الجنون
ما عاد مثل الامس يبدع لي الفرح
سارد عن عينيه وجهي لو يمر الان بي
سأظل ارنو للفراغ كأنه ما مر بي
انا لن ابالي لو يمر .. »

وبقيت في ظل الجدار
لم ادر فيم بقيت في ظل الجدار
قدمي مصفدة ، وطرقي تائه لا يستقر

★

.. هو !! وانتفضت وحاصرت عيناى منعطف الطريق
وقطعت مفترق الدروب ورحت تدنو من مكاني
هي خطوة او خطوتان
ووقفت في ظل الجدار معي هناك على الرصيف
لم ادر ماذا قلت ، كيف تعانقت منا اليدان
ببساطة ، بسهولة وتسمرت
عيناى في الوجه الذي ادمنته
في واقعي المحتوم ، في قدرتي الذي قاومته
عشرين يوما ضائعا قاومته
ورفضته

فدوى طوفان

نابلس

رموز نرمنية قديمة...

بقلم يحيى الدين محمد

« قبور اخوتنا تنادين »

وتبحث عنك ايدينا
لان الخوف ملء قلوبنا ، ورياح آذار
تهز مهودنا فتنخاف . والاصوات تدعونا .
جياح نحن مرتجفون في الظلمه
ونبحث عن يد في الليل قطعنا ، تغطينا ،
نشد عيوننا المتلفتات بزندها العاري .
ونبحث عنك في الظلماء ، عن ثديين ، عن حلمه
فيا من صدرها الافق الكبير ونديها الغيمه
سمعت نسيجنا ورأيت كيف نموت .. فاسقينا!
نموت ، وأنت - وأسفاه - قاسية بلا رحمه.
فيا آباءنا ، من يفتدينا ؟ من سيحيينا ؟
ومن سيموت : يولم لحمه ودماءه فينا ؟
وابرقت السماء كأن زنبقة من النار
تفتح فوق بابل نفسها . واضاء وادينا ،
وغلغل في قاراة ارضنا وهج قعرها
بكل بذورها وجذورها وبكل موتاها .
وسج - وراء ما رفعت بابل حول حماها
وحول ترابها الظمان ، من عمد والسوار
سحاب .. كان لولا هذه الاسوار رواها !
وفي أند من الاصفاء بين الرعد والرعد
سمعنا ، لا حفيف النخل تحت العارض السحاب
او ما وشوشته الريح حيث ابتلت الادواح ،
ولكن خفقه الاقدام والايدي
وكركرة و «آه» صغيرة قبضت بيمينها
على قمر يرفرف كالفراشة ، او على نجمه..
على هبة من الغيمه ،
على رعشات ماء ، قطرة همست بها نسمة
لنعلم ان بابل سوف تغسل من خطاياها !

بدر شاكر السياب

وغصنا بعد غصن تذبل الكرمه

بطيء موتنا المنسل بين النور والظلمه ،
لو الويلات من أسد تكابد شدقه الادرر !
انار البرق في عينيه ام من شعله المعبد ؟
أفى عينيه ميخرتان اوجرتا لعشتار ؟
أنافدتان من ملكوت ذاك العالم الاسود :
هنالك حيث يحمل ، كل عام ، جرحه الناري ،
جرح العالم الدوار ، فاديه
ومنقذه الذي في كل عام من هناك يعود بالازهار
والامطار - تجرحنا يداه لنستفيق على أيديه؟
ولكن مرت الأعوام ، كثر ما حسبنها ،
بلا مطر .. ولو قطره
ولا زهر .. ولو زهره
بلا ثمر - كأن تخيلنا الجرداء انصاب أقمناها
لنذبل تحتها ونموت .
سيدنا جفانا . آه يا قبره
أما في قاعك الطيني من جرة ؟
أما فيها بقايا من دماء الرب .. أو بذره ؟
حدائقه الصغيرة امس جعنا فافترسناها
سرقنا من بيوت النمل ، من اجرائها ، دخنا
(وشوفانا)
وأوشابا زرعناها
نوفينا - وما وفي لنا - ندره !
✱
وسار صفار بابل يحملون سلال صبار
وفلاكه من الفخار ، قربانا لعشتار
ويشعل خاطف البرق ،
بظل من ظلال الماء والخضراء والنار ،
وجوهم المدورة الصغيرة وهي تستسقي .
فيوشك ان يفتح - وهي تومض - حقل نوار .
ورف - كأن الف فراشة نثرت على الافق -
نسيدهم الصغير :

مدينتنا تؤرق ليلها نار بلا لهب

تحم دروبها والدور ، ثم تزول حماها
ويصيفها الغروب بكل ما حملته من سحب
فتوشك ان تطير شرارة ويهب موتاها :
« صحا من نومه الطيني تحت عرائش العنب ..
صحا تموز ، عاد لبابل الخضراء يرعاها . »
وتوشك ان تدق طبول بابل ، نم يفشاه
صغير الريح في أبراجها وأنين مرضاها .
وفي غرقات عشتار
ظل مجاسر الفخار خاوية بلا نار ،
ويرتفع الدعاء ، كأن كل حناجر القصب
من المستنقعات تصيح :
« لاهثة من التعب
تؤوب الهة الدم ، خبز بابل ، شمس آذار
ونحن نهيم كالغرباء من دار الى دار
لنسأل عن هداياها .
جياح نحن .. وأسفاه ! فارغتان كفاها ،
وقاسيتان عينها
وباردتان كالذهب .
سحائب مرعدات مبرقات دون امطار
قضينا العام ، بعد العام ، بعد العام ، نرعاها ،
وريح تشبه الاعصار ، لا مرت كاعصار
ولا هدأت - ننام ونستفيق ونحن نخشاها .
فيا أربابنا المتطلعين بغير ما رحمه ،
عيونكم الحجار نحسها تنداح في العتمه
لترجمنا بلا نغمه ،
تدور كأنهم رحي بطيئات تلوك جفوننا ..
(حتى الفناها ،
عيونكم الحجار كأنها لبنات اسوار
بأيدينا ، بما لا تفعل الايدي ، بنينها .
عدارانا حزاني ذاهلات حول عشتار
يلغض الماء شيئا بعد شيء من محياها ،

اللاوعي ، وتتعادل هذه المركبات بصورة لا تدفع بوحدة منها الى الاكتناز
على حساب الأخرى ، وبصبح العالم على غاية من الانضباط والاتزان ازاء
هذا الوعي المنضبط الذي يعرف حدوده جيدا . اما الانسان غير السوي
فتختلط فيه هذه التراكيب بشكل لادرجي وغريزي ، فيعظم مقدار المكبوت
في اللاوعي على حين يظل الذهن ، وتظل العاطفة في مستواها العادي ..
ويتخلخل التوازن ، ويصبح العالم في نظره مرسوما بلون اعماقه المضطربة
حيث تسود الاحلام والاساطير والخرافات .. وتأخذ العلاقات العاطفية
والاجتماعية بالضمور ، لان الحواس هي النوافذ التي تحقق الحياة مع
الاخرين ، وتعطيها هذا الشكل المألوف .

الشاعر صورة من صور الانسان غير السوي ، وهو لا يطمح فحسب الى

الشعر العظيم التلقائي نابع من الاعماق ، حيث تسبح ملايين الاحلام
والرؤى والحكايات والاهوام والاساطير والتقاليد البدائية ، مكونة عالما
يبلغ من الكثافة والطلسمية قدر ما يبلغ العالم الحقيقي واكثر ..
والشاعر من قديم هو امتداد الامثلة في الانسان ، لانه لا يرى العالم
الا من خلال خياله وعاطفته معا ، بينما الانسان السوي - وسوف
نلاحظ ان الشاعر ليس كذلك - لا يرى العالم الا بالشكل الحقيقي الذي يراه
عليه الآخرون ، ولا يمكن في هذه الحدود ان يقفز منظر غروب شمس
الى اكثر من ذلك عند الرجل العادي الذي لا يحب ان يشغل بهذه
العواطف والاخلية التي يشغل بها الشاعر ويجعلها دنياه الخاصة .

الانسان السوي مركب درجي من ذهن وعاطفة واحلام كامنة في

ان يعبر ارض الاحلام التي في باطنه ، بل ان يعبر عنها جميعا بصورة اجتماعية ايضا ، وبدرجة لا تجعل تعبيره فرارا من داخله ، ولا كمونا فيه، والسبب الذي يجعله لا يرى العالم بالشكل المختلط المتشابك الذي يراه به الرجل غير السوي ، هو انه يملك حدة ذهنية وعاطفية كبيرة تحدث لا نوعا من التعادل بين المركبات ، بل انماجا بينها كليا ، ولا يستطيع القاريء لقصيدة عميقة الا بدرجة شديدة من الوعي والجهد الاستقرائي، فصل العقلي عن اللاعقلي او عن الموروث التقليدي .. في حين يطفى التراث الحلمي عند غير السوي ، ويلغى عمل العقل والعاطفة ..

باطن الشاعر متختم بالصور والعلاقات والحكايات الجاهزة ، ولا تنتظر الا محركا خارجيا يققز بها من حالتها الكامنة الى حركة غنية فياضة هائلة ، تأخذ الصور بالقفز الى محصلة الشاعر الواعية في شكل شرارات كثيرة متقاربة ، كل شرارة منها تريد ان تسكن في ذهن الشاعر ، وهو حائر لا يدري - ازاء هذا التيار الملح - اي صورة يختار ، وفي هذه الحالة لا بد من الرضى ببعض الصور التي تحمل ملامح من هذه الحادثة ، ولامح اخرى من تلك الرواية ، وشيئا من اسطورة قديمة عمرها ألف عام .. ومشكلة التعبير عنده ليست كيفية اختيار الصورة الحقيقية بين هذه المئات المتعددة ، بل هي كيفية نقل هذا الاحساس الداخلي فيه بالالفاظ !!

اللفظة النثرية صريحة ومجابهة ، فاذا شئت ان تصف عينين بالسواد، فانك تقول : عيناك سوداوان .. اما الشاعر فلا يستطيع ان يتوجه توا الى الهدف ، ولذلك فهو يقول : عيناك غابتا نخيل ساعة السحر . بداليتين لللفظة الواحدة ، الجملة والتشبيه .. ثم التخيل وهي العملية التي ينتظرها ويتوقعها الشاعر من القاريء ..

اذا استعمل الشاعر ذهنه في التعبير عن باطنه ، حملت كل كلمة دلالة واحدة لها ، واذا ترك لعاطفته بالاشتراك مع ذهنه مهمة اختيار الكلمات المعبرة عن باطنه ، استطاع القاريء ان يدرك اكثر ما يحول بخاطر الشاعر، اما القاريء الذي يرتبط باكثر من رباط فهو الذي يشترك معه ، فسي موروثات بدائية واحدة ودين واحد وخرافات واساطير واحدة ، ونكفي اشارة وحيدة ذكية كي تفتح الاعماق القديمة التي نسيها القاريء في زحمة الحياة ، وان تحيله الى باقة او شحنة من الذكريات والسعادات ..

والشاعر لا يختار ان يستعمل هذا او ذاك من الاساليب ، فليس هناك واحد يختار ان يعبر بذهنه ، او بطريقة اخرى ، فالمشكلة ابعد من ذلك، اذ تتصل بالوراثة والبيئة والتشريع الذهني والعصبي والنفسي جميعا ، وهذا لا يعني ايضا ان كيفية التعبير متروكة للقدر والمصادفة ، فلذلك يسهل على الشعراء تجنب التزود بالثقافة بحجة لاضرورتها .. فالشاعر القاريء الذي فتح نوافذ المعرفة على ثقافات متعددة وعميقة يستطيع ان يعادل الآخر الذي امتلا منذ صباه بالاساطير والتجارب ، وليس غريبا ان كل شاعر عظيم اتقن على الاقل لغتين اجنبيتين ، باستثناء شيكسبير الذي قهر ذلك بان هضم بلوتارك كلية ...

داخل الشاعر متختم بالرموز ، والمشكلة هي كيفية اخراج هذه الرموز بشكل اقل رمزا مع استعمال نفس الالفاظ التي يعرف الناس مدلولاتها ويعرفون ايضا انه عسير عليهم ان يكشفوا فيها اكثر من ذلك المدلول الواحد . واذن فكيف تكون اللفظة الشعرية قريبة الى ذلك المدلول الواحد ، مع احتفاظها بالرمز الغامض في باطن الشاعر ..؟

اذا كانت في باطن الشاعر تجربة حزينة ، فان امامه لفظة واحدة اساسية هي (حزن) ، بيد ان ذلك هو هم الشاعر العقلي ، واذا فنهناك

مخارج اخرى يختلف شكلها عن ملامح الحزن ، يستخدمها باطن الشاعر في التعبير عن هذا الحزن بالذات ، واذا فالمشكلة هي نقل عاطفة او احساس معين من مجاهل اللاوعي الى رياضية الوعي ، ثم نقل الصورة الاخيرة في زي جديد الى الخارج ، ومن هنا تنشأ مشكلة التعبير ، وتركيب الالفاظ بالصورة التي تبقى على الشكل الرمزي ، وتوصل في نفس الوقت ، قارئنا ما الى الينايبع الاصلية للعاطفة التي يعبر عنها الشاعر ...

الشعر الذهني يوصل القاريء فورالان الكلمة مدلولية ، في حين تقفز الجملة عند الشاعر الباطني من مجرد تركيب عادي للكلمات ، الى استنطاق للرمز ذاته ، كي يعبر هو عن الكلمة المنضبطة ، فالعانة التي يعيشها الشاعر ليست بحثا عن كلمات مجنحة ، اكثر منها ضفطا على الرمز للافصاح بالصورة التي يراها اقرب من غيرها الى الحقيقة .

الشعر مرتبط بالفناء والدين والموسيقى ، بادق ما في الانسان من كونية وانتساب الى الارض والسماء ، وهو ليس رغبة بسيطة في الانتاذ بجملالية الكلمات وارتطاماتها بالاحرف الساكنة والمتحركة ، بقدر ما هي فيض عن الفنى التجربي والعاطفي في باطن الشاعر ، واذا فلماذا يختار التعبير عن ذلك الفيض الحيوي بهذه اللغة الغريبة القاسية ، اذا كانت شدة الكلمات وغرابتها ستؤخر اكتشاف القاريء للتجربة؟؟ .. وبعبارة اخرى ، لماذا يصر على البحث عن كلمات ذات اجراس ، اذا كان المعنى هو الذي يطلب الخروج من اعماقه؟؟ واذا فلا بد ان هناك شيئا اخر مع المعاني يريد ان يخرج للوجود .. ولهذا دلالة ، فمن بين الاف التجارب والمشار التي يعانها ويحملها الشاعر في قلبه ، لا تخرج الى النور سوى التجربة التي يمكن التعبير عنها بهذه اللغة المنغمة ، والباقي ينهب جفاء ...

صفحات التوراة تبلغ الفا وثلاثمائة وثمانين وخمسين صفحة، معظمها حكايات واقاصيص بطولة وتضحية وعظائم واساطير مكتوبة بأبسط الكلمات واشيعها واقربها الى العقل . وفي مكان القلب من التوراة تشع الكلمات العجيبة لنشيد الانشاد في سبع صفحات بكلمات قليلة نادرة : لماذا كانت هذه الاصحاحات الثمانية اكثر من غيرها شاعرية واكثر احتفالا بالخيال والعاطفة ، لماذا كانت هذه الصفحات السبع وحدها بين الف صحيفة وثلاثمائة ، الصفحات الاكثر تأثرا في النفس ؟!

ان شيئا غامضا اذن يكافح ويصارع الظلام والتعقيد والتشتت كي يفلت منها الى الوضوح القمري للمعاني المحسوسة والمعقولة .. والشاعر يستخدم الظواهر العادية في حياتنا كإيماء للشيء الغامض في باطنه هو ، واذا فان هناك شيئا متاخلا ، وغنصرا مشتركا بين الظاهرة العادية التي يمثل بها الشاعر ، وبين الرموز الباطني .. ولا بد ان يكون هذا الشيء كامنا خلف الكلمات ، وخلف البناء والقالب الشعري ، كما لا بد ان يكون وجوده موزعا على النفس البشرية جميعا كقسط وجودي ، وان يكون كامنا فينا ، قديما وبدائيا ، كان موجودا قبل ان تصقلنا الحضارة بشكلها التلاويني المزوق .. واصبح بعد تطورها كالشرارة الخامدة تحت الرماد ، تنتظر الريح وشيئا تسرى فيه ..

والفارق الواضح بين نشيد الانشاد كعمل شعري وبين اي سفر اخر هو بالدرجة الاولى الكيان الرمزي الاسطوري الذي لف به النشيد، ثم كلماته اللاذهنية النابضة بالعاطفية والاحلام، ثم هو بعد ذلك موسيقاه الحزينة الوئيدة التي تقطع القلب .. ذلك وحسب ما يجعل الشعر شعرا ، على ان يتراوح العنصر الاول بين الدين والاسطورة والحلم

والموروث البدائي والشعبي .

اما الشعر العادي الفارق في حماته ، فهو نتيجة التصاق العنصرين الثاني والثالث ، وعشرات التطبيقات في شعرنا العربي الحديث تمنعني من ذكر الامثلة . اما الاول فلا يمكنه ان يبدي وجهه الرائع الا حين يصل الشاعر في طاقاته الى ابعاد مدى ممكن من الوعي والثقافة والفهم العميق لشعبه ، مع ادراك عظيم لعواطفه واحلامه ، فيقدر ما كان الشعر رمزا لحلم مشترك ، كان عملاقا وعظيما وموحيا الى ابلغ درجة .

اذن ، هناك مجموعة من الرموز في باطن الشاعر ، ومجموعة اخرى من المنظورات الخارجية ، ومجموعة ثالثة من الكلمات ، ثم حدة عاطفية وخيالية عظيمة .

الاشارة تأتي من الخارج ، فتتحرك ملايين الرموز وبازائها تتحرك عكسيا ملايين المنظورات الخارجية في حركة أشبه بحركة قرصى الساقية ، والفارق الوحيد هو ان السنون تصارع كي تتدخل في الفجوات القابلة ، وبعد عشرات القياسات والمحاولات تتداخل السنون ، ويستقيم القرصان ، والشئ الباقى هو كيفية اخراج هذين الرمزتين المنطبقين في شكل واضح وساطع ، بواسطة كلمات اقرب ما تكون صلة بالرمز المدفون ، وابدع في الحقيقة عن المدلول الواضح للكلمات ذاتها !!

والشعر العظيم وحسب ما تنطبق عليه هذه الاوصاف ، اما الاشعار الفثة فتتراوح بين اكتشاف المنظور أو تنمية العلاقات البسيطة ، وفي احسن حالاته بهذه العلاقات الى الحنين والى البكاء والعطف

ان التعبير عن العلاقات الاجتماعية ليس عمل الشاعر ، ولا كان الوضوح سبيله الوحيد لكشف عناصر القضية الاجتماعية التي يسود ابرازها ، ولماذا يغمض هو علاقة معروفة لنا جميعا؟؟ واذا فان شيئا اخر غريبا يجعل الشاعر يختار علاقة اجتماعية ما ، ويمزجها بداخله الرمزي ثم يقدمها الى الآخرين كجوهرة مصقولة ... ولا بد ان يكون هذا الشئ منتسبا الى الكون العظيم الحافل .

الى النجوم والسيارات والافلاك ، الى طبيعة الالتقاء الباهر بالطلق في شموله وتمده واتساعه العظيم .. ان الشاعر يصبح الرسول الذي يوصل الحيوانية فينا الى قدسية الله ...

✱

الاسطورة

بابل ارض خصبة كوادي النيل . الماء وافر والزرع طيب ، والشمس حارة .. كل ما فيها يبشر بالنماء والحياة والخصب ، وفي ايام المحصول تنشط التجارة ويتزوج الفلاحون ، ويبتنون الدور النظيفة ، والملابس الزاهية ، وتكثر الافراح والموائد والولائم ، وينقلب الناس البخله الى مبشرين رائعين ، فيعطون الاطفال الدراهم ، وهؤلاء يسلمونها بدورهم الى اصحاب المناجر الشرقية الصغيرة المصيبة بالبخسور ، ويتناولون في مقابلها تلك السكريات والحلوى اللذيذة والاساور المطلية بالنهب ، والعقود والعرائس الحقيقية التي يلمع شعرها الزيتي في

الشمس .. في لحظة تتغير الدنيا ايام الحصاد وتفصح لحياة عن وجوها

الالف ، وكلها جميل مطلى بلون الافراح والسعادة .. ثم يأتي الشتاء ، على اثر غيمة وحيدة تطل من الافق كالجاسوس ، ويولي فجأة هذا الانقلاب الحلو المجنون ، ويكشف الظلام عن وجهه البارد الحالك ، ويختفي الناس في الدور المفلقة ويتكلمون نادرا ، وتموت كل مظاهر الحياة في الطرقات وتتوقف ، ذلك لان الها عظيما قد مات !! والاله اسمه تموز ، وهو يموت مرة كل عام هابطا الى العالم السفلي المظلم ، وبقيابه تختفي عشتار حبيبته ، وربة الطاقات الخصية في العالم . وتتوقف بذلك عواطف الحب ، وينسى الانسان والحيوان غرائزهما لحفظ النوع ، وتهدد الحياة بالفناء ، ولكن ملكة الجحيم القاسية « ارش كيجال » توافق بغير رضاها على ان تنبث عشتار برفقة تموز اثر كل شتاء ، وان تنبث لذلك الحياة في كل عام (1) ..

وهذه الاسطورة ليست وفقا على بابل وحدها ، اذ انها ترددت تقريبا في معظم الحضارات الزراعية التي ارادت ان تفسر هذا التجدد في الحياة وهذا الاقتران بالخصوبة والعطاء ، فالاحتفالات التي تقام في سردينيا وكالابريا وترانسلفانيا كل عام تحت اسم الاحتفال بالقدس جون ، ليست الا تطويرا مسيحيا للاحتفالات الوثنية التي كانت تقوم بها الشعوب القديمة هناك في ذكرى ادونيس الذي هو تموز باسم اخر ، وفي مصر القديمة كان اسمه اوزيريس ، وفي غربي اسيا سمي انيس ..

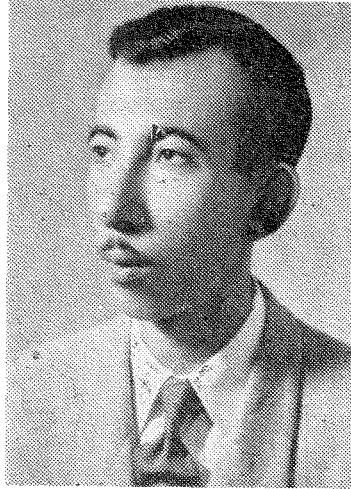
وكلها رموز عن هذا الاله الذي ينبث كل عام في صحبة القمح والخيرات والمطر ..

ان حياة التوحش والمدني والريفي مرتبطة البسغ ارتباطا بحياة المظاهر الطبيعية ، فاذا غاب مظهر معين واصبح الانسان مهددا بالموت او بالكوارث ، كان يمتنع المطر عن الهطول ، ويهدد الزرع بالموت عطشا ، ينقلب الزارع من قلق الانتظار المر ، الى الدعاء والرقص ، بتقديم القرابين الى الالهة واسترحامهم ، والشكوى لهم عن الالام التي اصابتهم ، وعن الجوع والمرض المترصدين لهم .. ولم تكن هذه الشكاوى والصلوات

تمثل جانبهم المتهاوت والضعيف ، فما كانوا يعتقدون انهم يتزلفون للالهة او يستصرفون انفسهم على الاقل في بعض المقاطعات والقرى - بل كانوا يظنون ان الوسيلة الوحيدة لجلب المطر ليست الا في اتقان هذه الطقوس والرموز والصلوات ، واتقانها يمكنهم من السيطرة عليها واخضاعها لرغبتهم ، ولم تكن هذه التزلفات الا من نوع الهدنة التي ننيم بها اطفالنا ونهذبهم ، او من نوع بعض الشعائر التي تقيمها القرى القوقازية لخدعة اله المطر في ايام الجفاف ، فهم يعمدون الى ربط بعض الفتيات المتدثرات في ملابس الرجال ، الى محراث يجرنه الى النهر ويغمسنه فيه ، وهم يظنون ان هذه العملية تكفي لفش اله المطر فيسمح له بالهطول .. (2)

كان هناك موت وانبعثت على طيلة الاعوام ، وكان يقال ان هناك صراعا بين اله الموت واله الحياة ، ولم تكن هذه الصورة وفقا على حضارة واحدة ، بل اشتركت في تلوينها كل الثقافات بأشكال مختلفة ، فمن قرية بقرب دوربات في روسيا الى هالاميرا وجيلولو ، وهي جزيرة كبيرة

- التتمة على الصفحة ٥٥ -



بدر شاكر السياب

رموز ترنيمة قديمة

— تنمة المنشور على الصفحة ١٢ —

وسريانها مع النهر ، وكان ذلك يحدث في الربيع من كل عام (٤) وقد آثر الشاعر ان يفتح القصيدة بهذا الرمز الذي يشير اما الى دماء عشتار ، واما الى دماء تموز نفسه .. وسوف يتكرر هذا اللون الدامي بدلالة اخرى كصيف للشمس مرة ، وكريقة مقدسة يستعملها المتوحشون رمزا للتوقد والتشهي ، ودلالة اخرى على مدى جفاف الارض التي بوسعها ان تشتعل في لحظة وان تحيل الارض حريقا ، والشاعر يرمز بهذه الصورة الطبيعية اسقاطا على الوحش القديم الذي يسبب الموت والخراب والعطش ، كما سوف يرمز عن طريق الحلم بالاسود والفيضان الى الخوف والمقت والكراهية (٥). وفي الايات التالية ، بعد تصوير هذا الجفاف المتكسر لبابل ، وهذا الدم الاجواني المهدم في فضاء المدينة ، يهب الموتى الذين يرتبطون بتموز ، برابطة الانتساب الى العالم السفلي حيث يغوص في كل عام ، يهبون مبشرين بالصحو الالهي للربيع تحت عرائش العنب . ولاختيار الكرمة دلائل ، فهو نبات يسبق معظم النباتات الاخرى تنسما للربيع وايماء بمقدم هذا الفصل المزهري ، ومن جهة اخرى يرمز اختيار تموز الانبعاث من وسط العنب الى فكرة خزن الرحيق في الارض الطينية وتحويله خمرا ، فالانسان يشتركان في هذا الغياب الباطني في الارض ، حيث يتجدد تموز ، ويتجدد الشراب .

والريح التي تتردد في ابراج المدينة تكشف عن صلتها بانين المرضى ، فهي ليست ريحا من نوع الرياح التي تسبق المطر ، بقدر ما هي ريح حارة مزهقة للانفاس ومجففة لنداوة الاجسام . ريح صحراوية خانقة تدور في المدينة وكانها تخبر اهلها الا فائدة ترجى من تقديم القرابين والضحايا استجلا للمطر ، وانها هي الحقيقة ولا شيء سواها ، وتظل الشموع مطفأة والمعابد خالية من الناس ، وتفر المدينة كلية من البشر اليائسين من قدوم المطر ، ويترك التعبير عن العطش والجفاف للزروع في ضواحي المدينة حيث ينادي القصب لاهثا بان شمس اذار قد عادت ..

عيون البشر وحسب ، وليس اجسادهم ، هي التي تدور وتنتقل هنا وهناك متسائلة عن ميعاد انتهاء هذه الكارثة ، بكل الجوع الذي يطل من حداثتها الممتلئة بالحسرة والخوف والرغبة ، ولا بد ان نضيف ان الندم محسوس به بشدة ، لدرجة ان لهجة الايات نفسها تشعر بذلك ، فالندم احساس يتبع الاختيار الاخر ، حيث يفرض ظرف ما ، جوره على قدرات انسانية لا تستطيع ان تختار . وهنا يقع الانسان تحت طائلة القدر الذي يمثل الطبيعة كوحش ظالم يمارس القتل وحرق المحصول وابادة الماشية .. والحزن الذي يستتبع هذه النظرات التي تجول في الارض وبين الزرائب والحقول ، متأسية على المصير المهلك الذي ينتظر هذه الحيوانات ، هذا الحزن العيني يلحظ بلا مبالاة شديدة هذه السحب الراعدة التي تشق السماء كحيوانات عنيفة غير مخصصة وغير معطاة . ويتردد في هذا السكون المخوف صوت الاسى الباطن الذي يشور رويدا رويدا ليتهم هذه الالهة الحجرية التي ترقب هذا العذاب بقلوب صلبة ، يتهمها بالارحمة والتعذيب . بل ان فسرط الصمت الذي ترد به هذه الالهة على هذا الطلب المحتضر بالسقيا ، يشكل عند الناس الفة منهم لهذا الاجرام الالهي والظلم ، وذلك يشبه العملية التحقيرية التي يسلكها سكان قرية خارج اسوار روما

(٦) الخرافة هي ادراك بشري عام يخص الانسان ككل . اما الاحلام فهي شخصية بحتة ومدلولاتها فردية وباطنية .

غرب نيوجينيا ، الى هنود الاوماها في جنوب امريكا (٣) .. كلهم كانوا يفصحون عن هذه الملامح المشتركة التي حاولت ان تحل مشكلة الوجود والخلق والدين بهذا التراث الموحد العجيب .. ففي اللحظة التي كان يظن فيها ان قصة نوح والطوفان هي قصة شرقية بحتة دونت وحسب في نقوش نينوى وفي التوراة والقرآن ، صدم العالم المتحضر باكتشاف حديث منقوش في امريكا الوسطى يحكي قصة الطوفان بابل مما حكيت به في ارض بابل .. « كان هناك اشتراك في محاولة تفسير الكون والوجود ، وكانت الحياة متقاربة القسما هنا وهناك ، فيث يشترك مجتمعان في ملامح اقتصادية واجتماعية ونفسية واحدة ، تتقارب الثقافات وتتداخل النظرة الى الفن والوجود ، بل ان الدين نفسه يشترك بالخلل الاسطورة ذاتها ..

وارتبط الدين في ذهان البشر بالاسطورة ، لان المنطق والعقل كانا ابعد من ان يستطيعا تعيين حدود وخطوط لمشكلات الخلق من العدم ، واعادة الحياة مرة اخرى ، حيث عز على الناس ان يموتوا ويندثروا بدون بحث .. كانت الطبيعة في جانب ، وكانت الارادة البشرية في الجانب الاخر المتلقي ، الساكن .. وكان الناس ينظرون الى الجانب الطيب في الطبيعة على انه هبة من اله الحياة ، وكانوا يقدمون له الهدايا والقرابين لشكره وتقديره ، وفي مجتمع زراعي كارض بابل ، كان تأخر الامطار نذيرا بان اله الموت قد دحر الى وقت ما .. اله الحياة «ارض بابل سقيها من دجله والفرات ، وارتباط المطر في الاراضي الزراعية بمقدم الخيرات والنماء ، يعادل ارتباط بابل بمقدم الفصل الربيعي المزهري » .. ونشأت فكرة الصلوات والافغيات الجنائزية دروا لهذه المصيبة ، ودعوة لانكشاف هذا الغم ، وقد تمثل البابليون هذه البكائيات في احتفال تموز الذي سمي باحتفال النسوة الباكيات ، حيث كن يصرخن ويقطعن شعورهن وجيوبهن ويتطلعن الى السماء بحثا عن الفصل الغائب .. وقد اشتركت معظم المجتمعات الزراعية في تقديم هذه الشعائر مرة الى روح اله المطر ، ومرة الى اله الفصول ، طلبا للزرع والنماء والحياة ..



رموز الترنيمة ..

الجزء الاول من النشيد وصف لعطش مدينة ، والجزء الثاني احتفال مقدس ورائي لاستجلاب المطر (يعني الربيع) والجزء الثالث هو الري او استجابة الالهة لهذا الطلب المتجدد بالحياة ... والصورة الاولى هي ملامح مدينة مصبوغة بلون احمر قان ، اذ تقول بعض الاساطير ان دماء عشتار هي التي صبغت زهرة (الدارلنج) التي ما زال العرب يسمونها (جراح النعمان او شقائق النعمان) بهذا اللون الدامي عندما كانت تبحث عن حبيبها فجرحتها اشواك هذه الزهرة التي كانت ناصعة البياض ، ثم ارتوت من دم عشتار . وفي شائعات اخرى كان التجار هم اول من لاحظ دماء ادونيس تصبغ النهر المعروف بهذا الاسم في لبنان (فينيقيا القديمة) وكان سبب هذه الصبغة هو انجراف التربة الحمراء للجبال وتفتتها وانسحاقها في مياه الامطار الشديدة

نحو تمثال الهي ، فهم يجرونه على الارض الى داخل الاسوار ويظنون ان هذا التحطير يجيب طلبهم بالمطر .. (٥)

ويستمر التشيد في ادانة الالهة والسخرية بها حتى يتحول الاسى الداخلي من الهزء الى الاحساس العميق بالمأساة ، فتعود صور الارض التي تموت والعذرى الحزاني التي يفيض الماء من وجوههن ، والكروم التي تدبل ، الى ذاكرة العيون التي تجوس حديقاتها في المدينة وتلاحظ تقهقرها الانحلالي ، وموتها القريب . وذلك يشبه الاحساس الحزين الذي يستولي علينا عندما يموت قريب لنا ، ثم ننساه لفترة قصيرة اثناء حكاية يتلوها صديق او دعابة ثم تتكشف هذه الغيمة الحلوة قليلا قليلا عن ملامح الحزن الذي يكبلنا ، فتستحيل الدعابة في الشعور الى محاولة منا مجرمة للنسيان او الخيانة ، وينقلب الحزن خزيا واحساسا بالتجريم المتعمد ، وتصبح المأساة حاملة لوجهين ، بدل وجهها الوحيد السابق ..

وصورة الاسد التي نطالعها بعد ذلك لها دلالتان ، الاولى منهما تتصل بأسطورة جلجامش ، وهو ذلك الملك السومري الذي ذهب ليفتش عن بنات الخلود ، وبعد رحلة طويلة ، وصل الى ارض الملك (عطنا بشتيم) الذي اطلعه على سر النبات الذي يهب الشباب كل من ياكله ، وبعد مقامرات عديدة يحصل على النبتة ، وفي اثناء غفوة له بجانب غدير ، يتقدم الثعبان بطيئا منسلًا وينتلع النبتة (وذلك هو سر استعادة الثعبان لشبابه بتغيير جلده كل عام ..) ، ويفيق جلجامش ليجد النبات مسروقا ، فيبكي « وتأخذ الدموع تجري على جدران انفه .. » والاسد يرمز في هذه الاسطورة مقترنا بالرجل العقرب ، الى الصعوبات الطبيعية المعينة التي تقف في وجهه ، وتعطل ارادته وتعيق طريقه ..

صورة الاسد تقترن في التشيد بالصورة السابقة ، وهي الموت المنسل بين النور والظلمة ، فتتموز يموت كل عام ويدخل من مملكة النور الى مملكة الظلام ، فحتى هذه الرغبة باثبات السريخ والحقاق بمملكة الغناء ، لا يحققها هذا الاسد الذي يرمز الى التعطيل والسي السد الذي لا يمكن اختراقه ..

والدلالة الثانية للاسد ، ليست دلالة ميتولوجية ، بل هي باطنية خاصة بالشاعر ، وكامنة في لاوعية ، ففي اكثر المعابد البابلية ، توجد صورة للاسد المجنح رمزا للبش ، وتذكرا بالالوهية والقدرية والعنف والوحشية .

اما الكشف عن هذه الصورة الباطنية فيرتبط ايضا بالصورة السابقة التي تعني في حاليها :

رفض القدر ان يستجيب الى داعي الانتحار ...

والجرح الناري يرتبط بالخنزير الذي صرع تموز ، وبالرغم من مصرعه يعتبر عطاء للارض واحياء لها ، ويرتبط ايضا بالمسيح الذي فدى البشر بجراحه المفتوحة التي يتدفق منها الدم الذي يصون البشرية ، ويحمل عذابها وجراحها ، وكما ان عودة المسيح تعني رفع الخطايا عن البشر ، فان عودة تموز تعني منح العالم حياة جديدة وروحا غنية شاملة ... بينما يرتبط لمرّة ثالثة ، بالتأبؤ في جزيرة جاوة

حيث يرمز الجرح الى هطول الامطار ، ويرتبط ايضا بالتقليد الذي استنته القرى في مقاطعة (اجهيو) في اتيويا ، وهو ان يسمح للقرى ان تتقاتل لمدة اسبوع في شهر يناير من كل عام ، استجلابا للمطر ، وقد منع الامبراطور منليك هذه العادة .. بيد ان الامطار توقفت عن الهطول في السنة اللاحقة .. الامر الذي جعله يصدر قرارا باستمرار هذا التقليد ، على ان يكون العرّال في يومين فقط كل عام .. (٦)

فالجرح والدم المتدفق منه ، رمز يستعمله التوحشون بديلا عن الاحتفال بدعوة الامطار وجلبها ..

وفي اتفاق تضامني ، تعود العيون الى جولتها الخارجية لتلاحظ المدينة ، وحالة الجفاف : لا مطر ، ولا نبات ، ولا ثمر .. وتمرح الاغنية الكئيبة عن القدر والظلم مرة اخرى ، باسى اشد حدة : « سيدنا جفانا . آه يا قبره !! » وهذه التسعة تنصب حتى على الحفرة الفائرة فاها ، والخابوة حتى من جرة بها نقطتا دم من الرب ، والخابية حتى من بذرة صغيرة تعني بشكل رمزي ، ان الحياة كامنة ولو بصورة ضئيلة في المدينة .. والقبر رمز بدائي ايضا وقديم للمطر ، استعمل في الشرق الاقصى وفي كاليديونيا الجديدة ، حيث يصبغ جالبو المطر انفسهم بالسواد ثم ينبشون قبرًا يستخرجون العظام منه ويعلقونها في شجرة لاستجلاب المطر .. وترمز الجرة المدفونة الى البضاعة المكنوزة التي تفك عنها اختامها في ايام الفقر والجفاف ، وترتبط بالجرة الفخارية التي يملؤها سكان نيجولاند الوسطى بالجمعة ويطلبون من الرب ان يفيثهم ..

وتنتهي الفقرة الاولى بمقطع في منتهى الاذلال من حيث الجسود النفسي ، وفي منتهى الابداع الفني من زاوية الجمالية والتعبير ، بالاشارة الى سرقة من بيوت النمل المفروض انه يسرق منا نحن الغلال ويختزنها . وذلك يكشف نضوب المدينة وامحالتها ، ومدى قرب نهايتها نحلا .. كل شيء في بابل ينتظر الاحياء .. بين ان الرب غافل عن هذه الطلبات الصامتة بالحياة ، وهذه الماسي الفارقة ، وهذا النضوب والجفاف في الارض والعيون ، وحتى في الدعوات . كل شيء ينتظر اشارة من الرب ببدء الحياة ..

ولكن لا بد ان الرب لا يستجيب الا بوسائل معينة ، وبواسطات مجعدة ومخططة ، واذا لم يصح البشر ، ولم يقلبوا الدنيا ضجيجا ورقصا وغناء لقهر لامبالاته ، فما من فائدة ..

واذن ، فالنشد الثاني هو محاولة لايقاظ اله المطر من غفوته ... يبدأ النشد بموكب من الاطفال والفاكهة ، وهما رمز لتعاقب الفصول في الحضارات القديمة ، كمبر ، والحديثة كبلاد العرب .. حيث يتم احتفالات المطر في الثانية واحتفالات الاطفال حين يختفي القمر خلف غيمة في الاولى ، بنفس المظاهرة من الاطفال والفاكهة ، او الاطفال وسعف النخيل ...

وينشد الصغار الذين يحملون سلال الصبار والفاكهة ، نفس الاناشيد التي يفيثها الناس الكنكوبون في كل مكان : سيدنا شاولنا . لقد قسوت علينا ، نبينا بما تريدنا ان نفعله لك .. اننا نموت يا سيدنا فاعط اطفالك المطر ، بينما نعطيك نحن خمرتك ... (٨)

بنفس الكلمات والمعاني يفرغ الاطفال لاله ان ينسى غصبه العدائي ، وان يذكر ان المطر ليس فقط للرجال الكبار ذوي الشوارب والاذرع القوية .. اذ انه ايضا للاطفال الصغار الذين تحبهم ، واذا كنت ايها الاله لا تحب الاطفال ولا تحن اليهم .. فمن تحب اذن .. وعلى من

The Hero with Thousand Faces

★

Joseph Campbell (PP. 185 - 188)

(P.B) Meridian Books New-York 1956

تصفي حنانك ..؟؟

ويبدو ان الاله يستقيظ في القطع الثالث ، ويحن لهذه القلوب الواجفة ، والشغاف الجافة المشققة ، والارض التي سودتها الحرارة ، ونبعث منها الدخان في القليظ .. يحن لكل ذلك بعد ان ذكره الاطفال بالوهيته ومسئوليته .. فيسقط المطر وتعود لبابل الحياة .

ان هذا العمل الفني الذي استمد ارضه الخصيبة من كل هذا الحشد من التراث الانساني ، بكل تفتحاته وكل ارتباطاته بالرجل الشعبي الذي يقاوم الارض ويقاوم القوى الباطشة بكل انواع المقاومة وصورها المتناقضة ، انما ينبئ عن عمق التصاقه بالواقع ، عن طريق غير الطريق المشهود الذي طالعه في الف قصيدة وترنيمه ..

فلا يعني الارتباط بالواقع ان يختشد العمل الشعري بصور العمال وقضايا الضربة التصاعدية ، وحال الفقراء في العالم . ان الشعر لا يكون شعراً اذا لم يكن مرتبطاً بالخرافة او بالدين او بالتقاليد الشعبية القديمة والحديثة او بالاحلام .. او بها جميعاً .. ! ولست اعني ابداً ان يهبط الشعر الى لغة الطريق ليجاري الاغنيات الشعبية . بل ان يكون الشاعر مفتوحاً على تراث امته الحضاري والثقافي جميعه ، شارباً من الوحل الذي يشربه الذين يقهرون بالاغنية تمردهم وثورتهم ، وخاضعاً للقوانين . لدومية التي تربط بينه وبينهم وتجعله المتحدث باسمهم .. ومن هذا الارتباط الداخلي بالشعب يمكن للشاعر ان يصبح اكثر التكلمين باسمه تأثيراً عليه واخضاعاً لروحه هو المتطورة ..

ان الحديث عن الواقع ينسرب هنا الى مجالات اكثر افصاحاً ، فما لا يمكن التعبير عنه بالمواجهة ، يمكن كشفه بالدائرة ، وهذا ما جربه الشاعر العراقي وقفز فيه بشعرنا الى اعماق المجالات التي انتهى اليها الشعر الغربي . ان الميثولوجيا تكشف عن الوسائل الموحدة التي يكافح بها الشعب العالمي المسكين مصائب الطبيعة ، ومصائب الحكام : بالاغنية والخرافة والصلوات ..

وفضل هذه الترنيمه انها استطاعت ان تبين ان ما ترمي اليه على انها اغنية وقربان يقدمه الناس الى الاله ليهطل المطر ، ليس الا رغبتهم وفعلهم وارتباط ذلك بارادتهم .. فاذا كان الرجل الشعبي في البلاد العربية قد قاوم بطش الالهة وبتش القوانين والحكام بهذه الصورة من اللجاج ومن الرغبة الحارة في ان يكون سيد مصيره .. واذا كان الغربي قد قاوم بنفس الصورة من الارتواء في حصن الميثولوجيا ، فاشلا في اثبات قدراته على التغيير ، فما اقرب الطريق اذن الى ازالة هذا الهم عن صدر الشرقي ، باتباع نفس الوسيلة الغربية ، التي التجأ اليها الرجل العادي بعد ان خذلته الخرافة . ما اقرب ان يقاوم بارادته وعنفه الخاص قدره ومصيره ، وان يخلق من جديد عزته وامجاده ..

بيد ان هذه الصورة هي الشكل الميتافيزيقي للقصيدة ، وعلى الذهن اذن مهمة ان ينقل ابعادها الى الواقع الحضاري . .

✱

مفزى الترنيمه ..

لا يمكن للشاعر او للنائر ان يتجاهل عصره باي شكل من الاشكال ، عصره الذي يعيشه ويحي مشكلاته وتعاينات اهله ، وحسراتهم ... وكل صورة من صور التعبير التي يستعملها لا بد ان تعود مرة اخرى الى التحسيس بمأساة يعانيها شعبه او يعانيها هو من خلال معاناة شعبه ، واذا شاء ان يتخذ الرمز اسلوباً مقلداً للوصول الى هدفه ، فلا يعني ذلك ابداً ان يضخم من استقلال عمله الفني ، بقدر ما يعني ان الشكل

عنده ربما كان خاضعاً اما لضرورة فنية ، واما نتيجة لظرف سياسي يعاينه وطنه .

والفترة التي عاشها الشاعر حين اخرج هذا العمل الفني ، هي فترة من اشد الفترات اظلاماً في تاريخ العراق الحديث ، حيث كانت الاسرة المالكة تحكم البلاد بيد حديدية ، والثروات يمتلكها الاغنياء والحكامون ، والاستعمار الانكليزي يؤازر الملك في البطش بالاحرار ووضعه في السجون . اما الفقراء فقد كانوا يسبحون في السل وامراض سوء التغذية والجهل ، وينظرون الى اطفالهم الذين تتحلب افواههم حين يشاهدون طعاماً معروضاً في واجهة .. ينظرون اليهم والحسرة تأكل عظامهم واكبادهم .. كان الوضع مذلًا للغاية ، وكريهاً للغاية ..

فالصورة الاولى للترنيمه ، هي صورة العراق الجائع الذي يموت في انتظار الامل او المعجزة التي ستفجر وشيكا فوق هذه الارض ، وقد وضحت المعجزة في شكل نبوءة مطلسمه ومفلقة : « وتوشك ان تدق طبول بابل .. » والصورة الثانية ، التي تبدو في شكل دعاء واسترحام للاله ليست في الحقيقة الا ابانة وافصاحاً عن نتيجة الفعل الارادي البشري في التطوير ، والصلوات القربانية هنا ، تقفز من مدلولها الى المدلول الآخر الرمزي . فاولاً هذه الضحايا التي تقدمت بشكل اطفال صفار - رمز تقاير الفصول - ، واكرر لفظة - تقاير - ، ما هطل المطر الذي يرمز الى الثورة والى الاطاحة بالحكم الفاسد ، واقرار حكم على مستوى ديموقراطي وشريف وعادل ..

والواقع ان هذه الصورة الجديدة في تحويل دلالة الاسطورة من مجرد الطلب الخاشع للمطر ، الى التأكيد على فعالية الارادة الانسانية التي

الى المشتركين الكرام

في قاموس « لسان العرب »

تعلن دار بيروت ودار صادر الى المشتركين ان ثمن الجزء الواحد من « لسان العرب » سيصبح ابتداء من اول السنة الجديدة ١٩٦٠ اربع ليرات لبنانية بدلاً من ثلاث ليرات .

لذلك نرجو من حضرات المشتركين الذين لم يستكملوا مجموعاتهم ان يسارعوا لشراء الاجزاء التي تنقصهم قبل الموعد المذكور

دار بيروت

دار صادر

وذلك لانه مرتبط بالمناخ العميقة التي تغذي الموسيقى . وبسبب من ذلك يستحيل الشعر العقلي الى هم منطقي ، تنتهي حياته بالانتهاء من مناقشة فكرته ..

والشاعر الاصيل هو الذي ينمي الساحر القديم فيه، وذلك مقدار انتمائه الى الشعر ، اما انتسابه الى العصر ، ففي تنميته للعلاقات الاجتماعية بينه وبين اطباء وطنه ، مدركا لمشكلاتهم ، وغائضا في اعماقها .. فالشاعر الجيد اذن هو مقدار ما يحمل من اساطير مختزنة في باطنه ، ومقدار ثقافته ووعيه الدائم المتطور ..

ومن قديم كان للاسطورة هذا السحر الجليل في افئدة الناس ومشاعرهم ، طالما الاسطورة لا تفترض نقاشا او معارضة ، بل تتطلب تسليما وخضوعا وخوفا وخشية ، وكان الفرد بالقياس الى ضربات الطبيعة القاسية شيئا صغيرا يمكن ان يسحق وان يموت بمنتهى البساطة، ولذلك امكن للاسطورة ان تتم في الانسان هذا الشوق الى الاعتراف بالعجز والصغار ..

وكان ذلك هو هم الانسان القديم ، ولذلك اخترع الله واخترع الدين والشيطان . اما الانسان الحديث فقد مكن له ذهنه ان يحقق اشياء كانت في القديم احلاما وامنيات ، واصبحت الخرافة والاسطورة في وعيه تعبيرا عن عبوديته القديمة ، وانتسابا الى عصر كان فيه اقرب الى الحشرة وابتعد عن الانساني فيه ..

فاذا شاء الشاعر في الانسان الحديث ان يستخدم الاسطورة ، فلا بد ان يقفز من دلالاتها السيئة القديمة الى دلالة جديدة تحقق ما حققه الانسان نفسه في الحياة ، فتقلب البكائيات الى دعوات للتفسير ، وتتحول القرابين الى صورة من صور الارادة البشرية في التطور وفي الانبعاث ..

وذلك ما حققه هذا الشاعر الشاب بادق مما حققه الشاعر الانكليزي المعاصر (ت.س. اليوت) فمن المعروف ان دلالات اليوت الانثروبولوجية ، هي نفسها الدلالات القديمة ، ولا يمكن ان تخرج عنها ، او تفترض معنى جديدا لها .. فلا يمكن ان نقفز من دلالة بارسيفال ، لفيرلين في السطر ٢٠٢ من الارض الخراب ، حتى الى دلالاته عند فاجنر ، فضلا عن دلالة حديثة له ، وكذلك الدلالة الكاثوليكية في نهاية القصيدة ، والتي استعارها من الاصول الثلاثة عشر للابانيشاد ، لا يمكن فصلها عن بقية الايات التي هي دعوة عنيفة للعودة الى حضارة القرون الوسطى، وترويج الكنيسة ملكة على الانسان . انه نكسة بشرية توازي اية نكسة قبلية اخرى تطلب من الانسان ان ينزع عنه رداءه الانساني ، وان يعود الى الوراء تابعا وحقيقرا ، كما كان .

اما الشاعر العراقي ، فقد قفز بالاسطورة من تحقيرها للانسان وتصغيرها له ، الى التاكيد على فعالية الارادة البشرية ، والى الحضي على العدالة والانسانية ..

ان العمل العظيم يعلن عن نفسه ، ويكشف رواده في لحظة وحيية وعبقرية ، وهذا العمل الشعري الجدير بالدراسة ، سيظل الى اجيال بعيدة مقياسا لارتباط الوعي والاخلاق والجمال بالحس البطولي والانساني والاسطوري في الفرد الشرقي الحديث (٢) ..

محيي الدين محمد

القاهرة

(٢) الارقام من ١ الى ٨ ، اشارات ميتولوجية من كتاب (الفن الذهبي)

لغريزر .

(The Golden Bough) Sir James G. Frazer

تعمل وتخلق وتقاوم ، هي تطوير للمثولوجيا وتجنب لها من الوقوع في عثراتها المألوفة . فلو كان الدعاء ، دعاء وحسب ، لتوقف هطول المطر على مجرد الامكانية . ولكنه في الترنيمه يسقط فعلا ، وكذلك العمل الانساني ، انه يؤدي فعلا الى ازالة الطغيان ..

والصورة الاخيرة من القصيدة ، هي مقدم الثورة وانتصار القوى الفقيرة على الاذلال والدكتاتورية والطبقة الحاكمة والظلم ، في صورة قطرات المطر التي تفصل بابل من عارها ومن خطاياها .. (٣)

✱

تقييم للترنيمه ..

لم نقرأ في شعرنا الحديث عملا موحيا وفنيا بهذه الدرجة من الاتساع والعمق والجمال . واذا كانت قصائد قليلة قد ايقظت فينا حبنا للكلمات الحلوة ، فان هذا العمل الفني الكبير قد ايقظ فينا وعينا وادراكنا بضرورة انتقال الشعر في مفاهيمنا من درجته اللفظية الى الدرجة العظمى من الارتباط العميق بين الفكرة والرمز والشكل ... نادرة جدا في تاريخنا الفني ، الاعمال الشعرية التي ترتبط بالانثروبولوجيا الحضارية وبالخرافة ، والدين والموروثات الشعبية ، بقدر ما هو ثقل انتاجنا الشعري الذي يهتم بالمعاطف الفردية المجردة ، ويهتم بحشد الالفاظ الجميلة المسكونة بالاهواء ..

ان الشعر هو اقرب الغدران الى الدين واقربها الى السحر والخرافة،

(٣) الانحراف الذي حدث في ثورة العراق ليس مما يشين نبوءة الترنيمه ، انه يعطيها املا جديدا في تصحيح الاوضاع ..

مجموعة اعلام الموسيقى

تعرض حياة عباقرة الموسيقى واثر المرأة في حياتهم

صدر منها	:	ق.ل.
١	بتوهوف	ترجمة الدكتور علي شلق
٢	شويان	» خليل الهنداوي
٣	تشايكوفسكي	» الدكتور فؤاد ايوب
٤	كورساكوف	» الدكتور فؤاد ايوب
٥	ليست	» بهيج شعبان
٦	موزارت	» بهيج شعبان
٧	باغانيني	» بهيج شعبان
٨	فاغنر	» بهيج شعبان
٩	شوبرت	» الدكتور فؤاد ايوب
١٠	الفن الغنائي عند العرب	تأليف : نسيب الاختيار

أزمة البطل المعاصر

بقلم مطاع صفيدي

القسم الثاني العربي الثوري المعاصر

تمهيد

عانى العرب ، في تجربتهم الماضية ، نموذجين من الثوري ، يبدو ان احدهما ينافض الآخر ، وذلك بين الجاهلية والاسلام . اولهما ، في الجاهلية ، هو نموذج الثوري الفنان ، وفيه تتمثل وحدة الانسان والطبيعة في سبيل النشوة البطولية . وثانيهما ، في الاسلام ، هو نموذج الثوري الاجتماعي ، وفيه تتمثل من جهة انفصال الانسان عن الطبيعة واتحاده بالطلق ، وذلك على اساس تنظيم مجتمع اسلامي يعمر قلبه اليقين وينصرف عقله للمعرفة الكلية ، وتتنظم طبقاته بحسب تسلسل درجه القداسة والقوى .

ولكننا اذا بصفتنا الامر عن كتب ، وجدنا ان هذا التناقض بين النموذجين سكلي في حقيقته وسطحي . فكلنا الاندفاعيين الجاهلية والاسلامية انما صدرنا عن ذات الموجود العربي نفسه في مرحلتين من تفتح شخصيته التاريخية . وهما مرحلتان تمان الى هذا الموجود ذي الطبيعة الاساسية التي تنافض في طورها ، بفدر ما تفصح عن تكاملها ونموها . والواقع اننا نستطيع ان نجد هذه الطبيعة ، الثابتة في ينبوعها الاول ، تقوم على نزوع عنيف نحو المثل الاعلى . والنزوع الجاهلي كان مثله الاعلى خلق الفرد على صورة البطل . والنزوع الاسلامي كان مثله الاعلى تنظيم الانسانية بحسب نظام ميتافيزيقي يحقق السلام المطلق .

وفشل الاول ، او بالاحرى استنفد امكانياته ، عندما كون افرادا احرارا ، اسطوريي البطولة ، ولم يستطع ان يكون مجتمعا موحدًا حرا . وخاب امل النزوع الثاني (الاسلامي) عندما حاول ان يفرض نظاما وحدويا على انسانية ممزقة الاهداف ، هرمه في اكثر جنورها الحضارية ، متنوعة الشخصية والشفافة والابجاء ، وقضي على الفرد وانسحق كيانه امام القدر وفكرة المصير السلبي الذي اشاعه روح اسيانة ، من ثقافات منحصرة ، انصبت عليه من الغرب الهليني والشرق المتصوف . وكان من نتيجة ان فني العربي في بحران الشعوبية وفشلت مثله ، وحول عقيدته في النهاية الى بربر طويل كئيب لاندحاره وفراره من الدنيا -

ومت بذلك دورة تاريخية حافلة كاملة ، واصبح الطور الاخير من حضارة العرب المنصرمة نوعا من الدوران حول الذات واجترار انواع الابداعات السابقة ، ويدل على ذلك الادب المصطنع وكتب الشروح اللامتناهية لكتب عصر الانتاج السابق . هذا عدا عن غياب القيادة العربية نهائيا من المسرح السياسي ، وفنسي التجزئة بكل اشكالها من سياسية وطبقية اجتماعية ، وعائلية ، وعنصرية ، ونفسية . وساد السكون ارض العرب ، ودخل التسعب في صمود الظلام ، ولم يبد نامة طيلة العصور التركية .. ولم يبق على المسرح الا الخليفة العثماني ،

رمز الاندحار العربي ، وحاشيته وحروبه وغلماؤه وجواريه . وكما يتكون كل موجود من سديم البداية ، وينتهي كذلك الى سديم انطفاء ويفقد كل حركيته وشكلاته الانسانية ، كذلك غاب العرب في سديم انطفائهم . غابوا ولم يزولوا . وتلك هي خاصة الامة العربية التي تعطيها سمعة الخلود . فلهم قدمت امة العرب على مسرح التاريخ من حضارات متتابعة ، وكانت بين اندفاعه واخرى يغبو لهيها ويختفي حركها كأنها فضي عليها الى الابد ، ولكن عودها الى ذاتها ما هي الا فترة تجمع فيها فواها وتنضج لها دورة اخرى من الامكانيات ، وتتنظر دورها في مناسبات التاريخ الكبرى لنقدم نوعية من الحلول والمعاليم والاعمال (رسالة نظرية وعملية) تناسب ازمة العصر ، هذه النقطة التي تتقاطع عندها مشاكل الحضارة في فترة انقلاب وتصفية ، بحول ابجاء الانسانية وتنهض بها لمسؤولية جديدة .

وعصرنا هذا هو عصر بداية جديدة لدورة اخرى ، ستنبثق خلالها الفعاليات الحضارية للامة العربية تلقاء اقصى ظرف نصفي فيه خطوط التاريخ الانساني كله . وتتحرك الامة العربية ، وتدفع بحركتها تدريجيا عبر المجال القومي والعالمي ، حتى تبلغ درجه تستقطب فيها رعب العالم وامله في الوقت ذاته . ومن خلال الاحداث الكبرى التي لعبتها اجزاء جبارة من الامة العربية تنكشف حقيقة البعث الجديد الذي يعانيه وجدان الامة . انها حقيقة ثورية ، من نوع فريد رهيب ، ما عرفته ثورية العرب سابقا ، ولا نكاد نعرفه ثورية الغرب كذلك . ولعل خصوصية هذه الثورية الرهيبة ناتية من نموذجها الغريب . وهو نموذج يكاد يكون مخلوقا من العدم ، تتصالب فيه مثل جبارة من الصعب ان نجتمع في نموذج واحد ، ولكنها قد تلاقي كلها في ذروة التصلب ، بطابع مطلق من السلبية . فتتفق اذن جميعا في انها مثل سلبية . ولكن من فعاليتها السلبية هذه تتولد ابعاد نضالية جديدة في الحياة والابداع ، وتفتح آفاق ايجابية للعيش والعمل معا ، ليس بالنسبة لامة العرب ، بل للعصر الانساني ، كمادة كل انبعاث عربي في كونه دائما انبعاثا محملا باتجاه انساني ، ان له رسالة شاملة .

فمن هو هذا النموذج الثوري في العربي المعاصر ، ما هي ملامحه ، وما هي ابعاده المأساوية ، وكيف ينمو من خلال اصطراع عناصر الاصاله والزيف فيه وما هي مستواه التي يصاعد من احدها الى الآخر ضمن تجربته القلقة القامضة ؟

عربي العصر ثوري اشكالي ، انه ينطلق في حركيته الممزقة من اناه الفردية اولا . واول ما يفعل فانه يعلن عن ذاته بهذه الصرخة : انا ثوري !

اي انه يبرز لذاته وهو ضمن هذا الوضع الوجودي . فهو يؤكد حقيقته بهذا اليقين المبني الذي لا يحدد شيئا بعد ، وان كان اشارة

أجبر نفسك

من عدد الاداب الممتاز

((الادب الثوري))

ملهمة لهذا الكائن ، وما يمكن ان يتوقعه هو من تأكيد الدرامي ذلك. وفي هذه المرحلة من تجربته لابد لنا من ان نحلل فيه صيغه الوجودية المختلفة التي يتبدى من خلالها ككائن ثوري . وسترى ان هذه الصيغ ليست في حال من السكون والجمود ، بل انها انبثاقات داخلية غير مستقرة ، لا تلبث ان تبرز حتى تتلاشى ، وهي في صراع مستمر ضدها وضد ما يعاكسها في الوقت ذاته . وفي اعماق هذا الثوري ستلمس دياكتيك الوجود والحرية في اعنف مظاهره قسوة وشراسة ، ونبلا ايجابيا مع ذلك .

غير ان هذا الديالكتيك ، سيصير الى مرحلة ذاتية ثانية كذلك ، وفيها يعي الثوري تجربته الفردية ، ويطرح مشكلة توريته ، مقيما اياها اولا بحسب معطيات واقعه الثوري ، وايجابيته الخاصة لتلقاه . وسيسال هذه المرة الى جانب تأكيده الخام الاول (انا ثوري) سيسال (لماذا انا ثوري ؟) . وهنا تنضج فعاليات الديالكتيك الوجودي في اعماقه . ولا بد لها من عملية وعي شامل لها وجنري . وهو وعي سيكون من طبيعة هذه الثورة ذاتها ، اي انه ليس وعيا نهائيا . بل هو نوع من الانارة الداخلية التي تشع من عناصر الثورة ذاتها ونحو ذاتها . فلا يمكن ان ينفصل وعي هنا عن موضوعه ، ولقلق الموضوع وحركيته فان وعيه كذلك قلق وحركي . فلا حدود ثابتة في معركة من اجل ان اكون انسا الحر . وكل بطولة تتخطى ذاتها ، وكل حرية تسخر من حرية اخرى ولدتها .

(لماذا انا ثوري) موجه الي اولا ، وهو لايشير الى اي تجريد او انفصال تأملي عن تجربتي . انني في سياق تجربتي اود ان اعياها ، اي ان احيط بها ككل ، وبحركيتها . وهنا كان وعيي في حقيقته موقفاقيما، ليس في حدود قيمة مفردة واضحة بعينها ، ولكنه وعي في حدود الاطلاق القيمي ، فقد تجاوز تبريره الاخلاقي الجزئي . وهو ينزع الان الى تبريره الكوني من حيث انه هل ينبغي له ان يوجد ماهو موجود عليه او الا يوجد اطلاقا . فانا لا اتساءل عن مبرر عقلي لثوريتي ، بقدر ما الح في تقدير مدى الاصاله في هذه الثورة ، وما يمكن ان ينبثق عنها من عمل حر حقيقي . لان ثوريتي قضية لاتخص احدا غيري اولا ، وانا مضطر ان انقلب عليها فاحصا بين ان واخر ، لادرك معطيات نموها الجديدة ، واقبها من حيث انها هي هدف ذاتها دائما . وفي موقف الثوري ليست مسألة البواعث ، لها ذات اهمية الثورة نفسها ، فقد تكون ثمة بواعث او لاتكون . لان كل باعث على الثورة هوجزء من الثورة ، هذا اذا مآذكرنا دائما ان الثورة التي نعيشها ليست هذا العمل الجماهيري التخريبي الموقت ذا الطابع السياسي والظرفي . وبالتالي ليس للثورية اهداف مرمية الى افق المستقبل وكحد زمني لها . لان كل ثورة هي هدفها . وهو جزء عابر من نمو الثورة ذاتها وليس جدارا تتوقف عنده .

انني اتساءل لماذا انا ثوري بقدر ما اكون انا ثوريا في موقعي الذاتي الشامل . ولكن لا يفهم من هذا انه ليس ثمة شروط واقعية محيطية بالفعالية الثورية . بل هذه الشروط موجودة دائما ، ووجودها كذلك ليس على مسافة من الثورية . لان كل ثورة موقف في العالم المحيط كاشياء ، والمبطن للموقف الثوري كشرط مطلق . فلا تخلو كل ثورة

من ابعاد مجسمة حولها . ولكن الخطأ هو اعتبار هذه الابعاد هي حدودها الثابتة حقا . بينما هي مجرد تجسيم اضافي للفهم الجزئي الذي يساعدنا على اعطاء الثورة ضمن اطارها الاجتماعي اليومي (١) ويتبع الوضع التساؤلي الثاني هذا ، وضع تساؤلي ثالث وهو : انسا الثوري ، كيف انشور ؟

ومن الواضح كذلك ان هذا السؤال لايطمح في تبيان الطرق الثورية المجدية . انه سؤال يقع ميدانيا على شيء متحقق بالفعل . فالموقف الثوري هو الذي يطلق هذا السؤال حول موضوعه هو بالذات . ولذلك فانه يتطلب جوابا وصفيا للثوري وهو في حال التحقق والتنفيذ . وهو يفترض ان كلية الثورة تنابع حركيتها الحية من تلقاء طبيعتها الخاصة . فما هي هذه الطبيعة اتكون من صنع ارادة عابثة ، ام انها معطى قومي وميتافيزيقي للعربي الانسان في هذا العصر . وما معنى ان تكون الثورة قومية ، وما هي سوالها كالثورة الطبقة الحقدية والجزئية السياسية المبصرة . وهل الثورة موقف عارض ام بديء ومستمر . وما هي المراحل التي تمر فيها الثورة من داخل ، وما هي افاقها الوجودية والانسانية . وهكذا يتم ويتكامل وعي الثورة بصيغها الثلاث :

انا ثوري !

لماذا انشور ؟

كيف انشور ؟

انا ثوري

(انا ثوري) تلك هي الصيغة الخام التي ابرز لذاتي من خلالها ، قبل اي ايضاح اخر . وهي صيغة تحمل عنف التأكيد وسذاجة الانطلاقه الثورية الاولى . ولكنها تستل النواة الايجابية للموقف الثوري كله مهما طرا عليه من تطور ونمو وتعميق . انها بمثابة التأسيس الوجودي للذاتية العربية ، عندما تنقلب هذه الذاتية على شروط الواقع المضاد للموقف الثوري ، في جموده وسديمه . ومن هذه الصيغة الاولى سيتحدد ارتباطي بالامة . انها الرمز الذي يميزني عن الواقع الفاسد المحيط بي في عين ذاتي رمز لا يحدد اي شيء ، بقدر مايفصل فحسب بيني وبين واقعي . فصيغة (انا ثوري) تساوي ، في هذا المستوى ، (انا منفصل) . ويمكن ان نقبل الان موقنا ، وفي بداية دراسة هذه الصيغة ، ان الانفصال يقع بين (انا الثوري) وبين مادعونا (الواقع الفاسد) ، غير اننا نرى ان هذا الانفصال لن يبقى على درجة واحدة وفي مستوى واحد ، ولن يقف عند حد التعميم كان نقول (انا الثوري) و (الواقع الفاسد) . اذ اننا سنلقى في اعماق هذا (انا الثوري) حركة مستمرة ، تربطه بالواقع الفاسد ، كما انها تضع هذا الارتباط في علاقات جدلية متناقضة ومتغيرة ، تتجاوز اوضاعها ، وتخلق في كل لحظة نمو صيغة وجودية جديدة تتطلب موقفا سلوكيا اخر ، وبالتالي تطرح مشكلة العلاقة الثورية طرحا ثانيا ، فليس هناك وضع ثوري معين يمكن ان تتجمد فيه هذه العلاقة الحركية المأساوية بين انا الثوري والعقبات التي يفترضها مقابلا له . فلنبدا اذن بالوصف الاول لانبثاق (انا الثوري) ، كيمنا نستطيع ان نحدد بعض ملامحه العامة ، ثم نتابعها بالتحليل متقصبين كل الصيغ التي يمكن ان تحدد العلاقة المأساوية بين (انا الثوري) وبين عالمه المعارض عليه .

ان الانبثاق الاول للانا الثوري هي محض تأكيد عفوي ، ينطوي على اتجاهات سلبية وسالبة مختلفة ، تترى بدون انقطاع ، في سبيل (١) كل هذه النقاط الكثيفة سنرى لها ايضاها فيما سيتبع من عرض

الان مباشرة .

من اكون من الثورين ؟

ان الصيغة الاولى (انا الثوري) تقدم لي الجواب ، وهي انني : انا الثوري ثوري فردي ، وفي الواقع ان الفردية هي بدء الانقسام في كتلة السديم التي يتشخص من خلالها الوجود العربي قبل ان تحسه تجربة البعث بحركيتها وتمزقها .

ان بروز الفرد من سديم الكتلة هو غاية الفردية . وبين ان يتشخص الانسان كموجود فردي او كموجود سديمي تتضح مشكلة الثورية وهي في صراعها من اجل ان تثبت سلبيتها وايجابيتها معا . فها نحن امام طرفين متناقضين من الوجود : الفردية والسديمية . ولا يكاد يفهم طرف بدون الاخر . فالتجربة اليومية تقدم لي حسا اوليا فقيرا ، وهو ان كل شيء متداخل في كل شيء ، وانا ذاتي جزء من هذا التداخل الاعمى . فكان هناك كتلة غفلا ، مؤلفة من مادة هلامية ، تتلصق كل تشخص محدد قد يتضح من خلال حركتها المعجنية حول ذاتها ، فلا تبقي شيئا خارج هلاميتها ، وبالتالي لا تسمح لهلاميتها ان تنضج من خلال اية سمة الا هذه السمة ، وهي ان كل شيء موجود وفي ذات الوقت غير موجود ، لا بالمعنى الديالكتيكي ، بل بمعنى هذه الحال من الميوعة غير المائعة تماما ، ومن الهلامية غير الهلامية تماما . فهي تكاد ان توجد ولكنها تقصر عن ان تبرز من خلال اي تعين .

ان السديمية لا تشبه حالة الفوضى البهنية المعروفة في الفلسفة باسم Chaos فهذه الاخيرة حالة مجردة يفترضها الذهن التأملي كما يحدد مرحلة سابقة على التكون ، ليست هي بالوجود ولا بالعدم ، وانما قد تتضمن امكانية الاثنين معا . انها مرحلة ترمز الى الاعمقولية المطلقة التي تسبق عمل الفكر ، وهي اشبه بالمادة الخام القابلة للتشكل حسب اتجاه الذهن في التجريد والاندراك . وامسا السديمية ، التي نتحدث عنها ، فهي في الواقع ليست مرحلة سابقة على التكون ، كالاولى ، وانما هي تعبر عن مرحلة لاصقة بالتكون . وهي بالنسبة للتكون الذي سبقها تشكل هبوطا وانحلالا ، فهي لا تعين المعين ، ان صح القول ، اي هذه العملية المتقهقرة التي ترجع كل متشكل ومحدود الى حال اللاتشكل واللاتحديد . فتسلب الاطر ، وتهدم الاشكال ، فتجميع المضامين ونسيل على بعضها ، وتنطمس معالمها ، وتتداخل هكذا حدودها ، حتى تتحول كلها اخيرا الى كتلة لا اسم لها ، لا قيمة لها ، لا تحديد عقلي يشملها ، مجافية لكل صفة ، انها هي ، وكما هي ، شيء غير معقول في ذاته ، يدهم الوعي الانساني . وهو لا يحافظ على مجرد وجود حيادي من الوعي ، بل انه ينزع كذلك نحو طمسه ، وجذبه الى بحرانه ، ان السديمية من طبيعتها انها لا تملك نزوعا نحو التكون كماهي سديمية الكؤوس . بل ان نزوعها كله عبارة عن حركة طفيان وجذب نحو الداخل ، وهضم في الداخل لاية صيغة تكوينية . حركة نزوع نحو اللاتكون ضد النزوع نحو التكون .

ويمكن ان نقارن كذلك وجود السديمية ، بوجود ال (هم) عند (هيدجر) . فالهم تعبير عن الغياب ، بمقابل الحضور الذي يمارسه الوجود المشروع وهو يواجه الشرط الانساني القائم على العدم . ويصفه (هيدجر) بانه وجود لا شخصي ، يشمل كل الناس الاخرين ما عدا الوجود المشروع (Dasein) الحر . هو قائم في حياته اليومية على ممارسة الماييس الوسط في كل شيء ، فلا يقبل لا الشاذ ولا الغريب . وفي سبيل

(1) La PH. de M. Heidegger P. 64 - 79

ان يتكامل موقف هو في ذاته غير متكامل ، اي لا يبلغ قط درجة توفقه ما دامت العلاقة المساوية قائمة بين ثوريتها والواقع المثار عليه .

وفي الحقيقة ان (انا الثوري) هو في حد ذاته صيغة مشتقة عن صيغة اعم منه ، وبالتالي افقر مضمونا ، وهي (الوجود - في - العالم) . اذ ان الواقع الانساني لا يمكن ان ندركه الا من خلال هذه الصيغة ، وهو انه قبل اي تفكير او تبرير فانه موجود - في - العالم . وكما بينت الدراسات الفينومولوجية والوجودية فان مثل هذه العلاقة هي الاساس الوجودي للواقع الانساني ، وهي بقدر ماتهم مشكلة البروز في العالم فانها لا يمكن البرهنة عليها ، لانها هي النقطة الاولى التي تنطلق فيها كل التعليلات الوصفية الاخرى للصيغ الوجودية . ولقد اوضح (هيدجر) بصورة خاصة كيف ان الوجود - في - العالم يمكن ان يبرز خلال شكلين ، اولهما شكل لا مشروع غير حقيقي ، وهو وجود ال (هم) الضائع في اهتماماته بين ادواته الشئئية ، والهارب من مواجهة تعليل معنى وجوده في العالم هذا التعليل الذي سيحمله عبء امكانياته الخاصة ومسؤولية تحقيقها تلقاء الامكانية الكبرى ، امكانية اني موجود سيموت . وشكل مشروع حقيقي ، لم يحدثنا عنه هيدجر باكثر من اشارات وتعريفات عامة ، لانه في حد ذاته ليس موضوعا للدرس ، بقدر ما هو تجربة معاناة . ان هذا الشكل من الوجود لا يقدم لي مضمونا معينا اذا ماتبنيته حصلت على هذه القيمة المشروعة في نظر ذاتي ، بل يضعني في قلب المازق ذاته دون ان يبين لي الحل . فكانه اذن يقوم على منهج او طريقة للجهد الوجودي تلقاء كشف معاني بالنسبة لطلق الامكانية ، من خلال تحقيقي لامكانياتي الجزئية المحدودة .

و (انا الثوري) هي في حقيقتها ، اذا اردنا ربطها بالصيغة الاعم (الوجود - في - العالم) كانت صيغة خاصة من الشكل الثاني للوجود المشروع ، تقدمها كذلك تجربة خاصة ، يعاني اشكالها الكائن العربي الحديث الذي يمت الى عصر البعث . ولهذا فان هذه الصيغة وتجربتها البعثية التي تنبثق عنها ، بحاجة الى ابصاح يخصصهما وحدهما ، وذلك بالاستناد الى تحليل المعطيات الحية التي تقدمها المعاناة اليومية المسؤولة لمفاصلها ، وواجه تحقيقاتها ، والمشاكل التي تثيرها اثناء هذا التحقق .. غير انه اذا كانت (انا الثوري) صيغة مشروعة من الوجود المشروع في التجربة البعثية المعاصرة ، الا ان لها كذلك تناقضاتها الخاصة التي تحتم في كل ان ، من نمو التجربة ، طرح مشكلة تقييمها من حيث اصالتها وهجنتها . وسنرى ان كثيرا من الاشكال التي تبرز خلالها صيغة (انا الثوري) نمت الى هجنة فاجعية ، وانها كثيرا ماتعرض هي ذاتها للرفض من قبل ذاتها . او انها قد تتحول الى مصدر قلق عقيم ، يؤذن بفشل التجربة كلها .

فكيف نواجه الان هذه الانبثاق العفوية الاولى في عالم التجربة البعثية (انا ثوري) .

لا بد لنا ، قبل كل شيء ، من ان نصعد من ابسط المعطيات التي تبرز من خلالها امام وعينا ، فتتساءل من اي نوع من الثورين يكون هذا الانا الثوري ؟

وفي الحقيقة هذا السؤال ينقسم الى شقين : شق يتطلب منا ان نقارن الثوري الذي نقدمه هنا بالنماذج الثورية التي سبق ان عرضنا لها موجزا في الغرب ، وهذا ما نتجاوز الان لنهاية الدراسة ، والشق الثاني يدفعنا الى حصر تحليلنا في الملامح الواقعية الحية التي ينبجالي من خلالها هذا الثوري وهو في صميم الفعل والمعاناة . وهذا ما سنتناوله

قصيدة وفجائية قهوة

مقهى ، ووجوه تختنق
وعيون ، يأكلها القلق
نظرات ، تقفز هاربة
أبدا ، وخطوط تنسحق
ولفافة تبغ ، تحترق

☆
ضوضاء ، تفرق في ضوضاء
وتقط ، بغفوتها ، الأشياء
كسل ، يتمطى ، من خدر
وفراغ ، يختطف الأضواء
ونصال ، ترقص جائعة
والعالم ، مصلوب أشلاء
تسكع آلهة ، حمقاء
ولفافة تبغ ، تحترق

☆
وتفر طيوف ، تنطلق
والوهم ، زجاجي الق
والحلم بزأخر لجته
انهار فراش ، تصطفق
وتساقط أجنحة بيضاء

☆
يا كهف الزئبق ، يا فنجان !
يتلع الوحدة ، والأحزان
رأس ، تتدحرج طافية
ومحنطة ، بسحاب دخان
وترجرج وهج ، محتبس
وتلوى خيط ، من ألوان
ولفافة تبغ ، تحترق

☆
مقهى ، ووجوه تختنق
وحروف تسقط ، باردة
وجفون ، يمضغها الورق
جيف الألحان ، بغير دماء
تهوي ، متكدة صفراء
وصنوج اليأس ، مولولة
والفكرة ، أسوار صماء
والموت ، ظلام منطبق
والرياح ، تموء بكل مكان
يا كهف الزئبق
يا فنجان (x)

عبد الباسط الصوفي حمص

(x) من مجموعة « أبيات ريفية » المدة للطبع

تعميم هذه المقاييس يفترض شخصية وسطا كذلك ، ويطالب الكل بأن يتقمصها . والفرد عوضا من أن يواجه امكانياته الخاصة ، ويعاني أزمة وجود ، فانه يفر من القلق الى الامان بأن يتقبل كل الأفكار الوسط ، كل المواطنين والمفاهيم المتداولة من الهم ، وبهذا يرتاح من جهة ، كما انه يتخلص من عبء مسؤولية كبرى وهو ان يكون ذاته الخاصة وليس ذات الكل .

فما هي علاقة هذا (الهم) بوجود السديمية الذي نحن بصده الان ؟ من الواضح ان هيدجر في هذا المصطلح يريد ان يحدد لنا وجود السواد الاعظم من الناس ، الذين يتخلون عن شخصيتهم الفردية ، ويستعمرون شخصية الجماعة ، ويتبنون ترائها في كل فروعه ومستوياته ، وهم هؤلاء الذين لا تجربة وجودية خاصة بهم ، وبالتالي لا عمق ميتافيزيقي لهم . وهو في هذا التحليل الرائع انما يستند كذلك الى ما كان اشار اليه كيركيجارد في مصطلحه الخاص (Plebs) كما بين ذلك جان فال في كتابه عنه . وما قصد كذلك كيركيجارد بهذا الا ان يصنف الافراد الوسط الذين لا يملكون اي اشكال شامل ، اللهم الا ما يقلقهم بالنسبة لحاجاتهم الاولى حتى قال كيركيجارد في مذكراته : « يوجد اناس في الحياة كانهم احرف نداء في الخطاب لا تأثير لها على العبارة . (1) » ان امثال هؤلاء يؤلفون في الواقع عقبة الحرية .

غير ان هذه السديمية التي نعيشها هنا ، وان كانت تبدو انها شكل خاص من (الهم) لا يعرفه هيدجر ، لان الحضارة الغربية التي يعيش فيها لم تقدم له مثل هذه التجربة ، الا انها مع ذلك تختلف عنه . وهو اختلاف يبدو لنا جيدا عندما نتأمل خصوصية التجربة العربية مجردة . صحيح ان كلا من السديمية و (الهم) يمارس نوعا من الطغيان المستبد تلقاء الفرد الذي يحاول ان ينفصل عنه ، الا ان الوجودي الهيدجري تنتهي محاولته عند حد الالتقاء بحريته التي يحققها في عزله السلبية . واما الثوري العربي فهو لا يكتفي بالانفلات من قبضة السديمية بل ينقلب ضدها ، مناضلا اياها ليس في اعماقه الفردية فحسب ، بل في اعماق الذات الاخرى المحيطة به ، لان الثورة العربية ، رغم انها فردية ، الا انها تحمل طابع التحريض لان يكون كل انسان فرديته الحقيقية ، اي ان يخضع لشرط العربي المشروع ، ولا شرط الا ان يكون العربي الثوري . فالسديمية العربية اذن هي شكل خاص من (الهم) ، لانها تلتقي معه في جذورها الوجودية . ولكنها مع ذلك تختلف عنه ، في كون السديمية معرضة هي نفسها للهدم ، في كل لحظة تنبثق تجاهها ثورية اصيلة ، فتنتقل الى صميمها وتبعثر تكتلها المتخثر . وفي كون هذه السديمية افزع بطشا في طفيلاتها ، واقرب الى ان تكون كتلة مادية فقدت جميع عناصرها الانسانية كما سئرى . واذا كان (الهم) صيغة مطلقة للوجود اللامشروع بالنسبة للانسان ، فانه بالنسبة للعرب يتحمل جميع سوابل الوجود القومي المقاوم للثورية . وهكذا رغم مادية السديمية فانها تنزمن ، وينظر اليها من قبل الثوري على انها من صنع الماضي ، ليس الماضي الانساني ، بل هذا الماضي ذو الخصائص المحددة الذي كان لامة معينة خلال تاريخها القومي الذاتي . انها من صنع (الهم) الماضين . واما الهم الحاضرون ، فهم الذين يتابعون ما صنع لهم . انهم مخلوعون عن ذاتهم ، يحيون في الحاضر ، ولكن الحاضر

— التمتة على الصفحة ٢٨ —

(1) J. Wahl : Etudes Kierkegardiennes P. 497

أزمة البطل المعاصر

— بقية المنشور على الصفحة ١٦ —

وفي كل لحظة يستطيع الثوري ان يضبط ميوعة هذه السديمية ويعطي لها وجهها واضحا ، فانه لا يفعل اكثر من وضع نقطة ، نقطة موقنة عابرة جدا وهو في هذا انما يفر من مواجهة اللاتين ، من خوف من الا محدود ، من قلق من اجل هذا الذي لن ينتهي الى وضع اخير جامد .

وبالمقابل ، عندما يحدد وجهها للسديمية ، فانما كذلك يحدد ثورته ضمن نموذج يومي . وهو نموذج لا يلبث حتى يحطمه ، لانه ليس هو كله . ان الوصف اليومي قد يسمي هذه السديمية باسماء شتى كالتقاليد الرجعية ، والتجزئة السياسية ، والاسنعمار والاقطاع الخ . . . وهي في الواقع نسميات مباشرة لها رصيد مهاجم دائم ، ملتصق بنية الثورة من داخل ، ولكنها لا تعادل الثورة كبنية وجودية ، شاملة مستقلة .

فهي قد تؤلف مجالها اليومي الشخص ، وتدخلها في حالة من التبريرات المعقولة ، ولكنها لا تكافئها نزع نحو الشمول ، واسفرافا للمصير الذي لا يعد ولا ينتهي . اذ اننا رأينا ان بنية الثورة تتكون في صميم السديمية ، لا لتتصق بها من خارج ، ولا تدهمها كقدر مجهول . وكل انتصار نكتبه هذه الثورة ، لا يكون عن طريق مقارعة عقبة جزئية من السديمية ، بل بمناضلة السديمية ككل ، من خلال ثقلها غير المحدود على الوجدان الخالق للقلق . حتى ان هذا الانتصار ، في دبالكتيك الحرية ، بقدر ما هو انتصار قد يتحول الى عقبة كذلك تتضاف فوئها الى العقبة الشاملة التي تمثلها السديمية . فكل مكسب في دبالكتيك الحرية له مآل سلبي واخر ايجابي . انه ايجابي بالنسبة للنزوع النضالي الذي سبقه وكونه . وانه سلبي بالنسبة للنزوع الذي سيلحقه . وهو نزوع عليه ان يتخلص منه ، اي عليه ان يتجاوز ، وتجاوز الانتصار مسؤولية شاقة اخرى لا تقل عن تجاوز عقبة التي حولتها الثورة الى انتصار .

والابطال وحدهم ، هم الذين يقدر ، بتعاسة لا تجد وبفرح كذلك لا يجد ، مشقة تحمل مسؤولية الانتصار . . . اذ انه يدعوه هو ذاته الى انتصار اعظم ، وهذه الدعوة موجهة خاصة لتحقيق الانتصار المطلق الذي لن يتحقق ابدا . ان الشعور بالثورية المستمرة ، عن حق وعمق ، هو الذي يجعل الثوري يسخر من كل ثورة جزئية . انه مرهق بدعوة كبرى هي اعتقاده بافجع عبثية للوجود ، وهو ان كل شيء سيؤدي الى نقيضه . فالهدف عندما يتحقق يقلل من عظمة الانتصار فيه شعور مرهق بالخيبة اعماق فاعمق . لان كل انتصار انما يذكر البطل لا بالانتصارات الاعظم التي عليه ان يحققها كذلك ، ولكن يذكره بانه ليس ثمة انتصار نهائي ومطلق ، ون كل انتصار مرحلي انما يوسع ساحة النضال ، ويضخم من مسؤولية انحرمة اعنف فاعنف . . . وبالتالي فلا انتصار مطلق !!

اي لا راحة من عبء الحرية ، ولا من قلق النزوع ، ولا من تمزق التنافس وهو ان كل منتصره منكر في ذات الوقت ، انه يبلغ هدفا جزئيا ولكنه لن يستطيع الاحاطة بالكل ، لان هذا الكل سيتسع كلما اوغل قلق الثوري في ديجوره . . . انه الشيطان بذاته ، هذا الذي يذكر بوجود لاله وعدمه مما اكثر فاكثر كلما تشوف المجاهد لاستغراقه وضمه . اذا كان هذا صحيحا بالنسبة لدبالكتيك الوجود والحرية عند اي انسان ، فهو اعنف ما يكون عند الانسان العربي . اذ ان سديميته المقاومة قد حفلت بجميع السوابب التي تكفي للقضاء على اي بطل ثوري ، وتتحدى في الوقت نفسه ، لخلق ادوع بطل !

ولكن هذا البطل ، مع ذلك ، يقاسي من ضلاله ، اكثر مما يهدا ليقينه . ففي عالم الوجود ، المدموم كل لحظة ، والمخلوق كل لحظة ، بارادة لا

يسجل بالنسبة لهم مجرد زمان آلي . وزمانهم الحقيقي هو محض تكرار . نحن نعدون مجازا بالماضي . واما حقيقته فهو انه بدون ابعاد على الاطلاق ، وهذا هو زمان الزمان ، انه شبه بالامتداد المكاني . لانه وقت واحد بكرر ، كالنقطة التي تكرر في المكان ، فتؤلف المساحة او الامتداد المتجانس .

ولهذا كانت مهمة العربي الثوري مضاعفة ، فهو عليه ان يتخلص من الـ « هم » باعتباره موجودا انسانيا ، وعليه ان يتخلص من السديمية العربية ، باعتباره انسانا قوميا . فكل ثورة اذن سيمارسها الانسان العربي انما تحتمل هذين الهدفين الموحدين في هدف واحد . وهذا ما سننظر نقصده كلما تحدثنا عن السديمية . اي انها تشمل نفسها ، وتشمل جذرها الوجودي الشامل الذي شترك فيه كل انسان بصرف النظر عن اوضاعه القومية والحضارية ، وهو الـ « هم » .

من خلال ما تقدم قد اضحت لنا بعض خصائص (السديمية) بمقارنتها بما يشبهها ، ونستطيع الان ان نتابع دراستها . قلنا ان السديمية ليست مرحلة مرحلة سابقة على التكوين ، بل هي نهاية تكوين انحل وتهدم كخصائص ومؤسسات انسانية محدودة الاملاح . وهو التكوين القومي القديم الذي فقد صلته بخالقه ، واستقل عنه ، وتكفل كشيء مكسب من مستعملات الحضارة المنهارة . والثوري اول ما يعي فانه يعي مغارقتها لها . . . انه ليس منها ، وهي ليست منه . بحس بفرته عنها ، وهي غربة تقوم على عدم التعرف وعدم التعطف معا . فالسديمية في اساسها شيء لا كالايشاء ، انها لا تشغل حيزا في المكان . ولا تؤلف جزءا من عالم الامتداد الخارجي . ولكنها تربى . . . هنا في الداخل ، على الصدر . فهي ثقل قبل كل شيء . . . ثقل ليس له وجه او تحديد . . . وهذا الثقل هو ما عبر عنه ميسيل عفلق في مطلع انشاء الايديولوجية البعثية بكلمة اجتماعية هي (الواقع الفاسد الرابض على صدر الامة) . ان النظرة الاجتماعية هي التي تسمى السديمية بواقع ، وهي التي تقيمه بالسلب ، فنصفه بالفساد ، وهي بالتالي تحدد علاقته بالبعثي ، كثقل رابض على صدره . والبعثي يعاني لقاءه شعورين متناقضين انه يرفض الخضوع لثقله ، ككتلة جائمة على صدره ، وبالتالي لا بد له من الاحساس الدائم الرهيب به كيما يرفضه باستمرار . ان مكان السديمية ، باعتبارها هذا الثقل اللامحدود ، هو على الصدر دائما ، على التنفس الخافق . ولذلك كان الثوري في صميم السديمية هذه . ومن الصميم يتحملها ، ومن الصميم يرفضها . فهي مادة حرته ، مادة غير مطاوعة ، وهي عقبة ثورته ، عقبة لا تزول الا لتتقلب الى عقبة اكثر عميقة وابشع تعاملا وحشيا مع اعدائها الثوار . ولا يمكن ان تزول ، والا لانتهت هذه الثورية ، الى ثورية جزئية ، موقنة . وانقلب البعث من موقف شامل انقلابي ، الى موقف اجتماعي عابر .

وفي الواقع كل عقبة محدودة انما تفترض وجود العقبة غير المحدودة . ومن هنا كان يصعد موقف الثوري العربي من النعين الظرفي الى الاطلاق الوجودي . اي من كونه نائرا ضد هذا — اي الشيء المعين — الى نائر ، لا من شيء ولا ضد شيء ، الى نائر فحسب . نائر لانه نائر .

وجوده . لا لان هذا الوجود هو شكل اخر من وجود الناس اذ ان كل وجود اخر يتحدد كموقف بالنسبة لوجود الناس ، فهو اذن تابع لصيغة السديمية ، وان كان ضدها .

انه يرفض وجوده الخاص لسببين متكاملين ، احدهما انه يريد ان يتخلص من وجوده المنزل ، هذا الحالي بكل مضمونه السلبي لموحش. وثانيهما ان الثوري يتطلب حضور الجماعة ، لا بشكلها الشخص وصيغها النوعية ، بل كمق سديمي لتجربته النضالية يمنح حدة لكل بعد يستجد في نمو هذه التجربة ، من حيث قيمته الايجابية او السلبية . ان حضور الجماعة يمكن الثوري من اكتشاف مطرد فيها لمجالات نضاليته المتفجرة. فهو في حد ذاته ليس كله حاضرا تلقاء وعيه . . انه كائن غير موجود بصورة نهائية ، ومعنى هذا انه كائن اقرب الى الامكانية من الوجود المائي . فهو يمتلك امكانية الامتلاء ، امكانية الوجود النهائي الذي ينزع الى تحقيقه . .



نعرف سلامها من جحيمها ، ولا تفرق بين الهيا وشيطانها ، ليس ثمة يقين . لا حد لكفر الوجدان وايمانه معا . ولا شيء يبعث على اليقين ، في حدود غير مستقرة ابدا . ان الثوري مدفوع الا يوقن بما تخلق ثورته . واذا كان له ثمة يقين ما ، فهو ينصب على الثورة المستمرة كحركة . . فيؤمن بحركتها ، ويتجاوز ما تخلق هذه الحركة . . يؤمن بقدرتها على التحقيق ، ويرفض ما تحققه .

وهكذا فان موقف الثوري لا يرفض واقعا خارجا عنه . هذا الواقع محايث له ، متواجد معه . انه يرفضه ، ويرفض ذاته التي ترفض . اي ان سعيه لليقين ، ليس سعيًا للاتحاد بموضوع لليقين مستقل عنه . بل هذا اليقين يتمنى لو استطاع ان يكون يقينا به هو ، يقينا بذاته . فهو حركته الثورية ، وهو موضوع هذه الحركة . فالثوري محتوم عليه الا يكون الثوري في عين ذاته ، بل هو الثوري بالنسبة لما يستطيع ان يتجاوزه من تحقيقات ثورته نحو الثورية في ذاتها .

ومحتوم عليه كذلك ان يناضل في ثورته مستويات ، ونماذج لهذه المستويات متفاوتة الصدق والاصالة ، متباينة النوعية والقيمة .

انا ضدهم

ان من هذه المستويات مستوى اوليا يبدأ بمعاناته الشاب العربي قبل ان يكتمل وعيه بثورته . فهو قيل ان يتعامل مع رموز (الواقع الفاسد) في الهيئة الاجتماعية ، يعيش نوعا من الانفصال ، داخل فئة شبيهة منزلة متألقة من انداده وامثاله . وهذا الانفصال لا يعني ان الثوري كان متصلا بالسديمية ، ثم انفصل عنها ، بل انه لما يدخلها بعد . وهو حالة غير محددة ليست بالثورية ولا بالسديمية .

انه يشعر بتفرده ، لا ذلك التفرد الذي يأتي نتيجة تقييم الجماعة سلبيا على انها جماعة لا تستحق ان تكون ندا له .

انه تفرد الوحشة ، وحشة من لا يعرف هذا الاطار المبهم الخيف الذي يحيط به . ويعبر عن هذه الوحشة بموقف متناقض : انه يرفض هذا (المجتمع) في سبيل (المجتمع الاخر) الذي سينشئه . ومن هنا نراه يقابل المجتمع هذا ك فكرة مجردة ، وليس كواقع محسوس . وهو يفترض انه غير موجود ، وان وجوده ، ان كان له ثمة نوع منه ، فهو وجود هامشي ثانوي ، يقع على طرف قصي من تجربته . فيدعو المجتمع بكلمة تحتل كل معنى الفياض والحضور معا (الناس) . لان الشاب الثوري في الوقت الذي يعتقد انه قد تخلص من كابوسهم (الناس) انما هو يقابلهم بمنحى ذاتي اخر ، على اساس انه يرفض الناس . وموقف الرفض يفترض وجود ما يرفض . والفرق بين الشاب الذي يمارس الثورية ، وبين الشاب العايب ، هو ان الاول استطاع حقا ان يعي ، ولو جزئيا ، نقطته من السديمية . بينما ينجرف الثاني في لا محدوديتها كاية ذرة فيها . ان غيابهم ، كما قلنا يتضمن كذلك حضورهم . الا ان الثوري الشاب يعاني هذا الحضور بطريقة مأساوية ممزقة ، فهو يابى ان يعترف بتأثير ما تصبه عليه الجماعة ، لان كل تأثير انما ينطوي على سلب لاستقلاله ، او تهديد للموقف الذي نجح حتى الان في ان يجعله موقفا قائما على الرفض والعزلة . وكل قابلية للتأثر من قبل الجماعة : انما تكشف فيه عن شبه اعتراف بقوتهم ضد قوته ، بمناعتهم ضد رفضه . ولكن هذا الرفض تسليه كذلك صيغه اكثر نموا وجوديا في التجربة ، وهي صيغة تنطوي على حركة معاكسة من ذات الثوري نحو - هم ، وتمثل له على الشكل الاتي : انا ضدهم .

فان الثوري في الوقت الذي يرفض فيه وجود الناس ، فانه يرفض كذلك

اي ثوب العقولية ، فهذا ما يجعل الماركسية ، في حد ذاتها ، فلسفة تبرير لما هو موجود ، وليس تعليلا للوجود ، اي انها فلسفة بدون فلسفة ، تستخدم العقل وتبرأ منه ، تصطنع الثورية وتؤمن بالحنمية ، تنزع الى الاطلاق بينما هي فلسفة تبرير لانظمة اجتماعية ظرفية لا تكرر ، تعتمد الماضي لتفسر الحاضر والمستقبل في التاريخ الجدلي... والى اخر المآخذ الفاصلة التي تتعرض لها الماركسية عندما تطرح نفسها كفلسفة متكاملة . مام الوعي الاصيل ، ولا تكتفي بمجرد كونها استثمارا طارئا لظروف المجتمعات والامم . فالانحلال الانساني مقابل التضخم المادي الذي وصلت اليه مدنات الغرب لا يبرر لنا ان نعتقد ان المادة هي السبب والنتيجة ، وانها كما كانت عاملا تهديما في وحدة المجتمع الانسانية فانها يمكن ، وحدها فقط ، ان تنقذه من تناقضاته ، عندما تتحول الى عقيدة جماهيرية اي عندما يصعد الخطأ الحضاري ذاته الى درجة المبدأ المطلق المقيم لجميع القيم الحضارية الاخرى .

ثم ان الصراع ، وهو مفهوم انساني مأساوي يتولد من دياكتيك الحرية والجبرية ، لا يمكن ان تكون له ساحة حقيقية خارج وجدان الفرد المتأزم في الطبقة مثلا . فالطبقة هذه هي شكل اخر عن السديمية . يجسب مناضلته ، لانه تشكل لا شخصي غفل من التعيين ، اللهم الا من الشروط الظرفية الخارجية التي دفعت الى تجمعه . وكلمة (الوعي الطبقي) في حقيقتها عبارة لا تعني شيئا ، وهي التي ما فتئ يرددها الماركسي . لان الطبقة ، وهي هذا الوجود الغفل اللاشخصي ، لا يمكن ان تتحول الى وعي بذاتها الا عندما تفقد تجمعا الطبقي هذا . فوعي الطبقة معناه اكتسابها شخصية ، وبالتالي بروزها ضمن موقف ثوري . وصيغة ، مجردة سديمية ، كصيغة الطبقة ، لا يمكن ان تكون لها شخصية وبالتالي موقف ثوري . ولهذا فان وعيها يؤدي الى تفتتها ، لانهما سترجع الى افرادها . ومن وجدان الفرد المتأزم سيتولد دياكتيك الحرية الثورية ، بمقابلته دائما بوجدان الكل الغفل المتمدن . فاذا برزت امامنا طبقة ثورية ما ، فينبغي ان ندرك ان هذه الثورية قد وجهت اولا للصيغة السديمية التي نشأت عنها . اي ان الطبقة حطمت الطبقة كحاجز داخلي . وفي الواقع لا طبقة مع الثورية . انها لا توجد الا حيشما يزول الوعي الثوري ، اي عندما تبع شخصيات الافراد وتتداخل في كل عبودي مظلم آلي . ان الثوريين لا تصنيف لهم الا انهم لوريون ، ولوريون لا طبقيون . وكما سبق لنا القول ، فان الثورة انفصال اولا عن الانسانيين ، عن السديمية في الذات وفي العالم المحيط . وهذا الانفصال يتحول الى حركة ضدية ، توجه للذات وللعالم كذلك ، في سبيل التخلص من جذور السديمية في علاقتي الثورية .

وستتابع هذا التحليل في حينه عندما نتعرض لموضوع الثورة القومية والثورة الطبقة ونكتفي الان بهذه الاشارة فيما يتعلق بموضوع الضدية . ونعود الى القول ان الضدية ان كانت نجحت حتى الان بفصل الفرد عن السديمية ، اي بابراره امام وعيه كذات تختلف عن (هذا) ، الشيء غير المحدد المزهق ، فان الضدية لا تستطيع ان تقف عند حد هذا الاقتطاع الاعباطي من جسم السديمية الاجسمي .

فالثوري ، عند هذه النقطة الاولى ، قد القي به في هاوية لا قرار لها . وفي الواقع ان عملية الانفصال تنعكس في وجدان الفرد كسقوط مربع ، لا مبرر له ، الا انه حركة ما ، حركة لا تمت الى ميوعة السديمية بصلة ، انها انقطاع عنها ، انفصام . وكل هذه الحركة ما زالت توصف بنقطة انطلاقها الاولى ، اي ما زال لها ارتباطها الدائم بالسديمية .

اي ان وجوده قائم على امكانية مجردة ، تحتوي هي بدورها على ممكنات جزئية لا نهائية . فوجوده الراهن اذن هو امكانية الامكانيات . وليس ثمة وسيلة للتعرف على هذه الامكانيات الا بمقدار ما يقوى احتكاك وجوده المجرد هذا بمنبهات الواقع الفاسد ، سواء في حركته نحوه او ضده .. فاذا كنت انا (ضد - هم) فهذا يستدعي ان امارس هذه (الضدية) كفعالية متجهة مني نحوهم . والواقع انني منذ ان انزلت عنهم ، ورفضتهم فقد استمدتهم علي . ففرضوا علي ان اكون كذلك ضدهم . فالضدية تقوم على مماثلة مبدئية بين الطرفين .. وهي علاقة جدلية غاية في ذاتها . اي ليس لها هدف في القضاء على طرف دون اخر ، لان نفي الواحد يستدعي نفي الاخر ، وبالتالي زوال الحركة كلها . الا ان هذه الحركة باقية ، ولن تنطفيء ، لانها صيغة مؤسسة لوجود الانسان في العالم . غير ان استمرارها لا يعني ثباتها . فهي كحركة تتبع شدة في التوتر تناسب تحولات المضامين المتفاعلة بواسطتها . فكلما نمت التجربة الثورية وحصلت مكاسب وقوى ، وفجرت امكانيات متجددة فيها ، كلما تغير مضمون الحركة ونطلب ذلك وعيا ثوريا جديدا لها ليكتشف معناها بالنسبة لكلية التجربة .

فحركة (الضدية) هذه هي الشكل الذي يتغير في الشدة ، ولكنه لن يتغير في الطبيعة ، واما المضمون المحصل ، فهو خاضع لتحولات كيفية مطردة باطراد عمق التجربة ذاتها . ولكن في لحظة حاسمة من تحولات المضمون لا بد من تحول كذلك لا في شدة الحركة ، بل في طبيعتها ايضا . فقد يتغير اتجاه هذه الحركة وان كانت محصورة بين طرفين متضادين فحسب . ان هذا التغير الاتجاهي قد يحمل زيادة في اثبات طرف ضد نفي في طرف اخر . وبدلا من ان نصطنع ، فنقول مع هيفل ، انها حركة معقولة لانها تتجاوز كل نفي بين الاطراف ، في سبيل تركيب ، وهكذا يصبح السلب ذاته موقتا ، وتصبح الحركة حركة في اتجاه الكون دائما .. بدلا من ان ننصوّر الحركة على هذا الشكل العقول الدخيل على الوجود ، نقول ان التغير واقع في مضمون الحركة وفيها هي ذاتها تشكل لهذا المضمون ، وفي هذا المعنى لا يمكننا حتما ان نحدد في المستقبل اتجاه الحركة ، فليست هي بذات معقولة يجعلها اشبه بالنظام . بينما هذه الحركة بالذات هي التي تخلق الانظمة وتهدمها ، فلا نظام لها ، الا انها ليست بذات تصميم مسبق على فعاليتها الخاصة .

كما ان جدلية هذه الحركة لا تشبه جدلية ماركس ، وذلك لان الاطراف عند ماركس محدودة بشكل حتمي وسابقة على نمو الحركة ذاتها . فهي اطراف مادية ابدا ، لا دخل للوعي بها ، خارجية تخضع لهيئتها من جدلية التاريخ المادية . بينما تمتاز هذه الحركة بانها تخلق التعيين . ولا تلحق به . وهي حركة في سبيل التحقق الواقعي ، واقع الحرية ، وليس واقع النظام . فالضدية لا يمكن ان يخرج مسرحها عن ازمة التشكل الفردي الثوري بالنسبة للسديمية الغفل . وفي سبيل هذا التشكل يفطر الوعي الثوري الى افتراض تعين ما في السديمية ذاتها كيما يحولها الى شيء مختص يستطيع محاورته ومناضلته .

ومن التناقض الغاضح بالنسبة للجدلية المادية ، انها في الوقت الذي تبعد دور الوعي وتجعله يقبع في عتمة هامشية من الحركة ، كيما تعطي الطابع المادي لها ، فانها تفترض بشكل خفي انها حركة نظامية ، لانها تتبع تطورا معقولا اجتماعيا بالنسبة لتطور صيغ الصراع الطبقي ، فمن البدائية الى العبودية الى الاقطاعية فالرأسمالية . فان نفي تدخل الوعي في عملية الصراع الواقعي المادي ، وان نلبيس هذه العملية ثوب النظام ،

وفي الحقيقة ان السديمية ليست صفة للأشياء في ذاتها . بل انها اولى مراحل الانفصال ، عندما يحكم الثوري على هذه الاشياء بالمدمية نسبة الى ارادته الانقلابية التي يحيها ولا يعيها تماما . فالـ «هم» وجود قائم في ذاته ، هو مزيج ، انساني وطبيعي معا ، يمتد من وضعي الخاص ليفرق في عمقية العالم كله . وهو قبل ان اقوم تجاهه بعملية ادراك ثورية ، تهز جذوره كلها ، فانما استقبلته استقبالا حسيا عاديا ، كنت انشاء مجرد قابلية منفصلة ، كاي جزء انساني من السديمية . ولقد ثبت في ادراكي مجموعة كبيرة لا متناهية من الاسماء ، التي لها رصيدها الاجتماعي المعنوي والمادي الطبيعي المستقل عني . وهي اسماء لا تبقى هكذا جامدة منعزلة . بل انها تقع من بعضها ومنى على مسافات تحدها خلقيا او دينيا او سلوكيا او اقتصاديا ماديا . وخلال هذه الابصار تتفاعل اتجاهات وصفية مختلفة ، تقيم مختلف العلاقات الثابتة بين الاشياء والمفاهيم .

حتى ليبدو لي ، وانا ما زلت في قابليتي المنفصلة ، ان العالم مليء بأشياءه وابعاده ومفاهيمه ، وانه كمية كبيرة لا تحد من هذه الاجزاء التي تنظم كلها في تنسيق سابق على وجودي . وان كل شيء محدود فيه ، ولي ، وبينني وبينه ، حتى قبل ان يعرف هو شيئا عني ، عن شخصيتي ، عن اتجاهي . انني مصنف عنده حتى قبل ان اعرف من اكون انا بالنسبة لي . فلي اسم وكنية ، واب له تاريخه وام لها تاريخها واخوة ، ومة ودين ، وكل الظروف التي يبدو انه امر طبيعي بالنسبة لها ان يولد ضمنها انسان ، دون ان يخطر ببال احد فظاعة المفاجأة لهذا الانسان المولود ، لو كان يعي ، كيف يمكن ان يوجد كل هذا قبله وبلاستقلال عنه ، وعما يريد وعما يختار .

وتظل المحسوسات والكلمات تبني في اعماقه عالما خارجيا عنه من مختلف مراكز التوجيه والارسال ، من البيت ، وجدران البيت ، والصور المعلقة ، وروائح الاثاث ، وتنضد الاشياء تبعا لابعادها وتجاورها المكاني ، وتدرجها اللوني ، وبروزها الحجمي . وبين هذه المحسوسات الثابتة ، تتحرك قامات ، وتفرق اصوات في الفراغات ، وتتهل اشارات ، وتتفطح وجوه ، واللوان وجوه ، وتنصب نظرات ، واستطلاعات تمتد وتقضب عليه ، وتحركه ، كما تتحرك هي . وكما تنضد هذه الاشياء في فراغاتها وتتثبت كخلفية في ادراكه ، لا تلبث كذلك اشياء اخرى حتى تنضد فوقها ، وتشكل نظاما من العلاقات والمعاني المجردة ، والقيم ، لها صفة الشمول ، تخرج من نوافذ البيت الى الشارع الى المدرسة الى العمل ، الى العالم .. الى الله ..

وما ان يصبح الشاب هكذا على عتبة الحياة حتى يكون قد اتخذ دون ان يدري او يختار ، نموذجها المهيأ له كنسخة بين نسخ اخرى لا نهاية لها ، في قلب السديمية . وهذا ما يسميه عقل السديمية ، الرزيين الواضع ، بالتربية .

وفي الحق ، ان التربية في مثل البيئة العربية المنحطة ، ما هي الا وسيلة لاستمرار القديم في الجديد ، وتجويف الجيل الصاعد من اوجه الثورية . انها تربية غير مقصودة لذاتها ، تمارسها الجماعة دون ان تعيها ، وكأنها نوع من الدفاع الفريزي عن وجودها المنخور ، تلقاء ما قد يطرأ من عنصر المفاجأة من قبل الجيل الجديد الثوري .

وحتى في البيئات الغربية (الراقية) التي زادت العناية فيها بعلم النفس وتطبيقه التربوي ، فان تضخم هذه العناية ، وخاصة في امريكا لا يدل الا على امر واحد ، وهو التمويض . تمويض عن فقد معنى الفرد

الانساني ، كوجود سر له قدسيته ، بعد ان ضاع الفرد في سديم الجماعة . ولهذا اتجه علم النفس والتربية الى تحليل السلوك وذلك بغية المحافظة على الشخصية التقليدية الوسط التي توافق عليها السديمية ، ومحاربة كل ما يخالفها ، واعتباره انحرافا او مرضا او شذوذا ، يجب تقويمه واعادته الى الحالة السوية ، وهي الحال التي لا خطر منها على توازن السديمية الفاني .

ومن هنا نجد ان اول ملامح الثورية تاجج في ذات الشاب ، الذي مسته الثقافة بوغي ما ، كاختلاع عن النموذج التربوي الذي تلبسه دون ان يدري . ويتضح موقف الضدية في اعماقه قبل ان يتبين موضوعا لها . ولكن المعطيات السديمية التي تقدمها له حياته اليومية العائلية تحتم عليه اول اصطدام رمزي مع السديمية كلها . فهو ضد البيت . ليس في البيت الا .. هم . هم الذين عاصروا طويلا ضجره الطفولي ، وشكلوا كابوسا مخيفا لحواسه ، وموانع زجرية (لا تفعل هذا .. لا تقرب هذا .. لا تفل هذا .. لا تنظر هذا .. لا تسمع .. لا تشرب هذا ، لا تاكل هذا .. لا تنم هذا) موانع زجرية تنهال عليه من كل جهة ، من عالم كله سلطات وعبوس ، واصابع تهتز فوق حرثته ، واشباح ثقيلة رزينة ، تتحرك كالنواس في الفراغ الاصم .

فالبيت بؤرة مصفرة عن السديمية . انه تجويف قائم في المدينة . له رائحة مضجرة . ظلاله لا تتغير . اشياؤه مبعثرة في زواياه بنوق سقيم ، وقانون صارم معلق في فضاءه ، قانون من اجل الطهارة ، وضد النجاسة . الطهارة المادية الصرف ، في الجسم ، وفي الثوب .. واما في الوجود كعني ، فهو قبو لشتى الاحاسيس الفريزية المكبوتة ، المتأمرة بالحد ضد البساطة ، بالالية ضد العفوية ، بالتكرار ضد الجودة . ويبرز الشاب هكذا في غاب من المحرمات . كلهم يحكمون باسم الاله ، من اخيه الاكبر وامه الى الاولياء والدراوش ، ومجاذيب الحي وعجائزه الى الجن والشياطين ، والمسايح والعمائم .. الى الشرطي ، والمخبر وجندي الاجنبي .

فهو اذن كائن خائف ، وكل من حوله خائف . والخوف بين الجماعة امان . شرط الا تخرج عن الجماعة فستخاف وحده . وهناك سلسلة من انواع الشر ودرجات العقاب ستبلى بها .

ان صرخة (الحرام) تشل حركة جسدك ، تقطع الصلة العفوية بين فعالية حواسك وموضوعاتها . وتجعله هكذا صنما . اذا سار اطرقي في الأرض . واذا تكلم خفت صوته .

حذار ان تفعل ، ان تقول ، ان .. ان .. !

انت انسان مراقب !

ان عيون كل القوى الخفية تحمق بك ، من اعماقك وحولك ، وفي زاوية من الظلام . وكلهم اقوى منك ، من ابيك الى الجن الى المعلم ، الى عسكر الاجانب ، الى الاله ..

انسانا تحت المراقبة . وهو سواء استتر او سفر ، فانه لا ينجو من العيون السرية ، والعقاب المقدر المحتوم ، في الارض وفي السماء . وهذه الصيغة (موجود تحت المراقبة) هي التي سترافق انسانا ، وتبطن سوداويته من داخل وتؤسس لها جوهرها اسود الى الابد ، سترافقه في جميع تطورات سلوكه المعادي او الثوري .

ان السديمية تنصب شركا وعقابا لكل من سيخرج عن طاعتها العمياء لكل من سيتنمر ويحاول ان يكون مشروع وجوده الخاص . ان صيغة (موجود تحت المراقبة) هي علة كل ازدواجية في شخصية انساننا .

فكل القيم والمفاهيم التي تلقى ، انما يفسر عليها قسرا ، فاما ان ينسجم معها تحت تأثير العادة ، عادة النذل والخضوع والتسليم ، واما ان يرفضها سرا ، لا نشيء سوى لانها نتيجة قسر وجبر ، لا نتيجة وعي ثوري وتقدير لقيمتها الحقيقية . فيتحول في اعماقه الى فوضوي حقود يمارس كل اضرار القيم التي اقر عليها ، طالما شعر باختفاء عين المراقبة عنه . وهذه هي الفضيلة الشكلية التي انتهت اليها اخلاق السديمية . انها لا يهتمها الا ما يبدو من انسانها ، واما قبيته وزواياه واعشاشه السوداء الهاربة ابدا من النور والجرأة ، فهي لا يمتد اليها سلطانها .

وهذا هو لانسان الهجين الذي اضاع معا قيمة الخير والشر . الكائن الخائن ، المراقب ، المتآمر الحقود . انه لا يرفض السديمية واخلاقها المزيفة ، لانها مزيفة . كما انه لا يسلك ما يضادها في سره لقيمة هذا الشيء في ذاته . بل هنا علاقة ميتافيزيقية هي علاقة السيد بالعبد . ان العبد غير الثوري ، لا يعي عبوديته ، ولذلك لا يتمرّد عليها ، وهو يمارس حياته الشروعة بشكل لا مشروع بالنسبة لقانون السيد . فيفقد بذلك ما هو مشروع وما هو لا مشروع ، وبالتالي يصبح بسودون مسؤولية بالنسبة لصاحبه . فلا يمكن لعبد ، ان يمارس اطلاقا الثورية وهو عبد . ولذلك كانت حياته السرية ، بما فيها من عبثية وتمرد ، ليست ذات قيمة على الإطلاق ، كما هي حياته السافرة كمبد خاضع .

وهذه العلاقة الوجودية (السيد والعبد) في الواقع تنتظم كل العلاقات الانسانية والاجتماعية في وجود السديمية . انها العلاقة القائمة بين كل طرفين متفاوتين في القوة التي تمنحها السديمية لاحدهما دون الآخر ، بحسب وقوعه في درجة من انظمة القيم فيها . والشاب الجديد ، يكاد يحيا في جحيم العبودية هذه ، فهو مركز تلتقي عنده كل انواع السیادات ، من الام والاب ، والاخ الاكبر ، والمعلم ، والاله وعالم مواعنه ومحرماته كلها . ومن هنا كان عجز انسان السديمية عن ان يبرز مستقلا ، وان يعامل الآخرين كائداد له . فهو اما ان يكون سييدا او عبدا . وهو دائما يقع في درجة من تسلسل القوى ، وليس تسلسل القيم . لان كل قيمة في مثل هذا المجتمع الهرمي انما هي قوة عجماء ليس الا . ولهذا فمثل هذا الانسان ، لا بد ان يوجد من هو اقوى منه ، ومن هو اضعف . فكان سييدا لا دونه ، عبدا لا فوقه . وبهذا الشكل ، فان كل حرية يكتسبها في سيطرته على من هو دونه ، يفقدها تلقاء جبروت من هو اقوى منه ، فضلا عن ان مثل هذه الحرية ، سواء حرية الطفیان أو حرية الاستسلام ، انما هو شعور مزيف يصاحب درجة تضخم القوة العجماء أو تقلصها عند صاحبها . وليست هي تلك الحرية التي يعانيها انسان تفتتح امكانياته الحقيقية ، وتمنحه كرامته في عين ذاته .

ان الانسان في علاقة السيد والعبد انما يختلس الاحساس بوجوده ، ويسرق حرته ، ضمن مجالات من الفعالية الشاذة المستترة ، التي لا تستطيع ان تتكون الا عندما تلغي وجود الآخر . وهو الفاء جبان كذلك ، لا يواجه موضوعه صراحة ، بل يلتف عليه بسلوك النفاق . تشهد على ذلك كميات من الكلمات المترادفة التي يتبادلها كل انسانين يلتقيان في مناسبة وجها لوجه ، انها سلسلة من الفاظ الزلفى والتقرب واظهار الحرص على صحة الآخر وراحته وصحة اولاده واولاد اولاده . وما يتبعها من الفاظ الحمد والتبجيل وتعظيم الآخر ، عن حق او غير حق ، ثم مباشرة تلك المناورة الخبيثة بينهما ، في سبيل ان يتعرف كل طرف على مصائب وكوارث حلت في الآخر ، ليحصل افتراق ثم النقاء اخر . افتراق عندما يتأكد الواحد من ان الام الآخر اكثر من الامه . واتفاق عندما يعي

الطرفان انهما متألمان حقا . وانه لم يحصل شيء ينال من العادة . والعادة او الحال السوية هي اننا كلنا متألمون ، و بالاحرى منسحقون . انه وضعنا الميتافيزيقي لعالم الذي تعبر عنه هذه الجملة وهي لازمة الختام في كل مفصل من مفصلات الحديث « الحمد لله على كل حال ، الذي لا يحمّد على الشر سواء ! »

وبعد ان يطمئن الاثنان ، طرفا المحاوراة اليومية في وجود السديمية ، على ان الانسحاق ما زال هو هو ، او انه اشتد ، بالنسبة لكليهما ، وانه لاسعادة طارئة نزلت على احدهما من السماء ، او طلعت عليه بكنز من الارض والجنان ، او بمنحة من القدر ، يتحول الحديث الى الآخرين الغائبين . وهنا ينوب قناع اللطف المزيف والحرص المتبادل المصطنع . ويبدأ الخوض في خصوصيات الآخر والتهماته . فمن التلذذ والتشفي بالمبالغة بعرض مصائبه ومشاكله ، في عائلته او عمله او مع اصدقائه ، الى حسد مبطن بخقد وحشي ، ان كان له ما يحسد عليه من نجاح او سعادة طارئة .

والحق ان النجاح الذي قد يصيبه افراد قلة محظوظون في مثل هذا المجتمع السديمي ، انما لا يعني في اكثر الاحيان الا ان هذا الانسان قد ادرك القوانين العضوية لتكوين السديمية ، فآمن بها واخذ يستثمرها لصالحه . ومن يقال عنه انه ناجح ، باللفة اليومية للسديمية ، فمعنى هذا انه نجاح في عرف السديمية . . والناجح هو الذي استطاع ، اكثر من غيره ، ان ينسجم مع نموذج السديمية المطلوب ، السري ، غير المصرح به ، اي من كان افظع سديمية من الآخرين .

وعندما يصمت المتحاوران ، تشخص عيونهما ، وتتكشف كلهما على مقاعدها وارائكما ، والزمن امتداد كسول لا نهائي ، تسمع طقطقة المسابح ، او اصطدام الكؤوس ، او غرغرة التراجيل ، والشهيق والزفير في حركتهما البليدة ، وهناك من يجشأ او يسعل ، او يمخط في منديله ، او تعبت يدها باصابع قدميه القفرتين ، او يعسر تنفس احدهما من تخمة الخبز واللحم والسمن . . في معدته ، هذا الجوف الذي يتلع كل شيء معوضا عن ضياع انسان كامل .

وتنتهي المحاوراة : هكذا الزمان ! لا حول ولا قوة الا بالله !

وتجتمع صرخة صماء في اعماق الثوري الجديد : انا ضدهم ! وغشيان زخم يتدافع في احشائه .

والمكان ، في البيت ، ضيق ، مشغول بالناس والاشياء . وعندما تهدأ حركة الاقدام والالسة والبطون والانفاس في الليل ، يشخص الثوري المراهق في الظلام . انه وحده الان ، والمراقبة ماتت ، انسحبت الى اطراف الكون ، والله نفسه لن يستطيع ان يعثر عليه ، ههنا تحت الفضاء ، وحواسه مدفونة كلها في السواد . ولكن حشرة بهيمية ، ولهاثا مسعورا ، يتعالى اليه . . من هناك ، من المكان الضيق وفيه زاوية لاييه وامه . ان المكان لن يتسع لاكثر من هذه الاجساد المتدرجة في الكبر . . لن يتسع لآخ جديد . ولكن المال والبنون زينة الحياة الدنيا . .

وقد تهدأ المعركة من الزاوية ، ويرفع رأسه من سواد الفضاء . ويتحرك حجر ما قربه ، ويلمع ثمة لحم تحت نور القمر او ذبالة الشارع . . . انها ساق اخته ، وتصطك اسنانه ، ويتكور على ذاته ، ويبدأ بالارتجاف: حرام . . حرام ! ولكنه يظل مرتجفا ومتكوراً لاهثا . . وعندما تهدأ حركته السرية تحت الفضاء ، وثر شخير الاب ، ولعة اللحم ، وجمود القمر في كبد الافق البارد . . يبدأ بحلم آخر : انه ضدهم ، ضد البيت ، ضد

— التتمة على الصفحة ٤٩ —

أزمة البطل المعاصر

تتمة المنشور على الصفحة ٣٢

الاستاذ ، ضد الجاسوس .. ضد الالهة . . انه سيفير العالم . . انه حر . . حر ! ويظل كل شيء في المكان الضيق هامدا جائئا . . ويففو الثوري المراهق في هدة كالأطفال .

وتتكرر الليالي . وما النهار فملك للشمس الساطعة الصلدة التي تكشف كل شيء ، وفي القعر تلتف المدينة على ذاتها ، المدينة القديمة الترابية ، في دهاليز حلزونية . والارض غبار وحرارة وتراب وروث ودواب . وكائنات ، مختلطة الازياء ، تدب في كل الاتجاهات . وتبحث العينان ، عن لمحة لحم طري تسرق من تحت الجلابيب السود . . غير ان صراخ الباعة على كل البضائع ، بتلك الاصوات الفليضة المبحوحة ، والكلمات البلدية السقيمة . . واجهزة المذياع ، الاف من الحناجر الحديدية ، تقلل الزعيق والنعيق ، وايقاع الموت والنوم . . وسل الفل ينسرب اليه مع كل نفس ، يغبه من فضاء العالم الفباري المزدحم حوله ، وهو نقطة شاردة فيه ، تسب الناس ، تطلب المرأة ، تعلم بالبطولة ، تشتم الاستعمار والخونة ، وتتحنس الجيب الفارغة ، تحتقر الصداقة . . وتبحث عن المجهول ، عن كل شيء غير موجود هنا ، غير لامع وقدر وغباري وسطحي . هكذا تثبثق ثورية المراهقة كفاعدة جنرية لكل ثورية اخرى في شبابتنا العربي . وهي قاعدة ، ليس لديها مشروع ما ، سوى انها الرفضى والتفرز والاحتقار . والاتجاه الايجابي الوحيد فيه ، هو طموح كبير نحو تغيير العالم ، نحو محو مخطط وايجاد مخطط اخر . اما ما هو هذا المخطط ، فانه لا يعنيه في شيء . وهو ذاته ليس سوى امكانية شاملة مجردة ، لا يمكن تحديدها قبل ان تصطدم بتشيؤات السديمية ، وتتفاعل معها ضمن تجربة واقعية مليئة بعنصر المفاجأة والاضطراب .

وهذه الامكانية هي التي تلقي وجوده الى افق المستقبل . ان الثوري المراهق لايشحن وراءه اي ماض خاص به . وانما هو يشحن ماضي السديمية كلها ، ماض يتلبس دون ارادته . فالزمان هكذا محل مرهق ، انه الازل الاسود كله الذي عاشته امه بدون حرية . والحاضر ، ماهو الا لحظة هاربة ، ولكنها كذلك مثقلة بكل ابعاد الصجر والمقاومة الوحشية . فلم يبق اذن الا ان يرتمي الثوري الى المستقبل ، وهو مجرد افق اشبه بالسراب ، شيء لم يوجد بعد . وهو يبدو لصعوبة بلوغه ، ولانسه لحظات تتجاوز ذاتها باستمرار ، يبدو كأنه ابد مطلق . فالثوري هكذا معلق بين عديمين لانه لهما ، عدم الماضي ، وعدم المستقبل . وهو نفسه ليس شيئا على الاطلاق . انه لم يتحدد ضمن اي اطار بعد ، وان كان مصنفا من قبل السديمية ، كساب عابث يجب مراقبته واضطهاده . انه بالنسبة لامكانيته المجردة الشاملة ، ليس شيئا بعد على الاطلاق . انه هذه الارادة التي تنزع به نحو التكون . ولكنه تكون لا ملامح له ، لانه

طبعت على مطابع :

دار الفند للطباعة والنشر

تلفون ٢٢٩٢١

لم يتحقق بعد . وكلما تحقق جزء منه ، نزع هذا الجزء نحو متابعة التكون ، كأنه لم يكن هو شيئا .

وهو في ارتباطه بالسديمية ، يحدد نفسه مبدئيا ضمن علاقة الضدية . والضدية ، ليست تقييما اخلاقيا او وجوديا . انها محاولة لتأكيد طرف ضد اخر . والطرف هنا هو وعي المراهق الثوري . وهو كما تبين لنا عندما يؤكد ذاته ، يتفي السديمية ، باعتبارها هنا لكل اللاشخصي ، ويشبثها كشيء مشخص له ملامحه ، كيما يستطيع مناضلته . وكل وجه تبرز به هذه السديمية انما يحمل معه سواد العالم وغموضه كله . وهو يقوم تلقاء وعي الثوري كسلطة لا حد لجبروتها .

واول ماتشخص له هذه السلطة ، في عائلته ، كما رأينا . وتظهر العائلة للثوري ، مجرد علاقات غريزية ، مغلفة بهالة من القدسية . وهي اقصى ، مايعت في نفسه ، على الصجر . انها تكرار في السلوك ، والحركة والفعل والتأثير عليه . وهي حضور مفروض عليه ، دائم وصارخ . حضور يجرد كل كائن من سرته ، ويقشع من حوله هائلته الذاتية . ويتبادل افراد العائلة بينهم كل مايعرمونه على الاخرين . ويخرجون بمبادئهم واقدارهم وتفاهاتهم ، لقاء بعضهم بعضا . ويحس المراهق بمدى التناقض بين حقيقة السلوك الانساني ، عندما يتحرر من عين المراقبة في البيت . . فليس هو الا سخافة وتكرارا وابتذالا وبين اصطناع القيم الرزينة في الخارج . . تحت عيون لا نهاية لها ، من المراقبة والموازنة والتقيد .

وفي الواقع ان مرحلة المراهقة هي مرحلة ثورية بالنسبة لاي انسان وهي لاكتفي بان تمارس هذه الفعالية ضمن جدران البيت وافراده المعدودين ، بل تتمدها الى الشارع ، والمدرسة والمجتمع . . حتى تبلغ العالم الميتافيزيقي بكل قيمه . من شك ويقين ، واحتقار وتهيب ، وطموح عاطفي او فيض حلمي خيالي من الامل والحب الغريزي .

بيد ان هذه الثورية لا ترجع الى علة حيوية اكتسبها الطفل من المراهقة وهي ظهور الوظيفة الجنسية وما يتبعها من انفعالات وهيجانات نفسية . انها ثورية وجودية قبل كل شيء ، تشمل الثورية الجنسية وغيرها ، ولكنها لاتقف عند حدودها فقط . فالمرهق ، يعاني أزمة خلق وجوده حسب تصوره الخاص . وهو في حقيقته كائن غير موجود بنظره الشخصي . واذا كان يملك ثمة وجودا ، فان مسؤوليته تقع على عاتق السديمية لانها هي التي اكسبته اياه من خارج في مرحلة لم يكن يملك فيها اية مقاومة او وعي لامكانياته ، في الطفولة .

فهو يثور ضد هذا الوجود الزيف ، فيه وفيمن حوله . وهو يشور لانه لم يوجد بعد وجوده الخاص . فما زال مجرد امكانية مجردة ، تنزع الى التحقق ضمن امكانيات مشخصة لها ملامحها ومسؤوليتها . وهذا النزوع ، هو في حد ذاته ، حركة الثورية الاساسية عند المراهق لان كل اتجاه نحو التحقق انما يملك قدرة خالقة . والخلق لايعني الاستمرار في اتجاه الشيء الموجود السابق . ومن هنا كان لابد من مقاومة هذا الاستمرار وتحطيم اطاره . وادخال الشكل الجديد ، ومضمونه المبدع . فالمرهق ينطوي على وجود في المستقبل ، كله امكانيات لايررها الا وجوده كامكانية مجردة مطلقة . وهذه الامكانية هي الحرية قبل ان تكتشف اهدافها ، وتمارس اختياراتها ، وتلزم حاجتها بآية مسؤولية .

ان استشراق المستقبل ، والتأمل فيه ، هو الذي يكسب وجود المراهق شفوقا عاطفيا ، وشاعرية وميلا صوفيا للعزلة . هناك يستطيع ان يتأمل حرته وهي بمعزل عن كل مراقبة او عقبة ، ومخلفات هذه الحرية التي

ستتحرك في فلك مستقبله يوما ما . ويرى علماء النفس ان المراهق يعاني نقصا كبيرا في فهم الواقع ، وبالتالي في التلاؤم مع مقتضياته . وهم بالطبع لا يقصدون واقعا اخر غير السديمية . بينما كان المراهق في حقيقته انفصالا عن السديمية ، وثورة على معطياتها المختلفة ، وان عجز عن التلاؤم مع واقعها ، فهو لانه يرفض هذا الواقع مبدئيا . انه لا يريد ان يكون نسخة عن وجود ليس من صنعه ، وان مازال لا يدري ماذا يريد ان يكون هو حقا ، في وجوده الخاص ذاك .

والإمكانية المجردة التي ينطوي عليها وجوده الموقت هذا ، يصاحبها ايقاع عاطفي جمالي . ولذلك كانت المرأة رمزا لحرته المطلقة التي يستشرف تحقيقها في المستقبل . فالمرأة ، كجنس مباشر ، ابعد ما تكون عن تصور المراهق . ولكنها كرمز فانها تنطوي على كل إمكانات السعادة بالنسبة اليه . وهو يعاني الشوق اليها بأسلوب الفنان والشاعر . انه يرى فيها نشوته المفقودة ، كإنسان مسلوب الجسد والواقع . ومظهر الطهر والتعفف الذي يتبدى به سلوك المراهق تجاه المرأة ، لا يعبر ، كما يريد علم النفس الجنسي ، عن الشعور بالخيبة للتكيف مع العملية الجنسية ، بل انه يرمز للبراءة التي يشهدها المراهق في كل شيء . وهي البراءة التي ستمتد معانيها ، ويتضح جوهرها ، كلما وعى الثوري قضيته . انها اساس كل الاخلاقية الثورية عندما يستكمل الثوري شروط وجوده كشوري اصيل .

ومع هذا فالمرآة يتمنى الفوز بجسده ، كما يتمنى الفوز بوجوده الخاص ، وجسده ، في حقيقته ، هدف عياني كبير ، على حريته ان تغلب على عقبيه ، وان تحوز عليه كقاعدة تربطه بالارض والحس الجميل . والمرأة كما هي رمز لحرته في مستقبله ، فانها كذلك لها كيانها المادي الذي يمارس تلقاه فعالية وتأثيرا واقعا ايجابيا . غير ان المرأة التي يتمناها ، لامنت لعالم السديمية بشيء . والمراهق العربي اكثر ما يحترق من واقع السديمية ، هي المرأة المكفنة بالحجاب ، والمتخلفة عن عالم الوعي والثورة ، والمحتجزة وراء أسترة البيت ، وخلف مفاهيمه الحرام . انه يطلبها بمثالية ثورية غير قادرة عليها . ولهذا فما يلبث حتى ينحرف الى بائعات اللذة ، عندهن يحيا الثوري المراهق مأساة الجمال الطاهر البريء . فهو من جهة يحطم قاعدة اجتماعية في الحرام ومن جهة اخرى يهين المرأة التي لم يتمكن ان يحولها من مجرد مثل أعلى في خياله الى عالم الارض والحقيقة .

ان معاشرتنا البغايا ترمز الى التشفي المحترق . وهي بدء للخيبة التي اخذ يعانيها الثوري كلما اصطدمت ارادة حريته بمناعة الواقع الصلد . وكلما حاول ان يحطم من مصيره الرتيب في بحران السديمية ، ويؤكد لذاته ايقاعا بطوليا خاصا .

وخيبته في المرأة ، تتبعها خيبة افزع اثرها . فانه لا يلبث حتى يكشف نظام التعامل المادي في السديمية . فالى جانب الناس المغلقين ، توجد اشياء مادية ، الات وادوات ، تشغل حيزا نفسيا ومكانيا كبيرا في حياة السديمية . وسرعان ما يكشف كذلك ان سلم القيم مقلوب ، وانه يبدأ من هذه الجمادات الى خالقها ومبدعها الانسان . والناس مشغولون باستعمال هذه الاشياء ، ووراء صيغة الاستعمال هذه تلاشى كل ملامحهم الانسانية ، ويتحولون الى طبيعة مستعملاتهم ذاتها ، اي انهم يصيرون الى اشياء اخرى ، لها تعادل وجودي واحد ، وتشابه في الملامح ، وتجانس في التقييم .

وبهذا النظام المادي تتصل كذلك مفاهيم السياسة . فان اكبر منفذ

لصيغة العلاقة السديمية « السيد والعبد » هو المال وما ينتبه من نفوذ اجتماعي وسياسي . وفي السديمية العربية ، ليس ثمة وسائل طبيعية للحصول على القوة المادية . انها كلها تتبع نظام العلاقات في الطفيلان والاضغاع . وهو طفيلان يستمد قواه من وضع المجتمع الهرمي الذي يمثل الاب في العائلة ، والرئيس في العشيرة ، او الزعيم في الحى والمدينة ، او الشيخ في الطائفة وكلها تؤلف طبقات تشتق نظامها من وظيفة سيادية رجعية ، تحيط نفسها ببرقع القدسية ، وتكاد تعطي لكيانها صفة الديمومة والخلود ، حتى تصبح عقيدة اشبه بالعقيدة الدينية ذاتها . ان الانه والمنتقم والمال هي الرؤوس الثلاث لهرم السديمية ، اجتماعية في رأس واحد هو السيد المطلق ، هو الطفيلان ، هو الجيروت الاشغى الذي يحكم ذاتية السديمية واطاعها اليومية وعقائدها الميتافيزيقية ، وعلاقاتها المختلفة بين افرادها النسخ . وهي التي حلت مكان الاله الديني القديم الاصيل . ونقلت اليها قدسيته وسيادته .

ان معبود السديمية يتمثل لها في الاشياء ، وان صراعها وطقوسها تبدأ من الاشياء لتنتهي بالاشياء . وليتها كانت من صنعها . انها الات ومستعملات ، وادوات ترفيه انت مع الاجنبي . ان لها ذات قوته ، وقدرته على امتصاص انانية السديمية ، وتجفيف نفسها ، ان تبقى لها هذا النسخ خلال الف عام من الهجنة والعبودية .

والثوري المراهق تلقاء هذه العلاقات الاشخصية الوحشية ، التي تهاجم وعيه البكر باستمرار ، تتباه شبه خيبة مطلقة ، فينكفئ على ذاته ، شبه منحرف الى الفردية الهدامة ، الى التشفي المسروق ، الى الحقد لافقواني . ويتحول هنا حلم البطولة ، الى حلم بالموت ، موت غريب رائع ، يعطي له قيمة لم تعطه ايها الحياة .

ان هذا الموت الخاص ، الذي يتأمله الثوري الشاب ، لا يبعث على الخوف او الالم او التعاسة . بل كثيرا ما احب الثوري اله . انه الم نصالي خائب . وهو يريد ان يموت ، لا لسبب معين . كانه يطلب الموت لذاته ، كما يطلب الثورة لذاتها . حتى ان مثل هذا المصير يبدو له انه بطولة جديدة ، انه هدف ايجابي ، يحقق له تفوقا ما . وهو كذلك تفوق مبهم ، في ميدان منافسة مجهولة .

ولقد علل علماء النفس كثرة حوادث الانتحار عند المراهقين بارجاعها الى الطبيعة العاطفية الاسيانية التي يملكها عادة الشاب الصغير ، وتدفعه بدون روية الى القضاء على حياته . بينما يتراءى لنا نحن عندما نعالج المراهق العربي الثوري ، ان الحلم بالموت صيغة مؤسسة لبنية وجوده ، وليست ظاهرة انحراف ، او حادثة شاذة تحدث اثر خيبة عاطفية . انها رمز مأساوي لطلب المطلق في الحرية . وهو رمز يعني في الوقت ذاته ، احتقار الحياة اليومية ، ورفض وجود السديمية . ولا يعني اية خيبة ما من الانسجام مع مقتضيات السديمية . لان هذا الثوري اليافع لم يمارس ، في الحقيقة ، اية فعالية عيانية ضد واقع السديمية العياني . وهو مازال في تشوقه للمطلق ، امكانية مجردة ، بدون اهداف مشخصة فعلا .

وموت المراهق ، هو صورة مصفرة عما سيكون عليه حلم الثوري كذلك بالموت البطولي . (١)

مطاع صفدي

دمشق

(١) نقف عند هذه الحد من تحليل الثوري العربي المعاصر دون ان ينتهي الموضوع طبعاً فانه ستليه صيغ اخرى وذلك في الكتاب الاصل الذي سينشر قريبا . وشكراً للاداب .

قصيدة وفجائية قهوة

مقهى ، ووجوه تختنق
وعيون ، يأكلها القلق
نظرات ، تقفز هاربة
أبدا ، وخطوط تنسحق
ولفافة تبغ ، تحترق

☆
ضوضاء ، تفرق في ضوضاء
وتقط ، بغفوتها ، الأشياء
كسل ، يتمطى ، من خدر
وفراغ ، يختطف الأضواء
ونصال ، ترقص جائعة
والعالم ، مصلوب أشلاء
تسكع آلهة ، حمقاء
ولفافة تبغ ، تحترق

☆
وتفر طيوف ، تنطلق
والوهم ، زجاجي الق
والحلم بزأخر لجته
انهار فراش ، تصطفق
وتساقط أجنحة بيضاء

☆
يا كهف الزئبق ، يا فنجان !
يتلع الوحدة ، والأحزان
رأس ، تتدحرج طافية
ومحنطة ، بسحاب دخان
وترجرج وهج ، محتبس
وتلوى خيط ، من ألوان
ولفافة تبغ ، تحترق

☆
مقهى ، ووجوه تختنق
وحروف تسقط ، باردة
وجفون ، يمضغها الورق
جيف الألحان ، بغير دماء
تهوي ، متكدة صفراء
وصنوج اليأس ، مولولة
والفكرة ، أسوار صماء
والموت ، ظلام منطبق
والرياح ، تموء بكل مكان
يا كهف الزئبق
يا فنجان (x)

عبد الباسط الصوفي

حمص

(x) من مجموعة « أبيات ريفية » المدة للطبع

تعميم هذه المقاييس يفترض شخصية وسطا كذلك ، ويطالب الكل بأن يتقمصها . والفرد عوضا من أن يواجه امكانياته الخاصة ، ويعاني أزمة وجود ، فانه يفر من القلق الى الامان بأن يتقبل كل الأفكار الوسط ، كل المواطنين والمفاهيم المتداولة من الهم ، وبهذا يرتاح من جهة ، كما انه يتخلص من عبء مسؤولية كبرى وهو ان يكون ذاته الخاصة وليس ذات الكل .

فما هي علاقة هذا (الهم) بوجود السديمية الذي نحن بصده الان ؟ من الواضح ان هيدجر في هذا المصطلح يريد ان يحدد لنا وجود السواد الاعظم من الناس ، الذين يتخلون عن شخصيتهم الفردية ، ويستعمرون شخصية الجماعة ، ويتبنون ترائها في كل فروعه ومستوياته ، وهم هؤلاء الذين لا تجربة وجودية خاصة بهم ، وبالتالي لا عمق ميتافيزيقي لهم . وهو في هذا التحليل الرائع انما يستند كذلك الى ما كان اشار اليه كيركيجارد في مصطلحه الخاص (Plebs) كما بين ذلك جان فال في كتابه عنه . وما قصد كذلك كيركيجارد بهذا الا ان يصنف الافراد الوسط الذين لا يملكون اي اشكال شامل ، اللهم الا ما يقلقهم بالنسبة لحاجاتهم الاولى حتى قال كيركيجارد في مذكراته : « يوجد اناس في الحياة كانهم احرف نداء في الخطاب لا تأثير لها على العبارة . (1) » ان امثال هؤلاء يؤلفون في الواقع عقبة الحرية .

غير ان هذه السديمية التي نعيشها هنا ، وان كانت تبدو انها شكل خاص من (الهم) لا يعرفه هيدجر ، لان الحضارة الغربية التي يعيش فيها لم تقدم له مثل هذه التجربة ، الا انها مع ذلك تختلف عنه . وهو اختلاف يبدو لنا جيدا عندما نتأمل خصوصية التجربة العربية مجردة . صحيح ان كلا من السديمية و (الهم) يمارس نوعا من الطغيان المستبد تلقاء الفرد الذي يحاول ان ينفصل عنه ، الا ان الوجودي الهيدجري تنتهي محاولته عند حد الالتقاء بحريته التي يحققها في عزله السلبية . واما الثوري العربي فهو لا يكتفي بالانفلات من قبضة السديمية بل ينقلب ضدها ، مناضلا اياها ليس في اعماقه الفردية فحسب ، بل في اعماق الذات الاخرى المحيطة به ، لان الثورة العربية ، رغم انها فردية ، الا انها تحمل طابع التحريض لان يكون كل انسان فرديته الحقيقية ، اي ان يخضع لشرط العربي المشروع ، ولا شرط الا ان يكون العربي الثوري . فالسديمية العربية اذن هي شكل خاص من (الهم) ، لانها تلتقي معه في جذورها الوجودية . ولكنها مع ذلك تختلف عنه ، في كون السديمية معرضة هي نفسها للهدم ، في كل لحظة تنبثق تجاهها ثورية اصيلة ، فتنتقل الى صميمها وتبعثر تكتلها المتخثر . وفي كون هذه السديمية افزع بطشا في طفيلاتها ، واقرب الى ان تكون كتلة مادية فقدت جميع عناصرها الانسانية كما سئرى . واذا كان (الهم) صيغة مطلقة للوجود اللامشروع بالنسبة للانسان ، فانه بالنسبة للعرب يتحمل جميع سوابل الوجود القومي المقاوم للثورية . وهكذا رغم مادية السديمية فانها تنزمن ، وينظر اليها من قبل الثوري على انها من صنع الماضي ، ليس الماضي الانساني ، بل هذا الماضي ذو الخصائص المحددة الذي كان لامة معينة خلال تاريخها القومي الذاتي . انها من صنع (الهم) الماضين . واما الهم الحاضرون ، فهم الذين يتابعون ما صنعه لهم . انهم مخلوعون عن ذاتهم ، يحيون في الحاضر ، ولكن الحاضر

— التمتة على الصفحة ٢٨ —

(1) J. Wahl : Etudes Kierkegardiennes P. 497

العربي... والحرية

نعم عند الله يولس

وهل انتهت كل القضية عند هذا الحد؟!

وكان لهذا التساؤل الحار ، فضل طرح قضية بحرر العربي بكل ابعادها الانسانية الاصيله ، على مستوى الوجود العربي .

وبدا العربي يدرك مع تفتح وعيه الجديد ان حريته ليست شيئا ناجزا يمتلك مرة وإلى الابد ، ولكنها تجاوز مستمر للواقع . . انها قدرة دائمة على خلق الموقف وامتلاكه . ومن ثم تجاوزه في حدث بطولي باهر . . انه ابدأ امام صراع دائم ، صراع أنساني بقدر ماهو مضمّن ، انه كي يتحرر عليه ان يمتلك رحيته في كل لحظة ، في كل موقف ، في كل حدث !

ولهذا كله ادرك ايضا ان العربي الاول لم ينقطع عن الاشعاع الا منذ اللحظة التي انقطع فيها عن امتلاك حريته، وعندها فقط كبا - وسقطت الراية - وانطفا المشعل .

وكان ان اصبح النضال للمرة الثانية قدر العربي ! وكان من الطبيعي ان يحمل هذا الطرح لقضية الحرية، وعلى هذه الدرجة من المساس بالوجود العربي الراهن ، في مضمونه ، طرعا لبنية الواقع الذي يتحرك فيه العربي المعاصر ، ولكل مكتنفات الوجود العربي ومواصفاته . ولم تكن منسكلات الواقع العربي غريبة كل الغرابه عن منسكلات الانسان في هذا العالم .

فالواقع العربي مجزأ والقيم الاجتماعية بالية والعدالة مفقودة .

وعلى مثل هذه الركائز الثلاث ، لم يكن من الممكن أن يقوم وجود عربي متكامل ايجابي ونام ، وحرية العربي بالتالي لا يمكن الا ان تظل شوهاء مبتورة !

ولكن الحرية كنمو يهدف الى التكامل ، وتجاوز مستمر للواقع ، كان من الواضح ان تؤدي الى الرفض الكلي للواقع العربي المتفسخ ، وان تؤدي بالتالي الى رواق اخر احفل بالاضواء . . الى الثورة .

ولقد كان من الممكن ان يقف « جيل الرفض » الجيل الذي نفخ يديه من الواقع الفاسد ، عند هذه الخطوة التي هي خطوة الى امام في مجال القضية العامة ، والتي هي في الوقت نفسه ، ممارسة ناقصة وسلبية للحرية ، بالنسبة الى الجيل ذاته !

ولكن خصوبة الأحداث وتدفعها ، او انه شيء اخر يدخل في صميم نفسية العربي وتميزه ، هو الذي جعل « جيل الرفض » نفسه هو « جيل الثورة » الذي كان عليه ان يعيش احسم مراحل القضية واشدها حساسية - المرحلة التي ستحدد خط السير بالنسبة للعربي سنوات طويلة في المستقبل - تلك هي مرحلة بلورة الاهداف ودفعها الى

ما من مرة استطاع الانسان ان يمتلك فيها حريته ، الا واستطاع ان يرتفع الى افق العطاء والاشعاع على مستوى الحضارة الانسانية .

هذه حقيقة يؤكدها تاريخ الحرية لدى الانسان ، ويؤكد الى جانبها حقيقة اخرى لا تقل اهمية ، وهي ذلك الارتباط الحار والدموي - ان صح التعبير - القائم ما بين الحرية والنضال عبر تاريخ الحرية الطويل الزاخر .

وهانان الحقيقتان اللتان تنسكلان ركيزتي ذلك التاريخ الاساسيين، نؤلفان ايضا جوهر هذا التاريخ وكل مضمونه . والعربي الذي استطاع ان يرتفع يوما الى هذا المستوى واستطاع ان يرفع مشعله بقوه ، منيرا للركب الانساني مراحل مظلمة . وصعبة من دربه ، هذا العربي ، قد لا يكون وعى هانين الحقيقتين عندما قذف بنفسه الى السباح ، ولكن من المؤكد انه بفدر مآكان يزداد انغماسا في نضاله ، كان يحس بنسداده الابدي الى هذا النضال الذي هو قدره . وبالتالي كان يحس بقوته وبقدرته على امتلاك حريته .

ومن المؤكد ان ما قدمه العربي للانسانية ، انما كان نمر . لتلك اللحظات الباهرة التي امتلك فيها العربي حريته، واستطاع ان يجاوز ذاته ، وان يستنرف تلك المجالات المعسرة من الحس البطولي ، وان يمتلك في النهاية كل قدراته على الخلق والتوهج .

والعربي المعاصر الذي بدأ يعيس قضية بعته الانساني وتجده الحضاري ، قد ادرك منذ البدء ارتباط قضية بعته وتجده ارتباطا وثيقا بقضية تحرره . والشيء الذي كانت تؤكد التجارب التي كان على العربي ان يخوضها هو انه كلما ازدادت قضية الحرية لديه تعمقا ، كلما اقتربت قضية البعث من جذورها الانسانية العميقة والصحيحة .

ولقد كان تحرير الارض العربية من الاجنبي ، الوجه الاول لقضية تحرر العربي نفسه ، ومنذ الوقت الذي استطاع ان يحصل فيه العربي على الاستقلال في بعض اجزاء من ارضه ، بدأت القضية تتكشف عن اشد وجوها صميمية وعمقا .

فالعربي الذي عاش فترة الانحطاط ، تسحقه قسرون من العبودية ، كان من البدهي ان يؤمن بان قضية تحرره باكملها انما تتركز في طرد الاجنبي ، وان الحصول على الاستقلال . انما هو غاية المعركة ومنتهائها ! ولكن ما حدث هو ان حرارة معركة الاستقلال التي خاضها العربي كانت كافية كي تصهر تلك القسور التي بقيت تغلف فترة طويلة مشاعر العربي النبيلة ، وحده الاصيل ، وتطلعاته الوجودية العميقة فكان من البدهي ان يتساءل بمرارة وعمق ، ذلك العربي الذي استقل . هل هو حر حقا ؟!

النهر الأسود

... النهر الأسود منبجس

من قلب مدينتنا الكبرى ،

نهر أسود ،

نعبان شرس ، يتأود

مغتسل بالزيت ممرد ..

لا صوت له ،

لا موج يلوح على وجهه

وعلى مرأى الشمس تعرى .

جسدا يعبد

من قصب تصفر فيه الريح

شده مبحوح

صلى في شطيه وبدد

في صفحته ظلا أربد

.. نهر أسود

يتلوى كدخان المعمل

عب الماء ، الزيت المهمل ..

من نهر مدينتنا الأدرد

ومضى عنها مثل مشرد

القاع ملوثة تخجل

والصفحة كالوجه الاجرد

والشط مباءة ديدان

تتبذل فيها وتردد

اغنية الوحل الريان

بالموت ، وبالحقد الاسود ...

علي الجندي

دمشق

فمة موجة المد الثوري العربي . ودفع القضية بذلك اشواطاً بعيدة الى الامام .

وبذلك برزت الى الوجود العربي اهدافه الاساسية التي كان عليها ان تهب النضال العربي مضمونه ومحتواه .. وهكذا ، الى جانب الحرية كمطلب اكبر - تبلور الهدفان الاخران : الوحدة والاستراتيجية .

وكانت الوحدة للمرة الاولى تعني شيئاً اعمق من ازالة حدود سياسية زائفة مزروعة بافتعل في قلب الوطن العربي .. كانت تعني خلاص الكيان العربي نفسه من التمزق وبروزها الى العالم كياناً واحداً متكاملًا اثر عملية انصهار وخلق فعليين .

والاشتراكية كانت تعني شيئاً اكثر من تحقيق مستوى ادنى من المعيشة للانسان العربي ، اذ كانت تهدف الى خلق التربة الغنية الصالحة التي تتغلغل فيها جذور الكيان العربي المتكامل ، والتي يستطيع فيها هذا الكيان ان ينمو ويزدهر ويثمر ، ويقدم للانسانيه اشياء جديدة غنية .

ولقد كانت الوحدة كتجاوز لواقع التجزئة من جهة ، والاشتراكية كتجاوز لواقع الظلم والفساد من جهة اخرى ، انما تهبان الحرية لدى العربي مجالا جديداً وخصباً لتحقيق من خلاله ، وهذا يعني نهما تهبان النضال العربي نفسه محتواه الجديد الذي سيستقطب القوى الثورية الجديدة . ولقد تهيأ لجيل الثورة ان يلتقي بقيادة سياسية من نفس المستوى ، وكان هذا الالتقاء دعماً قوياً ، وضمانة كبيرة لمرحلة الثورة ولقضية البعث بأكملها ، اذ ان قيادة سياسية كهذه تملك الكثير مما تستطيع تقديمه ، واول هذا الكثير . التجارب .

فالقيادة السياسية الواعية تستطيع ان ترصد الاحداث بمهارة لتدفع بالعربي وفي اللحظة المناسبة الى قلب المعركة .. الى قلب تجربة غنية تصهره وتدفعه للارتفاع الى مستوى القضية ، والى ان يحمل مسؤولياته برجولة وشجاعة .. والنتيجة ستكون حتماً كسباً للعربي ، اذ ان اللقاء العربي بالعربي ، ذلك الالتقاء الحار من خلال التجربة سيكرس ابداً وحدة الكيان العربي ، وسيكون كسباً في مجال الكشف عن الدات ، والنمو عبر القضية ، والتمرس بالنضال ، والامتلاك للحرية .

ولذلك فالعربي اليوم لا يستطيع ان يبتهل الى الله كي « لا يدخله في التجارب » فهذه التجارب هي كل املسه ، من خلالها فقط ، من خلال الصراع الدامي المرير ، ومن خلال التضحيات والتجارب الاليمة ، سيكتشف العربي ذاته - جوهره - اصلته ، وستكون حرارة هذه التجارب كافية لصهر كل ماهر زائف ، ولهذا سيتمكن العربي من خلالها ايضاً من اكتشاف كل ارتباطاته العميقة ، والانسانية وان يمارس في كل هذه الاكتشافات حريته ممارسة غنية ستكون سبيله الوحيد الى البعث ، اي الى الاشعاع والعطاء على مستوى التقدم الانساني .

عبد الله يونس

كلية الطب - جامعة دمشق

النهر الأسود

... النهر الأسود منبجس

من قلب مدينتنا الكبرى ،

نهر أسود ،

نعبان شرس ، يتأود

مغتسل بالزيت ممرد ..

لا صوت له ،

لا موج يلوح على وجهه

وعلى مرأى الشمس تعرى .

جسدا يعبد

من قصب تصفر فيه الريح

شده مبحوح

صلى في شطيه وبدد

في صفحته ظلا أربد

.. نهر أسود

يتلوى كدخان المعمل

عب الماء ، الزيت المهمل ..

من نهر مدينتنا الأدرد

ومضى عنها مثل مشرد

القاع ملوثة تخجل

والصفحة كالوجه الاجرد

والشط مباءة ديدان

تتبذل فيها وتردد

اغنية الوحل الريان

بالموت ، وبالحقد الاسود ...

علي الجندي

دمشق

فمة موجة المد الثوري العربي . ودفع القضية بذلك اشواطاً بعيدة الى الامام .

وبذلك برزت الى الوجود العربي اهدافه الاساسية التي كان عليها ان تهب النضال العربي مضمونه ومحتواه .. وهكذا ، الى جانب الحرية كمطلب اكبر - تبلور الهدفان الاخران : الوحدة والاستراكية .

وكانت الوحدة للمرة الاولى تعني شيئاً اعمق من ازالة حدود سياسية زائفة مزروعة بافتعل في قلب الوطن العربي .. كانت تعني خلاص الكيان العربي نفسه من التمزق وبروزها الى العالم كياناً واحداً متكاملًا اثر عملية انصهار وخلق فعليين .

والاستراكية كانت تعني شيئاً اكثر من تحقيق محتوى ادبي من المعيشة للانسان العربي ، اذ كانت تهدف الى خلق التربة الغنية الصالحة التي تتغلغل فيها جذور الكيان العربي المتكامل ، والتي يستطيع فيها هذا الكيان ان ينمو ويزدهر ويثمر ، ويقدم للانسانيه اشياء جديدة غنية .

ولقد كانت الوحدة كتجاوز لواقع التجزئة من جهة ، والاستراكية كتجاوز لواقع الظلم والفساد من جهة اخرى ، انما تهبان الحرية لدى العربي مجالا جديداً وخصباً للتحقق من خلاله ، وهذا يعني نهما تهبان النضال العربي نفسه محتواه الجديد الذي سيستقطب القوى الثورية الجديدة . ولقد تهيأ لجيل الثورة ان يلتقي بقيادة سياسية من نفس المستوى ، وكان هذا الالتقاء دعماً قوياً ، وضمانة كبيرة لمرحلة الثورة ولقضية البعث بأكملها ، اذ ان قيادة سياسية كهذه تملك الكثير مما تستطيع تقديمه ، واول هذا الكثير . التجارب .

فالقيادة السياسية الواعية تستطيع ان ترصد الاحداث بمهارة لتدفع بالعربي وفي اللحظة المناسبة الى قلب المعركة .. الى قاب تجربة غنية تصهره وتدفعه للارتفاع الى مستوى القضية ، والى ان يحمل مسؤولياته برجولة وشجاعة .. والنتيجة ستكون حتماً كسباً للعربي ، اذ ان اللقاء العربي بالعربي ، ذلك الالتقاء الحار من خلال التجربة سيكرس ابداً وحدة الكيان العربي ، وسيكون كسباً في مجال الكشف عن الدات ، والنمو عبر القضية ، والتمرس بالنضال ، والامتلاك للحرية .

ولذلك فالعربي اليوم لا يستطيع ان يبتهل الى الله كي « لا يدخله في التجارب » فهذه التجارب هي كل املسه ، من خلالها فقط ، من خلال الصراع الدامي المرير ، ومن خلال التضحيات والتجارب الاليمة ، سيكتشف العربي ذاته - جوهره - اصلته ، وستكون حرارة هذه التجارب كافية لصهر كل ماهر زائف ، ولهذا سيتمكن العربي من خلالها ايضاً من اكتشاف كل ارتباطاته العميقة ، والانسانية وان يمارس في كل هذه الاكتشافات حرته ممارسة غنية ستكون سبيله الوحيد الى البعث ، اي الى الاشعاع والعطاء على مستوى التقدم الانساني .

عبد الله يونس

كلية الطب - جامعة دمشق

دِفَاعٌ عَنْ مُحَمَّدٍ

بقلم غايي شكري

لوقا في تفسير اليهودية والمسيحية والاسلام ، فقد حمل الفرد أكثر مما يحتمل ، وهو ينظر الى تلك الديانات الثلاث ، فلم يدخل في اعتباره سوى الحاجات الروحية للبشر ، والسمات العبقرية في حياة الرسل . وتناسى - تبعاً لذلك - ان القيم الروحية والفكرية هي تعبير حاد عن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية . وان الرسول الفرد ، ما كان ينجح في بلاغ رسالته ، لولا ان ظروفه المحيطة به قد دمغته بهذا الطابع الثوري .

وإن ، فلاختلاف بيني وبين مؤلف الكتاب هو اختلاف جذري في الاساس ، لانه اختلاف في منهج البحث .

وما بهرني حقا هو تلك الصفحات العشر ، التي طويناها منذ قليل ، فقد احتوت فصلاً بعنوان « صبي في المسجد » هو وثيقة انسانية غالية .. ربما كانت نتيحة الابوين في ادبنا القديم والحديث .

وانت لن تبقى طويلاً حتى تعرف ان « الصبي » هو المؤلف بعينه . ساقته ظروفه طفلاً ، الى شيخ ضرير وفقر ، غرس في قلبه حباً رقيقاً لرسالة محمد ، وتقديراً لاداب المسلمين ، واحتراماً للحضارة الانسانية حين اضاف اليها العرب رافداً جديداً .

وتمضي قصة الاسلام مع نظمي لوقا الى غايتها ، فيشرب عن الطوق ابناً مخلصاً للضاد ، وقلبا صادقا في الحب ، وفيا للترات .

ولا يبهرك في القصة ان مسيحياً عائق محمداً . لان ما يستتر خلف هذا المعنى هو اعظم واجل شأنا . والعمر الذي قضاه نظمي برفقة الشيخ « سيد » ، من الفة وفهم وحب .. هو صورة صغيرة لآعمار البشر جميعاً . وما التعايش الانساني بين المسيحية والاسلام في هذين القلبين الا تعبير حضاري عن التعايش الانساني بين الفكرات المتصارعة في عالمنا كله .

والمثل الذي تقدمه ارض مصر الى شعوب الدنيا - في شخص نظمي والشيخ سيد - هو امتداد طبيعي لتلك الدعوة البعيدة العميقة ... دعوة التوحيد الالهي في انبعاثها من قلب ذلك الفيلسوف النادر اخناتون . ولو تأملنا هذه الابوة المصرية الروحية القديمة ، وما تلاها من ديانات وفلسفات ، لعثرنا على حلقة تراهي لاوهامنا انها فقدت مع الزمن . والحق ان الزمن لم يصنع الا غشاوة قائمة على عيوننا ، توارث دونها الحقيقة الباهرة . وهي ان الفلسفة الانسانية لا تفرق بين البشر ، لان وظيفة هذه الفلسفة هي التقارب والتآلف والتراحم . اما الفرة والمباراة والتناوب ، فانها وليدة ظروف عابرة ، وملابس زائلة .

ذلك لان الفلسفة الانسانية تتبع من صميم الحاجة الانسانية المادية والروحية الملحة . ولم تكن حاجة الانسان يوماً هي البفضاء والتناهر ،

قصة الانسان الكبيرة ، ليست خطوطاً لحياة فرد من الناس ، ولا هي عدة صفحات من كتاب لتاريخ احد الشعوب ... وانما هي لحن عظيم رددته اجيال قبلنا ، وسترده اجيال بعدنا ، ولن تكون لهذه السيمفونية خاتمة ، مهما بلغ الكائن الحي من الذروة مداها ، ومهما بلغت آلهة الحرب في وصف السعير الذري وبشاعة النهاية .

وقصة الانسان ، لم تكتبها احدى عبقریات البشر ، وانما اسهمت في صياغتها كائنات الحياة ، منذ دبت على الارض الحياة ، وستظل في ابداعها ما بقيت الحياة ، مهما اصرت المعاجم على ان الموت احدى كلمات هذه الحياة .

وقصة الانسان بسيطة ، بساطة الانسان نفسه ، خالية من كل تعقيد وتركيب . ليست في حاجة الى نظارة نقرأ بها سطورها ، بل في حاجة الى بصيرة وعقل مدرك . وهي كبيرة كبيرة ، حتى لا تكاد تحددها اسوار علم الجغرافيا ، وهي صغيرة صغيرة ، حتى ان طفلاً ولد اللحظة ينتفسحها بصدرة الواهن ، ويعيها بقلبه الضئيل .

ورغم ذلك ، فما اكثر ما تعرضت له هذه القصة من سوء الفهم والتقدير وما افدح ما اصابها من عنف وخذلان . لان غمامات من الشر ظلمت سماها لحظات ، او ان ماء آسنا ركد في محيطها هنيهات .. فذابست معالم القصة العظيمة في نيران قاسية او بهتت علامتها في طوفان لا يرحم .

الا ان الانسان الكبير لا تعوقه ملومات الحياة ، ومن ثم فلا خوف على قصته من النهاية والضياع . اذ هي تمضي به من نصره الى نصره ، وتحقق له فوزاً بعد فوز . لا تزيد العواقب والصعاب ، الا اصرار فوق اصرار .

✱

وفي كتاب جديد ، قرأت سطراً مضيئاً في هذه القصة الشامخة . سطر هو الى « الكتاب » اشبه ، ولكنه الى « الكلمة » ادق معنى ، وانقى تعبيراً . لم ار في هذا الكتاب مؤلفاً ولا معلماً ، وانما عثرت على صفحة منيرة من قصة كبيرة اسمها الانسان .

وانت حين تقرأ معي « محمد الرسالة والرسول » ستحس ان كلماتي قاصرة عن الغلالة ، جامدة عن التضخيم والتجسيم ، حيث انه لا مبرر للشامخات في طلب الرفعة والشموع .

واذا طويت عشرين صفحة من الكتاب ، فانك ستلتقي ببحث موجز عن رسالة الاسلام ورسولها ، مما قد تختلف بشأانه مع المؤلف او توافقه وربما اذا خالفته لن تبلغ مداي ، فاني لا ارضى تفسيراً للظواهر الاجتماعية يعزل الظاهر عن قاعدتها المادية . وهذا منهج الدكتور نظمي

لان طبيعته البشرية ، هيات له مكانا عليا بين سائر الدفعات والتوازع . وواجبا اذن ، ان تنتقي الزوان من حقول الحنطة ونحرقه كما دعا المسيح . ولا ينزع الاشواك من حديقة تاريخنا الا الدراسات الجادة الواعية ، والبحوث العلمية المستتيرة . فنجث بها كافة الازاجيف والخزبلات ، وكل طفيليات سامة من شأنها ان تهز الضمائر وتقمسط الانسان حقه في التعرف على جوهره المضيء .

وقد عانت هذه المنطقة العربية - بالذات - هولا كثيرا . فالحروب الصليبية الاوروبية تغير عليها بحجة اسطورية واهية . ومقاوس المسيح وقبره وصليبه لم تكن في حاجة الى جيوش غازية تحميها .

ولو كان القائد الاوربي صليبا حقيقا ، لقرأ في الانجيل ان بطرس - تلميذ المسيح - هجم في لحظة غضب على احد أعداء سيده ، وقطع بخنجره اذنه ، وعلق المسيح في حزن « يا بطرس ، اعد سلاحك الى مكانه ، لان كل الذين يأخذون بالسيف ، بالسيف يؤخذون » (١) ! وفيهم اذن كانت الحروب الصليبية وهي تعادي جوهر المسيحية ؟ لا شك ان طبيعة النظام الاقطاعي الممزق في اوربا ذلك الحين هو المسئول الاول عن هذه الفتوحات الاستعمارية . ولا ريب ان هذه النوايا الحقيقية قد كشفت عن انيابها الشرهة ، بعد ان انجلت المعارك عن صكوك العبودية وولائيق الهوان .

واذا اضفنا الى اللوحة بعض التوشى الهامة ، كالغزو العربي لبلاد الاسبان .. استظننا ان نجعم الاشعة في بؤرة واحدة ونقول ، ان هذه المنطقة قد عانت ويلات موقعها الاستراتيجي ووضعها التاريخي ، كاشق ما تكون المعاناة .

ذلك لان رواسب تلك القرون الوسطى بدأت تحفر لها في اجسادنا واراضنا ، فجوات عميقة من الكراهية والحقد . واصبح القلب البشري بئرا غائرة مليئة بالفحم الاسود .

وكلما انبت التاريخ حاكما حكيما يداوي جراح شعبنا ، اسرعت تراكمات السنين بدورها تثبت الاشواك في طريقه ، ويتراجع التاريخ - الى حين - فيلد شيطان او شياطين ، تصيف الى الجرح الملتئم علقما يهرنه ويضرم النار في خلاياه .

وهكذا كان الاتراك والانجليز والمستبدون من المعريين والعرب ... يعرفون طريقهم الى واد كل حركة انسانية تعلق الماضي ، وتمحو مرارة التاريخ ، وتذيب رواسب القرون .

الا ان هذا الشعب البطل ، كان لا يفتأ يقاوم ، ويبذل من نفسه ، ويسخو في العطاء .. حتى يفلب الاعراض الطارئة والظواهر الموقنة ، ولم يكن له من سلاح الا هذه الوحدة الجذرية الطبيعية ... وحدة التعدد الالهي في « مائة » و « العزى » و « اللات » (٢) .. ووحدة التوحد في اخناتون ، الاب الروحي للحركات والثلاث التوحيدية الكبرى . أما وحدة الجنس ، فرغم ان شعبنا لم يعرف الدعاوي العنصرية على مدى تاريخه ، الا انه عرف الوحدة الجنسية بعد الغزو العربي ، ونتج عن ذلك ما يعرف بالتفاعل الحضاري بين الشعوب . اي ان مصر العربية الحديثة ، اصبحت كلا واحدا ، بلا انفصام او خلخلة او اهتزاز . وكانت هذه الوحدة الدينامية هي نواة الوحدة النفسية . والمضمون الانساني دائما في حاجة الى شكل سيكلوجي يلانمه .

(١) انجيل متى ص ٢٦ - ع ٥٢

(٢) اصنام عربية باسماء مصرية (عن احمد كمال في « مصر اصل الحضارة » لسلامه موسى ص ١٤٩)

فاذا كان الغزاة العرب قد رفعوا في مصر راية محمد ، والغزاة الاوروبيون قد رفعوا في القدس راية الصليب .. فان المصريين كانوا يعانون في الواقع ، نقطة التحول الرائعة في تاريخهم .

ونقاط التحول هي انصهار لمعدن الشعب في بوتقة ضيقة ، والذين يتمرسون على رؤية الذهب في روعة الانصهار ، غير الذين يشاهدون النار من بعيد .

والفصل الذي كتبه نظمي لوقا بعنوان « صبي في المسجد » هو تجسيد لا شعوري لتلك الرحلة الحاسمة في تاريخ شعبنا . وما قام به الفنان هو عملية استرجاع تاريخية لموقف شعب كامل .

فتحن مع والد الصبي عند الشيخ الضرب في دكان حلاق بمدينة السويس . ويحس الوالد القبطي المسيحي ان في سمات الشيخ المسلم شيئا غير عادي يجذبه الى التحدث معه . ورغم ان الشيخ لا يعطسي دروسا في العربية ، الا انه لا يرفض طلب الرجل المسيحي ، بعد ان شكاه له حصيللة المدارس المصرية في لغة بلادنا .

وهذه اللقطة الفردية الواقعية من حياة الكاتب ، تذكرنا بما كان عليه هذا الشعب من اضطراب لغوي شامل قبل الغزو العربي . فقد اختلفت اللغات المصرية - وقتئذ - من جانب ، ولم تتفق مع لغة الاحتلال من جانب اخر . وكان الاختلاف المقاندي - في المسيحية - والمعنى القهري للاحتلال ، هما القاعدة العريضة لهذا البناء الهرمي الممزق ، وما اعتلاه من قمة حادة هي ما اسميناه بالاضطراب اللغوي الشامل .

وما ان تم انتصار العرب على الرومان ، وتنافس المصريون الصعداء ، حتى بدأ التقارب على نحو ما ، ثم مضى التفاعل الحضاري - كما قلت - يعمل على استقرار الامور .

غير ان اللسان القبطي ، ما زالت تداعبه غصة في نطق العربية . والمحاولة العبقرية التي قدمها نظمي لوقا هي الحيلولة بين هذه الفصمة واللسان المصري .

وبلغ الصبي المسيحي مع شيخه شوطا محمودا . مما اثار حفيظة الفضوليين من المجاورين للمسجد والمصلين فيه . واذا الشيخ يصرف احد هؤلاء ، يدعوه بعد العصر في حديث . ويحضر الرجل ، ويستمع الى الشيخ يناقش الصبي ويوجهه ويستوضحه « حتى اذا باغ الموضوع غايته .. وجه الشيخ الكلام الى صاحبه الزائر قائلا - ص ١٤ - :

- كيف بنوك يا فلان؟

- بخير يا مولانا ... يقبلون الايدي

- تعرفني يا فلان امقت تقبيل الايدي .. اعرفت فيم ارسلت اليك ؟

فاطرق الرجل وقال :

- عرفت يا مولانا

- انصرف راشدا

ونفض الرجل محببا . وتحرى ان يصافح الصبي الصغير في مودة سابقة اشبه شيء بالاعتذار .

وراه الفتى بعد ذلك اليوم - وكان ساعتها له دكان قريب من المسجد - يستقبله بالتحية التي يلقي بها الشيخ كلما مر به قادما او منصرفا ... ويكاد يلمس في صوته وایمانه هزة الخشوع «

اين الدلالة الانسانية في هذا الموقف العادي ؟

يخيل الي انها ابعد مدى من المعنى القريب لعيوننا . فالرايات الشاحبة التي حملت صلبان المسيح والسيوف العربية ، لم تحجب عن بصيرة شعبنا ، ما تحتويه اضلعه من جوهر رائع .. ضائع !

كان هذا الجوهر مستورا خلف اردية كثيفة :

✦ الاضطهاد ابدى من خلال احداث فردية وقعت للمصريين فور الغزو العربي .

✦ الحماس الديني المفرط للعقيدة الدينية ، والتقاليد الموروثة ، والعادات القديمة . (٣)

✦ صور الماضي القريب : في الاندلس والقدس .

هذه الغمامات القائمة ، سودت الرؤى امام العيون ، فاخفت الجوهر الانساني الى حين . حتى اذا تم التفاعل البشري بين الناس ، وانجابت الفشاوة عن الابصار ... وضع الشعب اصابعه على نسيج الرايات المصلوبة ، فاذا بها من فتائل المادة والاستغلال والتكالب ، ولا تمت الى اهداف المسيح بصلة ما .

وعندما تحولت مصر المسيحية في خط سيرها الطبيعي الى مصر الاسلامية ، ماتت النتائج الوليدة عن التعصب المفرط المدموم . لان الحماس العاطفي للمسيحية ، لم يكن لهذه الديانة بعينها ، وانما كان للعقيدة الدينية وحسب ... فبعد ان حلت عقيدة جديدة في القلوب المؤمنة بالعقيدة القديمة ... او بمعنى ادق .. حين تطورت العقيدة في شكل جديد ، لازمها الحماس والعاطفة والتضحية جميعا .. كما كانت هذه الاتوب ملازمة للعقيدة السابقة .

وقد تولد في وعي انصري هذا المعنى الجديد الرائع ، وهو ان العقيدة الروحية ، هي جماع آرائه الخاصة بالحياة والكون .. وبما ان هذه الحياة في تغير وتطور دائمين ، فلا بأس ان تصبح العقيدة الفكرية - وهي التعبير المباشر للتطور الاجتماعي - في تغير وتبدل وتطور . ولا عجب اذن ان يسقط التعصب من مخزن اتوبنا التقليدية . ويحل التآلف والتفاهم والحب .

وترتفع هذه المعاني السامقة في موقف الشيخ « سيد » حين دعا صديقه المنذر - لكونه يعلم طفلا مسيحيا بينما هو يرفض الامر لاطفال المسلمين - ويخرج الصديق ، نافضا عن عينيه سحابة القرون . ويشرح صدر الصبي ان يحييه كل يوم بمثل تحية الشيخ المعلم .

وهذا هو الشيخ المسلم ، لا يعزل دروس الصبي عن دروس الحياة . فذا اقبل غلام ذات يوم سائلا عن الشيخ ، وناداه الصبي :

- الولد حضر يا مولانا .. الولد خادمك

راح المعلم يؤنب تلميذه على هذه العبارة ، لان الدهر ليس ارثا لاحد ، وهذا الولد « الخادم » له اب وام كاي انسان ، لولا ان الحياة قد حالت بينه وبين اسباب العز والجاه .

وقضى الصبي ليلته يفكر : ماذا تراه كان يفعل لو ولد فقيرا ؟ اكان يطيق احدا يناديه « اقبل يا ولد .. يا خادم » . ولم يسأل نفسه بهذه الكلمات ، وانما تصورهما في مخيلته .

وحين افضى الى امه بكل شيء ، ثارت على الشيخ ومحمد والاسلام ، ونقلت ثورتها الى زوجها ، فابقى الفتى دون الدرس ، وذهب محتجا لدى الشيخ .

وتتألق هنا لحظة جديدة مشرقة في هذه العلاقة الانسانية ، اذ يتساءل الشيخ « سيد » (ص ١٩) :

- هل ترضى منى ان اخذ ولدك بغير الادب الاكمل ، والنهج الاقوم ، وان اعرف الحق واحيد به عنه ؟

(٢) تبدأ السنة القبطية بيوم الشهداء (هو اليوم الذي حدثت فيه المذبحة الشهيرة بين الرومان والمصريين) .

- بل لا اريد ...

- وان اردت انت فلن اريد ! لان ذلك هو الفش البين . فهل تراك اخذت على الدهر ميثاقا ، وقد عجز عن ذلك الملوك والسلاطين واصحاب الملايين من قبلك ؟

- ولكن الله يا مولانا رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات ...

- ويداول الدنيا بين الناس ! ثم اما قرأت في كتابك ؟ الم تجد فيه ان المسيح عليه السلام - ورايكم فيه ما تعلم ! - غسل اقدام حوارييه؟ آداب الرسل ليس فيها تفاوت . وانما التفاوت عندنا حين نفرط في لباب الدين لتتعلق بزخارف الدنيا » .

هذه هي الوفة العظيمة . يجب ان نعيا وتندبر معانيها . والد الصبي المسيحي ، يستشهد من الاسلام بان الله رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات . فيكمل له الشيخ القول الكريم ، الا انه لا ينسى ان يبادل تحية بتحية فيذكر له ان المسيح بلغ درجة رفيعة من التواضع ، وانحنى على اقدام تلاميذه وغسلها امعانا في السهو والعظمة . ثم يجسد الشيخ مأساة البشر كلها ويقول « آداب الرسل ليس فيها تفاوت ، وانما التفاوت عندنا » أجل .. فيصدر هؤلاء الرواد لا يختلف في النع . والناس - تسامحا مع ظروفهم - هم الذين يختلفون . ولكن متى نعي اننا لا نختلف الا للتفك ، ولا نفترق الا للتلفي ؟

لقد اراد لنا الاستعمار الاجنبي والاستبداد الداخلي ، ان يطوقا اعناقنا بسلسلة استحكمت حلقاتها من الشعار الاسود « فرق تسد » ، فما زالوا يترسسون على استخدام هذه المقصلة لشنق تاريخنا ، حتى التفت هذه السلسلة - بغير وعي - على اعناقهم .. وها هوذا النظام الاستغلالي يغيب ، وشمس الاستعمار تغرب ، وحرية الشعوب تعود الى اوطانها المصلوبة .

ولم تكن عملية الاستعمار غريبة على الذين درسوا طبيعة المجتمعات الاقطاعية والراسمالية . فقد ايقن هؤلاء ان الانظمة الاستغلالية تحتوي في كيانها على جرنومة انهيارها . لان اقتسام مناطق النفوذ يؤدي بطبيعته الى تناحر الدول الراسمالية فيما بينها ، في الوقت الذي تنشط خلاله القوى الوطنية وتزداد قوة . واذ تضعف قوى الاستعمار وتهدد عزيمته ، يفتاج بالصلابة الجديدة من الداخل ، ويستسلم في لفظ انقاسه الاخيرة . ولكن العملية لاتتم بهذه البساطة . والعدو لا يرفع الراية البيضاء مهما كانت الهزيمة نهايته المحتومة .

ولذا سارع الاستعمار - قبلنا ! - الى دراسة تاريخنا . وعثر على مفتاحه الذهبي في اختلافنا العقائدية والمذهبية . ومن ثم راح يغطي بسحب كثيفة على فروق المجتمع الطبقي ، ويشعل نار الفروق الدينية وغاب عن البسطاء منا ماتضمرة الخطة الاستعمارية من تقسيم قوانا وبشرة امكانياتنا ، وتسميتنا ملا وطوائف . ومن هذه الثغرات كان الاستعمار ينفذ الى صفوفنا ، يؤلب هذا الفريق ضد الآخر ، ونسينا - وقتا ما - العدو المشترك الواحد . نسينا ان الذي رابط بخيوله في صحن الازهر هو الذي دك بقنايله « برج القيامة » (١) نسينا ان الرصاص الانجليزي لم يفرق بين الدم المسيحي او المسلم .. منذ عام ١٨٨٢ الى عام ١٩٥٦ .. في القاهرة ، والاسكندرية ، والسويس ، وبور سعيد .

نسينا هذا كله ، ولكن الدماء السخية كانت تروي تراب ارضنا ... وتاريخنا . ونمت شجرة حياتنا الحرة .. عملاقة شامخة ، ترعرت فروعها متشابكة ، متعاونة ، متآزرة .. لا يفرق بينها استعمار ، ولا يبعد اغصانها

(١) كنيسة المسيحيين الشرقيين في القدس .

استبعاد .

وكان الشيخ « سيد » غصنا رائعا في الشجرة العظيمة . وكان « نظمي » فرعا صميما ملاصقا لابوته الروحية . فما حاولت الاعاصير والانواء ان تفرق بينهما وما استطاعت ..

لان الشيخ سيد لم يصبح في وجهه التاريخي فردا عظيما وحسب ، وإنما كان رمزا كبيرا تألف - بعمق - مع الرمز الكبير .. الاخر اعني نظمي لوقا . فقد سمع الصبي واعظا مسيحيا مشهورا يعف جماعة « البروتستانت » بالذئاب الخاطفة . وتصور الفلام - بنهته الطفل - ان لهؤلاء الناس انيابا كالذئاب ، وهيتهم تقرب بهم من الوحوش لا البشر . والتمس الفتى عند شيخه الهداية .. فماذا قال له ؟

اسمعوا ما قاله ، ورددوا كلماته معي :

- ان مسيح هذا الواعظ ليس مسيح الناصرة ولا مرا ..!

فالمسيح الناصري يقول : احبوا اعداءكم ، وباركوا لاعينكم !

.. اقرا انجيلك يا بني ، وافتح له بصيرتك .. واصد عن مفسري

السواء ما استطعت » (ص ٢١) .

وليس شك ان هذه اللزوة من الوعي ، هي قمة البناء الدرامي في حياة الشيخ الكبير وتلميذه الصغير . لقد سبق الرجل المسلم ، الواعظ المسيحي ، اميالا في طريقه الى ملكوت السماء ، فقد عاش كلمات المسيح العالية ، بينما ذاك يصف بعض البشر بانهم « ذئاب خاطفة » ! وهذا سبق الانساني ، هو التفاف رائع - في معناه العميق - بين الشيخ والصبي .. بين المسيحي والمسلم .. بين عناصر الشعب المكونة لمعدنه الاصيل ، في مجابهة العدو الاستعماري العميل .

وهكذا - مرة اخرى - لايعزل الشيخ عن تلميذه دروس الحياة . لايفصل بين اللزوميات والمعلقات وديوان الحماسة ، وبين الصراعات الدائرة في المجتمع .

ولا يغلب على منهجه الفطري الصافي ، مبدأ التجريد الصوفي . ولكنه يطبق كل حرف على حياته الفردية الخاصة .

ويكشف نظمي هذه الزاوية ، فيذكر لنا مافاسته اسرته من الحاجة حينما من الدهر . وترتب على ذلك ان يمتنع عن تلقي درسه المعتاد . فما كان من الشيخ العظيم الا ان جاء الى والده في البيت .. وكان الفتى قبل يتلقى درسه في المسجد .. قال للاب :

- ما اظنك تأبى ان اكون ضيفك كل يوم ساعة او نحوها .. وعرف الفتى ان الشيخ عازم ان يستمر الدرس بغير مقابل . وان تلففه شاء له ان يكون هو الساعي الى تلميذه ، صونا لعزته ، وزيادة في مروءته (ص ٢٢ ، ٢٤) *

ويتهيا الدكتور نظمي لوقا لخاتمة « صبي في المسجد » قائلا « .. وفي العاشرة رحل الفتى عن السوس . ولم ير الشيخ بعدها . لكن الشيخ ظل قائما في عقله ونفسه ولسانه .. فقد صاغ الشيخ في الفتى ذلك كله ، وفتح عينيه على احتقار الجاه واحترام العقل وتقديس العدل وشجاعة الرأي » .

وهذا حق .. فقد تعلم نظمي درسا انسانيا كبيرا من الشيخ سيد ، هو الا يفصل بين مثالياته العامة ، وحياته الخاصة . فنراه يتزوج احدى بنات « الذئاب الخاطفة » الذين امر الواعظ المسيحي كل قبلي «ارثوذكسي»(٥) الا يحبي احدهم في الشارع . ونراه ينكب على

٥ - كلمة يونانية معناها « مستقيم الرأي » والكنيسة الارثوذكسية تسمى التقليدية .

دراسة الاسلام واداب العرب . ولكنا لانراه يشهر اسلامه .. لماذا ؟

لان القيمة الانسانية والتاريخية التي نستقيها من نظمي هي اكبر من ان نقول : هذا مسيحي ، وذلك مسلم . فالواقع اننا جميعا - سواء ارادت شهادات الميلاد او لم ترد - نتنفس نظمنا الاجتماعية ، وحضارتنا الانسانية ، في تطورها وتحللها ، وفي تقدمها وانتكاسها ، وفي انتصاراتها وهزائمها .

وجميعنا اذن نمارس هذا التطور ونعانيه ، حاكت جلودنا دودة القز في انسلاخ جلدها كلما كبرت او لم تفعل .

ونظمي لوقا ، الذي امتد كيانا مزدهرا للرمز الكبير المعنون باسم « الشيخ سيد » هو نفسه الذي امتد حلقة متطورة « للعقاد » ، وهو نفسه يحمل الامانة لاجيالنا القادمة .

لقد مر هذا النموذج البشري في خط سيرنا الكفاحي الطويل ، وانصهرت تجربته الانسانية في بوتقة تاريخنا ، واطهرت لنا معدن جوهرنا النفيس .

والقيمة الانسانية لا توتنا اذا وعينا الفاية المباشرة من وراء التعاريف الانساني بين الفكريات المتصارعة . فلا شيء يأخذ مكانه في التاريخ عينا . وما علينا الا ان نؤمن بان المجتمع - بكافة موضعاته المادية والاجتماعية - هو القاعدة الغسيقة لكافة المثل والقيم والفكر . واذا كان المجتمع البشري في تطور دائم ، فلنفسج صدورنا اذن لكل تغير يطرأ على عقولنا وقلوبنا .

القاهرة

غالي شكري

دار الاداب تقدم

الطبعة الثانية من

قماره الموحية

الديوان الرائع للشاعرة

نازك الملائكة

يصدر هذا الشهر

موسمنا ... - ماذا؟؟ -

ورانت على
كيف الكنوز الشقر .. تلك التي
قمحية العينين! ماذا أرى
اينطوي كل شعاع على
دجلة، هل أودى؟ أم استحوذت
- موسمنا .. لا تكتئب طيب

لا! لا
أمحلت الأرض فلم تعطينا
جراحها ... تسأل عن ساعد
بيدرنا يخنقني .. كلمنا
وكرمنا جف ... فلم احتمل
وبيتنا .. فترانه هاجرت

موسمنا ...

واساقت نجمة
وانطفات أخرى، فتحت الدجى
كفى بنا .. يا أخت! ولندخر
رفقا بعينيك .. ولا ترخصي
.. يا أنت مهلا! ليس في وسعنا
الأرض لم تبخل .. فما بالنا
هل تبخل الأم بشيء على

عَلِمَ بَلَدُ طَر

.. موسمنا ..

لو لم تخنه السما
ميعاده أقدس أعيادنا
أسطورة خضراء كان الهوى
أن ينكر الصيف يدينا فهل
فاحيي بلا حس! فتاريخنا
.. لا تحرجيني!

« .. من رسالة الى صديقة
هناك! - تموز سنة ٥٨ »

فلحقدي قوى
الهناء يلتذ في أن يرى
يظل مشدودا الى عرشه
وطالما أرهف أعصابه
.. غني معي .. وابتسمي .. واسخري

من هذه المهزلة البالية
عاد بلا مؤونه كافيته
عن عزمه في السنة الآتية
مغامرا في هجرة ثانيته
في البيت، في أحشائه الخاوية
ترضع من أجسادنا العارية!

جامعة دمشق

علي كتمان

حجرة مهبل يحج عن نفسه

بقلم: فريدة النقاش

فارغة بعد ان كانت زاخرة بالرموز والوعود ، وفقد الخلود سحره ، وتغير وجه العالم تغيرا كليا مؤلما ، وشعرت ان وجودها اصبح ملطخا لان هذا البعد بينها وبين الله يفقدها الناس والاشياء الحميمية القريبة الى نفسها ، فلم يكن من السهل ان تتخلص نهائيا من رواسب الكاثوليكية في أعماق شخصيتها ويصعب عليها كثيرا ان تفقد هذا الذي ملا حياتها ووعدها بالبهجة والخلود ، فكانت تمنحه فرصا اخرى ليكشف عن نفسه ويملا قلبها باليقين « وذات ليلة تحدثت الله اذا كان موجودا ان يعلن عن نفسه فظل صامتا لا يجيب فلم أعد اوجه اليه اي كلمة » واصبح الله من يومها غريبا عليها وعلى العالم الذي يضطرب فيه البشر . وكانت طبيعة الجيل الا يقبل الحلول الوسط ، فاما كل شيء واما لا شيء على الاطلاق ، فاما ان يملأها الله بأكمله او ان يكف عن ان يوجد نهائيا . فكانت تتمنى ان يتجلى لها الرب وان تأخذها نشوة غامرة كلية او ان يحدث شيء ما خارق يسكت كل الشكوك سواء داخلها او خارجها عنها ، ولكن ويا للخسارة لم يحدث شيء فليتنه الله ولتتسع الهوة ما بينهما ولتبحث عن ملجأ اخر .

والى جانب هذا النموذج كانت هناك انماط اخرى تعاني نفس الازمة الدينية ، فحين استقر ابوها نهائيا على رفض الدين كانت «ازازا» تجتاز في المقابل ازمات حادة بالنسبة لمسيحياتها ولكنها في النهاية تستقر على الايمان الشديد بالله والخلود ، وتبعا لفكرتها المسيحية كانت ثورتها على مجتمعها وطبقتها لا تتجاوز حدود الاحتجاج النفسي ، فحين كانت تعترض على افكار امها لم تكن تستطيع ان تخرج عن طاعتها ولا تفكر بالثورة عليها ، وكان الصراع بين ايمانها ومسيحياتها وبين رغبتها العارمة في ان تعيش حياتها بسبب لها ازمات نفسية عنيفة « وفي اللحظة التي كنت اوجد فيها بكل كثافة كنت لا انقطع عن الاحساس بطعم العدم في فهي »

وكان خروجها على الدين بداية لتمردا على مجتمعها فتاقت الى ان تخرج من المجتمع البورجوازي وان تملأها ثورة فاصلة شاملة على عفونة هذا المجتمع وتصلبه وخاصة بعد ان اكتشفت افلاس احد الاسس الرئيسية لهذا المجتمع وهو الدين ، وكان عليها في البدء ان تجد ما يملأ الفراغ الذي تركه الدين في نفسها ، وكانت في هذه الانشاء تعيش تجربة حب من جانبها فقط تغذيها بخيالها وتعمقها لانها تخشى ان تفقد كل شيء فعاشت على امل زائف ، ومن خلال تجربتها مع « جاك » تعرفت على الادب ، واخذت القراءة تستغرق ما استغرقته الصلاة في الماضي ، فملا الادب الفراغ الكبير الذي تركه الدين في نفسها ووجدت فيه كل ما فقدته في الدين : الخلود الضائع والاستغراق الصوفي . ولكن كان هناك شيء جديد لم تعرفه من قبل في تجربتها مع المسيحية ، ذلك انها

تعرض سيمون ده بوفوار في هذا الكتاب (١) تجربتها كفنانة فرنسية بورجوازية تعيش فترة من اخصب الفترات التي مرت بتاريخ العالم وتاريخ الفكر الانساني على حد سواء ، هذه الفترة هي ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وقد انعكست آثارها بشكل واضح على المجتمع الفرنسي والاوربي عامة وغيرت كثيرا من ملامحه وقيمه .

والحق ان هذه التجربة ليست تجربة سيمون وحدها ، انما هي تجربة جيل بأكمله عاش هذه الفترة بكل ما فيه وببحث عن خلاصه في الدين والادب والفن والحب والفلسفة .

وبدأت اولى تجارب « سيمون » مع الدين كنتاج طبيعي لارتباطها بمجتمعها وطبقتها ، وكان الله يبرر لها الوجود ويجسد الخير والحق وكانت تجد في السماء ما تفتقده في الارض ، فلم يكن غريبا ان تجد في الدين حلا لكل مشاكلها ، وفي سني مراهقتها الاولى كان الدين يمنحها راحة صوفية عميقة وشعورا بان الله لا يسقطها لانه بدونها ستفقد مخلوقاته مغزاها : البراري ، الجداول والورود والكائنات تصبح كلها بلا شاهد « وحين كنت في الصباح اجتاز الحواجز عدوا لاوغل في الغابات فانما كان هو الذي يناديني وكان ينظر الي بغبطة وانا انظر الى هذا العالم الذي خلقه لراه » وفي اللحظة التي بدأ فيها احتجاجها على مواضع طبقتها بدأ عالمها الروحي ينفصل انفصالا حاسما عن عالمها الفكري اذ لم تجد من المنطقي ان يكون ابوها مخطئا في فقدته لايمانه ، وهو الجنس الاذكى والاكثر تفوقا ، في حين تكون امها ، وهي الجنس الادنى ، مصيبة في ايمانها ، فخرجت من ذلك كله بان الحقيقة لا تتفق والخير ولم يعد للدين حججه المنطقية لانه لا يفتن الا المقتنعين . وانعكس احساسها بالانفصال على موقفها من التناول والاعتراف فقد كان الاب يجسد الاله ويعكسه بكل ما فيه من بعد عن الاشياء الصغيرة والقضايا اليومية التي تهم البشر فقط والتي ليس جديرا باله ان يفكر بها . فحين عنفها الاب لانها اصبحت شديدة العناد والشغب ، احمرت وجنتاهما واحتقرته وكانما سقط الله من نفسها ، وكانت بعد طفلة على اعتاب المراهقة ، ولما قص عليها الاب بعد ذلك قصة فتاة في مثل سنها فقدت ايمانها بعد ان قرأت « كتابا سيئة » ادت بها الى الانتحار كانت تشعر ببعد الله عن العالم وسلبيته « لماذا لم ينقذها الله وكيف تستطيع كلمات يقدمها البشر ان تهدم يقينا كبيرا » واخذ احساسها بافلاس الدين منطقيا يملأها فكانت تفسر مأساة الفتاة الصغيرة التي اخفق الله في انقاذها على انها تكمن في اكتشافها قبل الاوان وجه الواقع الحقيقي، ووعدت نفسها ان ترى ذلك الوجه يوما ما ، وقد جاء بالفعل ذلك اليوم وفقدت الله كليا وقد اصبحت بعده وحيدة بلا شاهد ، فاصبحت السماء

(١) منشورات دار العلم للملايين - بيروت

بدأت تلتصق بالأرض وأصبحت تتقدم في وضوح النهار نحو الحقيقة الساطعة للعالم ، وحين اعترفت لأمها بأنها فقدت إيمانها وبدأت تشق طريقها الجديد بثقة وتخلصت من العبء الذي طالما عذبها وفصلها عن الآخرين ، كانت منتشية لأنها ستمشي بوجه مكشوف وكانت تملك من الشجاعة ما يعينها على أن ترى العالم أيضا مكشوفاً وأن ترى الواقع دون تشويه أو زينة .

ولما التقت بأدب الجيل الجديد كانت تجد فيه نفسها ولم يكن هذا غريباً عليها « لأنها من الشاطئ نفسه » كانت تقرأ كلوديل وجيد وفاليري وموريك ومن خلالها تشربت فكرة العبث واللاجدوى لأن مأساة هذا الجيل كانت تكمن في أن يرى كل شيء في وضوح الشمس ، ولكنهم لم يجدوا حلاً لشيء فاعلنوا الأفلاس وتردوا في العبث فقد كان معظمهم من أبناء الطبقة البورجوازية انهكتهم الحرب فانكمشوا داخل أنفسهم ولكنهم كانوا تعبيراً أميناً عن طبقتهم وعن جيلهم الذي كان يجد القلق وكان جاك بطل شبابها وحبيباً تجسيدا مرهفا لهذا الجيل القلق الحائر ، لم يكن يرهق نفسه في البحث عن حل ، وإنما كان يتوغل بسيارته عبر باريس في الليل ويقضي ليلته في مشارب مونبارناس ، ومع ذلك كان يؤمن في أعماقه أنه ليس من الهين أن يعيش الإنسان دون أن يكون مؤمناً بشيء ما ، ولكن بأي شيء ، يؤمن الإنسان ؟ واية غاية تستحق أن يبذل من أجلها الجهد والعرق ؟ « ليس ثمة غاية تستحق أي جهد » !

وفي مقابل هذا النموذج القلق الذي لا يجد غاية تستحق أي جهد كان هناك غاريك الذي وجد نفسه في العمل من أجل الآخرين ، فأسس نظام الفرق الاجتماعية للارتفاع بمستوى الطبقات الأدنى ووجد في هذا العمل الغاية الكبرى التي تستحق كل الجهد ، وملأت هذه الفكرة الكثيرين من الشباب الذين كانوا يجدون فيها اما غاية لهم او ملجأ بعد أن مزقهم القلق واضناهم البحث عن الامان ، وكانت هذه الفرق بمبادئها وفكرتها التقدمية عن الانسان تؤكد لدى سيمون فكرتها عن الطبقات وعن قيمة الانسان ، فالمادة لا تستطيع ان تميز انسانا على آخر لاننا جميعا سواء امام القيمة الانسانية ، وكل ما يأتي بعد ذلك فهو خارج عن نطاق الانسان كذات يحب ويتوق ويأمل ، ولذا كانت تجد في وجه غاريك ملامح البطل ، الانسان الاعلى لانه بدل ان يترك حياته للقدر اختارها وخلق منها مغزى وفكرة ، فاي عبثة يستشعرها الانسان حين يبذل جهده في سبيل هدف كبير ، وحين يمنحه هذا الهدف قدرة خارقة على العطاء ، واصبح غاريك يقضي ايامها لان العمل من اجل الآخرين مبهج وحبيب الى القلب ولاسيما اذا كان ناتجا عن ايمان عميق بالانسان . كان جاك وغاريك اذن هما طرفي القضية ، هما السلب والايجاب : جاك يمجّد العبث ويعيشه ، وغاريك يخلق مغزى لكل شيء ويتسامى الى الانسان البطل ، اما سيمون فكانت تجسد الجيل بأكمله الذي لم يعرف الاستقرار بعد وكلا الطرفين يشده الى جانبه .

و حين تكشف لها كثير من الحقائق كانت المرحلة التالية في حياتها هي دراسة الفلسفة ، لان الفلسفة تمضي الى الجوهر مباشرة ولا تهتم بالقشور وتنفذ الى الكل دون ان تهتم بالتفصيلات ، وبعد قراءات عديدة عن نيتشه وسبينوزا وكانت وبرجسون ، توصلت الى ان الادب والعلم والفن اقرباء فقراء الى الفلسفة لانها اكثرها شمولاً وقدرة على كشف حقائق العالم . ونظرا لانها لم تكن تريد ان تكون فكرياً محضاً ، فلم تفتح لها الفلسفة السماء ، ولم ترسها نهائياً على الارض فاخذت تهرب الى حانات

باريس وتشرب الخمر حتى تفقد وعيها وتمارس الحرية الى منتهائها ، ولكنها في نفس الوقت كانت تجرّج خلفها رواسب كاثوليكية عديدة : فرغم انها قد افلتت من الدين تماما فالحرمان الجنسية ما زالت تحيا في نفسها الى حد انه كان باستطاعتها ان تتلوق المورفين والخمر ولكنها لا تفكر ابداً بتجربة الجنس وذلك تبعاً للفكرة المسيحية عن الجسد .

ورغم كل هذه التجارب التي باعدت بينها وبين الدين وبينها وبين متواضعات طبقتها ، الا انها ظلت تحمل جزءاً كبيراً من ماضيها . كانت تود لو تحملها معها الى المستقبل لانه جزء من تاريخها عرفت فيه الحب والقلق والدموع ، وظلت تعمق تجربة حب تعرف انها فاشلة ، فلم يكن الحاضر من الفنى والوضوح بحيث يغنيها عن الماضي . اما المستقبل فقد كانت واثقة منه ، ولكنه بعد ما زال في عالم الغيب ، وعلى هذا تمسكت بماضيها وبكنهه كثيراً .

وفي كل شخصية من شخصيات هذا الكتاب يتمثل لنا بوضوح نموذج من اكثر النماذج غنى وخصوبة ، تمثل لنا الحلول والنتائج التي وصل اليها هذا الجيل القلق في سبيل البحث عن نفسه وعن الحقيقة ، فوراؤه ماضٍ يثقله وحاضره ما زالت تثقله آثار الحرب الاولى والخراب الذي خلفته في وجدانه وفكره ، والمستقبل شديد الضبابية ، فعليه ان يعيش بملئه ويرى الواقع عارياً مهما كانت قسوته وبشاعته .

وبينما كانت سيمون تعيش مأساة هذا الجيل باخلاص كان للقضية طرف آخر بالنسبة لها كفتاة ، فقد كانت الفكرة ، لساندة ان المرأة كائن ادنى من الرجل ، ولم تكن مجرد فكرة انما كانت يقينا عند الرجال والنساء على حد سواء . وفي حين كان الشباب المهتمون بالادب والفكر

دراسات قومية

من منشورات دار الاداب

معركة المصير الواحد	ميشال عفلق
دروب القومية العربية	عبدالله عبد الدائم
القومية والانسانية	عبدالله عبد الدائم

دار الاداب

الى وركمة

ردي نظرتك الجوعانه
وخذي البسمة من شفتيك
علك تحتاجين اليها لو اقبل اخر
فانا رغم الطول الفاره
رغم شبابي
لاملك في الدنيا شيئا غير عذابي
وامانينا

★

لا تقتربي . لا تقتربي
يا اختي لا تلقي الشبكه
فشباكك سوف تعود اليك بلا سمكه
والبحر ملء بالاسماك

★

امضي عني . امضي عني
اخشى يا اختي من حزني
ان يطرر دمعا من عيني
امضي عني

★

فشباكك مازال بخير
لم يذبل بعد
وشفاهاك شهد
وخدودك ورد
وعيونك بحران عميقان لاحا من بعد
لكن ردي . ردي نظرتك الجوعانه !..

محمد صالح حسن

القاهرة

يقراون الكتب الحقيقية ويعيشون تحت سماء مفتوحة تضيئها شمس
كثيرة كانت سيمون قد حشرت في غرفة ضيقة لانها فتاة ، كائن ادنى
» وحين كان يتفق لي ان امر امام كلية ستانسلاس كان قلبي يتقبض
اذ اذكر السر الخفي الذي يحتفلون به خلف تلك الجدران « قاعة درس
للصبيان « كنت اشعر انني منفية »

وكان الجميع يؤكدون لها وهي في سبيل الاستعداد لامتحان
الاجرياسيون ان على الفتاة . لا تفكر بالنجاح الا بعد ان ترسب خمس
مرات على الاقل ، وكانت ثورتها النفسية على هذا الوضع مريرة عارمة ،
ومن خلال هذه الثورة تاكدت لها قيم كان مجتمعها ينكرها ويسخر بها ،
فيئنا كان المجتمع يطلب من الفتاة الطهارة الكاملة كان يبيع للشباب كل
المتح والفرص ، ويصبح شاذا ذلك الشاب الذي يظل على بكارته
بعد الثامنة عشرة . ولكن سيمون لم تكن تغذي احساسها بالنفي وانما
كانت تقاومه بان تبذل لنفسها الوعود ، فبعد سنتين او ثلاث سنين من
الدراسة ستكون حرة - سوف تفعل ما يحلو لها وتميش كما تريد لا كما
يريد الآخرون وستفتح نفسها وتفتني حتى تصل الى اعماق اعماق الاشياء
ومن خلال الفن والفكر سوف تحتل مكانها من هذا العالم ، ولكي تحتل
هذا المكان عليها ان ترفض الروتين ، وكانت مرحلة حادة في حياتها ،
الصراع بين ان تكون هي نفسها او ان تكون شيئا عاديا « اهذه هي
الحياة ؟ » الفداء كل يوم والعشاء كل يوم وغسل الصحون والمرض
والشيخوخة والاطفال ، كل هذه الاشياء العادية التي تقتل في الانسان
حس الحرية والتجديد وتبيت فيه بفور الخلق والتوق الى آفاق اخرى ،
كانت تردد كثيرا كلمات جيد « المهم ان يجعل المرء من نفسه شخصا غير
قابل للاستبدال » لانها اذا عاشت حياة الكثيرين العادية وكانت شخصا
قابلا لان يستبدل ، فسوف تفقد نفسها ولن تفتني ابدا ويتلاشى
احساسها الخاص بصميمية الاشياء وعمق ارتباطها بالفن والفكر .

وفي الفترة التي فقدت فيها سيمون الايمان بكل شيء ورفضت ان
تميش حياة الكثيرين العادية اخذت تهتم اهتماما كليا بحياتها الداخلية
» فتعلمت الشكوك والتردد وتمتمة الامل الخفية وكنت المنظر والمنظور
ولم اكن موجودة الا بي ومن اجلي « وكانت هذه العزلة تلهمها بصيرة
تري بها الاشياء اكثر وضوحا ، وبعد انكماشها المؤقت على ذاتها وصلت الى
مرفئها واتضح المستقبل امامها وحددت مكانها بين الادباء والفكرين الذين
يمنحون للعالم من نفوسهم ويلتقون عبر الزمن ليشاركوا في الجهد الذي
يبذله الانسان ليعرف الحقيقة ويضيء بها الارض ، وكان حلمها ان تقف
راسخة الاقدام على ارض صلبة شديدة الثقة بالمستقبل وبالقدرة على
بذل الجهد في سبيل بلوغه ، ويكون هذا المستقبل خاصا بها وحدها لانها
ليست كالاخرين ولم تكن كل شخصيات الكتاب متشابهة ، كان لكل طريقة ،
ولكنهم كانوا يلتقون جميعا في قلقهم وبحثهم عن الحق ، كان
الجيل بأكمله يبحث عن مرفأ تستقر عليه نفسه العظيمة التواقة الى المنح
والبذل المستمر لكي تضيء لالاخرين طريقهم ، وكان هذا الجيل يحمل
ملاحم البطل حتى حين كان يجد الميث ، لانه عاش صباه على خرائب
الحرب الاولى ، وينظر الى المستقبل فيجد غيوم حرب مقبلة ، ولكنه في
ضياحه وعيشه ولا مبالاة كان يكره الزيف .

فريدة النقاش

القاهرة

الى وركمة

ردي نظرتك الجوعانه
وخذي البسمة من شفتيك
علك تحتاجين اليها لو اقبل اخر
فانا رغم الطول الفاره
رغم شبابي
لاملك في الدنيا شيئا غير عذابي
وامانينا

★

لا تقتربي . لا تقتربي
يا اختي لا تلقي الشبكه
فشباكك سوف تعود اليك بلا سمكه
والبحر ملء بالاسماك

★

امضي عني . امضي عني
اخشى يا اختي من حزني
ان يطرر دمعا من عيني
امضي عني

★

فشباكك مازال بخير
لم يذبل بعد
وشفاهاك شهد
وخدودك ورد
وعيونك بحران عميقان لاحا من بعد
لكن ردي . ردي نظرتك الجوعانه !..

محمد صالح حسن

القاهرة

يقراون الكتب الحقيقية ويعيشون تحت سماء مفتوحة تضيئها شمس
كثيرة كانت سيمون قد حشرت في غرفة ضيقة لانها فتاة ، كائن ادنى
« وحين كان يتفق لي ان امر امام كلية ستانسيلاس كان قلبي يتقبض
اذ اذكر السر الخفي الذي يحتفلون به خلف تلك الجدران » قاعة درس
للصبيان « كنت اشعر انني منفية »

وكان الجميع يؤكدون لها وهي في سبيل الاستعداد لامتحان
الاجريفازيون ان على الفتاة . لا تفكر بالنجاح الا بعد ان ترسب خمس
مرات على الاقل ، وكانت ثورتها النفسية على هذا الوضع مريرة عارمة ،
ومن خلال هذه الثورة تاكدت لها قيم كان مجتمعها ينكرها ويسخر بها ،
فيئنا كان المجتمع يطلب من الفتاة الطهارة الكاملة كان يبيع للشباب كل
المتح والفرص ، ويصبح شاذا ذلك الشاب الذي يظل على بكارته
بعد الثامنة عشرة . ولكن سيمون لم تكن تغذي احساسها بالنفي وانما
كانت تقاومه بان تبذل لنفسها الوعود ، فبعد سنتين او ثلاث سنين من
الدراسة ستكون حرة - سوف تفعل ما يحلو لها وتميش كما تريد لا كما
يريد الآخرون وستفتح نفسها وتفتني حتى تصل الى اعماق اعماق الاشياء
ومن خلال الفن والفكر سوف تحتل مكانها من هذا العالم ، ولكي تحتل
هذا المكان عليها ان ترفض الروتين ، وكانت مرحلة حادة في حياتها ،
الصراع بين ان تكون هي نفسها او ان تكون شيئا عاديا « اهذه هي
الحياة ؟ » الفداء كل يوم والعشاء كل يوم وغسل الصحون والمرض
والشيخوخة والاطفال ، كل هذه الاشياء العادية التي تقتل في الانسان
حس الحرية والتجديد وتبيت فيه بفور الخلق والتوق الى آفاق اخرى ،
كانت تردد كثيرا كلمات جيد « المهم ان يجعل المرء من نفسه شخصا غير
قابل للاستبدال » لانها اذا عاشت حياة الكثيرين العادية وكانت شخصا
قابلا لان يستبدل ، فسوف تفقد نفسها ولن تفتني ابدا ويتلاشى
احساسها الخاص بصميمية الاشياء وعمق ارتباطها بالفن والفكر .

وفي الفترة التي فقدت فيها سيمون الايمان بكل شيء ورفضت ان
تميش حياة الكثيرين العادية اخذت تهتم اهتماما كليا بحياتها الداخلية
« فتعلمت الشكوك والتردد وتمتمة الامل الخفية وكنت المنظر والمنظور
ولم اكن موجودة الا بي ومن اجلي » وكانت هذه العزلة تلهمها بصيرة
تري بها الاشياء اكثر وضوحا ، وبعد انكماشها المؤقت على ذاتها وصلت الى
مرفئها واتضح المستقبل امامها وحددت مكانها بين الادباء والفكرين الذين
يمنحون للعالم من نفوسهم ويلتقون عبر الزمن ليشاركوا في الجهد الذي
يبذله الانسان ليعرف الحقيقة ويضيء بها الارض ، وكان حلمها ان تقف
راسخة الاقدام على ارض صلبة شديدة الثقة بالمستقبل وبالقدرة على
بذل الجهد في سبيل بلوغه ، ويكون هذا المستقبل خاصا بها وحدها لانها
ليست كالاخرين ولم تكن كل شخصيات الكتاب متشابهة ، كان لكل طريقة ،
ولكنهم كانوا يلتقون جميعا في قلقهم وبحثهم عن الحق ، كان
الجيل باكملة يبحث عن مرفأ تستقر عليه نفسه العظيمة التواقة الى المنح
والبذل المستمر لكي تضيء لالاخرين طريقهم ، وكان هذا الجيل يحمل
ملاحم البطل حتى حين كان يجد الميث ، لانه عاش صباه على خرائب
الحرب الاولى ، وينظر الى المستقبل فيجد غيوم حرب مقبلة ، ولكنه في
ضياحه وعيشه ولامبالاته كان يكره الزيف .

فريدة النقاش

القاهرة

وتحت السماء عرب ..

« لم تمش ثورة ١٤ تموز على وجهها الحقيقي الا
بضعة اسابيع ، ثم قتلها الشيوعيون اذ حرفوها
وزيفوا حقيقتها ... »

الدكتور سهيل ادريس

« الى القوميين الاحرار من ادباء العراق »

على روضه الاجمل
والهامه الاول
وكم نائر يرهقه
تمادي الظلام
ولكن اغرودة البلب
ستبقى تعيش بشط (الفرات)
وفي الغد سوف تروق الحياة
وتفتح نافذة المقلب
على عيشة افضل ..

*

اخي هل يموت الادب ؟
وبغداد يسكت فيها غزل
بعطر (الخليج) وشمس (حلب)
بلبنان في سهله والجبل ؟

*

ايفقدنا ادباء العراق
ويفسخ اقوى وثاق
يشد الخطى والنهي والارب ؟
اخي ، هل يموت الادب
ويطفي الشقاق
ويستسلم الانطلاق ؟
فوالله لا ، لن يموت الادب
وتحت سماء العراق عرب

محمد البوعناني

باريس

اخي ، هل يموت الادب ؟
ببغداد ، هل يتمزق ماضي العرب ؟
اخي ، هل يموت الادب
ليحيى الجمود ويحيى الشغب ؟

*

واين العنادل ، اين الطيور
تفرد فوق دوالي العنب
بلحن على المشرقين انسكب
وتلقط في ساحة المنزل
فتات الزهور ؟
الم تر ذئب الشتاء اقترب
يشتها عن كذب
يجرد فاهها من الزرقه

*

ويحصد (بالمنجل)
رقاب النسب
ويضرب (بالمطرقة)
مسامير فوق لحود خشب
تقطع من دوحه (الموصل)

*

وكم شاعر يخنقه
تكاثف هذا الغمام

يهتز الشارع يا لوركا...

حتى شتلات النخل انتحيت والشاطيء
- يا لوركا - اصغى

يقتات الكسرة ما اشتاقت رثاء التبغا
روحي مثل شجيرة حناء
جامدة من غير دماء
ماذا تجدى اشعار الخنساء
ماذا تجدى يا لوركاى..؟

★

يهتز الشارع لا زال اصما
أعمى يقتاد الأعمى
وامرأة هلكتي تتصايب
هل تحيي الأصباغ شبابا ؟
يا اصحابي اني أغرق
وحدي في الزحمة موثق
مدوا أيديكم قولوا كيف الحال ؟
هذا شيخ يجثو فوق عصاه
في عينيه .. حتى الشارب .. يا الله
في مشيته .. جدى .. يا جدى ..
« ماذا يا ولدي »
عانق احزاني واهسح خوفي
لا تربت بالكفين على كتفي
هذا لا يكفي
« لا قوة الا بالله »

★

لوركا يا من اعجزت الموت
اني اعجز عن كلمه
لما ساقوك الى الاجمه
كان سكوتك ابقي ما قلت
هب لي شيئا يا لوركاى
يمشي في اوصال الناي
يهتف انا احيا ..

جيلي عبد الرحمن

القاهرة

والتفت احراش خريف مسنون النظرة
كالموت

لا نامة فيه ولا صوت
قالتها عازية الصدر
في لفظ مرتعد كالطفل المعروق
« يا عيني كان عريسا لم تطفأ بعبد
شموع العرش المشنوق

ما زال المخدع رفاف العطر
فايرحمه الله .. »

صوت في الزحمة تاه
طق . طق . طق . طق
خيل . مذيع . بوق
هبنى يا لوركا الشعرا
ملحمة مثل عروس الدم
تنضو عني هذا الهم
ترميني في أودية أخرى

★

ماذا ابصر ؟ مئذنة غرقى في نهر الليل
أعلى ما في قريتنا مئذنة المسجد
جدى كان ينادي فيها الفجر
تصحو الديكة لما اذن .. يصحو الطير
فليرحمه الله
جدى جمجمة ملقاة في جوف القبر
ما احتفلت مركبة الفجر بها لما خلقتها
ملقاه

وامتص الدود العينين
حتى شعر اللحية .. حتى الرسفين
« والموت رقاد لا عتمة فيه ولا صوت »
لوركا يا من اعجزت الموت
جدى فلاح من حلفا
لم ينهر يوما ضيفا

يهوى الارض يضمدها بالعينين اذا
أغفى

لما مات انتحيت قريته بللت التربة صيفا
كانوا الفا

اليوم رمادي اجرد
فالسحب تتيخ على أفق مدينتنا
والمغرب مبرد

ماذا تلد الهرة سوداء الابوين سوى
هر أسود

فاحمل يا سيزيف الصخره
دارت ساقية الحزن المره
هذي مئذنة ترمق نهر الليل
يكسوها ظل الشمس الغارب
ذكرى تنبشها ، لا شيء على جسر
الماضي الشاحب !

لا جدوى ! ابواق تعوى .. حمجمة
الخيال

يا صوت الارض الريفه
كيف ركضت ؟ صهلت على هذا السيل ؟
« الشارع يهتز كأن خطاه الوتر المشدود »
لوركا يا كبدي .. ماذا قات عن
الاحزان السود

« افتح عينيك ولا تسرح كدت تبعر
تلك الحلوى »

عرق اليوم - ابي لا اقصد - عفوا ..
لوركا عفوا ..

يهتز الشارع مثل دمانك في غرناطه
والاوتار تشد نياطه

كم غنيت الحرية والموت
فالحرية تلد الفرحة للناس

« والموت رقاد لا عتمة فيه ولا صمت »
ما اعمق هذا الاحساس !

ان لاح جناز قد هرول في صمت
للقبر

وارتاح الناس على الافريز بكوا من
غير دموع

« فليرحمه الله »
ثم انسبوا في موجات النهر

ماذا تفعل يا لوركاى ؟
هل بحت اصوات الناي

اسمها المحبة

بقلم عادل أبو شنب

كنت مفاجأة غير متوقعة .
ولو انني لم امل براسي ناحية الدرب الضيقة لما رايت مهدية ، ولكنك
مضيت في الركن ..

وتوقفت كأنما شددت الى الارض بارطال من الحديد ، وحدقت فيها ،
ولم استطع ان اقول كلمة واحدة قط .

كانت مهدية تقف في ارض الذكريات كأنها عروس كئيبة فقدت زوجها
ليلة العرس : قامة نحيلة تهتز كقصبة تجابه الريح ، وعينان حزينتان
تحملان في غبش المساء الذي كان يلون الاشياء والاشكال بلون قاتم ...
شعورا مضيقا بالخزي والحقد ، ولقد أعددت نفسي لاقف وجها لوجه
امام شيء من ماضي الجميل احيانا ، ولكنني لم استطع ان انجو من
غزوة من الرعشات الباردة اجتازت صفحة بدني المكسو جيدا ، ومن
غزوة اخرى من الشجن حفرت علامة جديدة في جبهتي الملاى بالعلامات .
قلت :

- انت ؟ مهدية ؟

قالت :

- اننا .. مهدية ..

بتحد .. كان ساعة فاصلة في تاريخ سنيها القليلة قد ازفت .

وتحسست ، وانا اقطع المسافة القصيرة التي كانت تفصلني عنها ،
جبهتي الباردة كجبهة رجل مات منذ دقائق ، وقذفت بخصلة الشعر
السوداء ، الرومانتيكية كما تسميها هيفاء ، الممية على جبهتي الى الاعلى ،
وقلت :

- لماذا خرجت هذا المساء يامهدية ؟

قالت :

- ولماذا لاخرج ؟ اليس هي الارض نفسها التي عرفتني وعرفتها
منذ ولدت ؟

قلت :

- بلى . ولكن الدنيا برد كما ترين .

قالت :

- خرجت في البرد قبل الليلة كثيرا .

قلت :

- اكبر الظن ان هروبك من الحوش ، هذه العشية ، سيثير فسي
قلب امك اسي وقلقا كثيرين . انت صغيرة يامهدية .

كانت مهدية صغيرة السن بالنسبة لي .. فعلا ، وما ازال اذكرها
وهي تتشر في مشيتها بين الخرفان والدجاجات المتروكة لشأنها امام
الحوش الصغير الذي تسكنه مع اسرتها : امها واخوتها الصغار وذكري

كنت اشعر ، وقت استقبلتني شجرة الجوز الضخمة الممتدة الاغصان ،
انني اتحول شيئا فشيئا الى جثة . كان وجهي يزداد اصفرارا ، ويدي
تتصلبان ، وقلبي يكف عن الخفقان .
وكانت السماء ، وقتئذ ، تتسكع بالبكاء .

★

شيء منهل ولكنه حقيقي كالقدر .. ان اذكر الان كل شيء ، حتى
التفاصيل .

انسفت وريقات القصة الخضراء القصيرة على صفحة ذهني تهتز
مع النسيم اهتزازا عصبيا مستمرا ، يوقف في صدري الحزن والفرح
القديمين المكبوتين ، وكانت رائحة البرية تتسلل الى انفي طرية دافئة
غير منظورة كأنها حب ينام ويستيقظ في الاعصاب .

لماذا كنت أركض ؟

كانت قدماي تحدثان في تناوب ارتطامهما بالارض المشوشبة صوتا
جافا رتينا ، وفي اغلب اللحظات مخيفا ، ولقد خلت بسبب من ركضي
بهذه السرعة غير المحدودة ان عظامي قد تهاوت من جسدي ، وانني
اصبحت طريا ، مانعا ، رجلا بلا عظام . كنت حائرا منذ غادرت منزلنا
الجديد في المهاجرين بهذا الحزن غير المحدود الجاثم على صدري هذا
المساء ، يلتهم طمانيتي كلما قذفتني قدماي خطوة جديدة الى حيث
شجرة الجوز ذات الاغصان الطويلة التي اعتدت ان القى هيفاء تحت
ظلالها . كنت احب هذه الصبية الارستقراطية البيضاء اللون كالجليب ،
التي يعيش في عينيها نعاس مستديم يزيد من جمالها ، ولقد خلفت ورائي
من اجلها كل الحكايا القديمة ، ووقفت قلبي عليها وحدها .. لا يدق
يعنف الا عندما تستقبلني ذراعاها وشفاتها وكل شيء جميل فيها ..

اذكر جيدا ...

كنت أركض ، ربما لانني لم اعتد ان اتأخر يوما عن موعدنا ، وكانت
الريح تحمل الى وجهي صفعات باردة كأنها صفعات سوط مبتل بالماء ،
ولم اكن لاشعر بالوهن ، وحتى قطرات المطر الهزيلة المحمولة من جبل
فاسيون .. لم تحرك في وجهي غصلة ما . لقد كنت مدفوعا بقوة غير
منظورة الى الركن .. الركن الى حيث شجرة الجوز ، ووطننا الاوحد
كما نقول هيفاء ، وكنت في عدوي شبيها براية مصممة على الاستمرار
في المضي الى الامام .

كان علي ان اجتاز حقل الفصه الذي يعرفني منذ يفاعتي حق المعرفة
واصعد التل الصغير لاصل الى حيث هيفاء تنتظرني ، واذا اجتازت الجزء
الاكبر من الحقل ولاحت درب صغيرة ، ضيقة ، مسورة باغصان من توت
السياج الاخضر رايت مهدية لاثة بالدك الترابي القصير القامة ...
ترتجف من البرد ..

الاب الراحل ، وكان الحوش يقع في بداية حقل الفصة .. يطل من جانب على الشارع حيث تبتدي المدينة والمدنية ، ومن جانب على البساتين حيث الفلاحون والعرق والتعب والارض المعطاء .

قالت :

- لست صغيرة .

ولامر ما لم تزد بكلمة واحدة .

ولا ادري لماذا شعرت بالحرج والخوف . وللمحظات خاطفة لسم استطع ان استوعب ماكان يجري على صفحة وجه مهدية ، ولكنني كنت المسح وسط الضباب المساء وخيوط المطر التي تصل السماء بالارض اشباح دموع تركض من الفتحين الجميلتين الواسعتين ، ولقد اشكل علي المشهد اول الامر ، فلم ادر اكانت تلك القطرات دموعا ام مطرا ، ولكن صوت النشيج قطع كل شك .

لم تكن مهدية ليكيها شيء على الاطلاق . عرفتھا كذلك منذ عرفتھا . كانت صلبة .. في الظاهر ، مشاكسة كانھا ولدت مع بقرتهم الحمراء المشاكسة من بطن واحدة ، ولكن صلابتها لم تنطو ، في يوم من الايام على قلب قاس .. وما كان ارقھا وقت كانت تجلس في الاماسي القمرية بين وريقات الفصة الندية .. تعد النجوم المعلقة في السماء كالقناديل بصوت حاد منغم ، وما كان ارقھا وقت كانت تمد كفھا الصغيرة السى شعري ، تمر بها عليه بليونة .. معجبة بنعومته التي لم توفرھا الطبيعة لشعرھا الاسود الطويل . ان كل شيء قد تبطل ، وھا هي ذي تبكي .. اذكر جيدا كل شيء ..

ضحكت مهدية وقت راتني ، ذات يوم ، بنظولي القصير الذي كان يكشف عن جزء كبير من فخذي .. وبدا عليها الخجل ، فهي لم تالف ان ترى الفتيان بملابس معيبة كهذه ، ونشأ بيننا خصام عجيب متجدد سرعان ماتحول بتكرار مجيئي الى حقل الفصة القريب من دارنا انذ ، الى تفاهم صغير عميق ميدانه عياني وعيناها الواسعتان الجميلتان . ان راسي لمسحون الان بمئات الصور الصغيرة التي لارابط بينها ، ولكنني استطيع ان اميز في زخم هذا الحشد الهائل من الصور وجه مهدية الصغير الحلو ، وفهما المنغم الذي كان ينفج عن ابتسامة ملونة وقت كنت اطل عليها ، بعد ساعة انتظار مضنية تقضيھا تحت ظلال شجرة الجوز الكبيرة ، كانت تفتح ذراعيھا لي وتحتضني ، وكانست تقول لي :

- ھا هنا لايرانا احد قط . الا تحب هذه الشجرة الحنون كانھا ام ؟

وكنت اقول :

- بلى . احبھا .. احبھا .

فتقول :

- هي لنا اذن . هي ملكي وملكك .

كانت مهدية لاتحب ان تنتظرني الا عند شجرة الجوز هذه ، ولقد حاولت اكثر من مرة ان امضي بها الى اي مكان اخر في البساتين الكثيرة المنتشرة على ضفاف نهر تورا ، ولكنها كانت تشبث بالشجرة المجوز على نحو عجيب .

لم اعرف ، وقتئذ ، لم كانت تحب شجرة الجوز الوارفة الظلال تلك . ولكن عينيھا الباكيين اللتين كانتا ترنوان الى حيث هيفاء تنتظر ... قد علمتاني ان العواطف البدائية التي منحنيھا مهدية ذات يوم .. كانت بحاجة الى ان تلنصق في مكان معين لتتخلد ولتصبح ذكريات عزيزة . ومن يدري ؟.. ربما كانت مهدية تشبث بالمكان بسبب من هذا الدافع

المبهم العائش في صدرھا ، ربما كانت تحس انه ملكھا فعلا ، ولكنني ، انا نفسي ، لم ارتبط بشيء : بارض او بزمان او بعاطفة . كنت اجلس الى جانبھا فاقبلھا قبلاات صغيرة مختلصة ، او اتمدد بجسدي المتناجج ليلتصق بجسدها الحار الذي كان ينمو بسرعة وقتئذ ، او امد يدي الى صدرھا ، ولم يكن كل هذا في حسابني سوى مرافقة سرعان ما تنطفيء وتنسى .

كل هذا يبدو الان قديما معما في قدمه .. كانه حلم ، ولو لم تكن مهدية امامي بثوبھا الفلاحي الاحمر اللون المتسخ الذيل ، وبجديلتيھا السوداءين اللتين كنت احب ان اداعيهما ، وبعينيهما الواسعتين الباكيين . لظل جزء كبير من ماضي مدفونا في صدري : البئر التي تبتلع كل الاشياء ، حتى الاحزان والافراح .

فلست :

- كفي عن البكاء يا مهدية . لماذا تبكين ؟

قالت :

- هي دموع قليلة سرعان ما تجف

فلست :

- ما خلقت عيناك للدموع يا مهدية .

- تعلمت عياني البكاء اخيرا .

وشمرت بالاسى ، وقدرت ما تثيره وقفتي من حزن ، فقلت :

- حسينا الان اننا تلاقينا يامهدية . لنفترق ..

قالت :

- ستذهب الى حيث شجرة الجوز ، شجرتنا ، شجرتي الحبيسة

الحنون ...

وارسلت مهدية دفعة جديدة من الدموع ، ولكن صوت النشيج كان قد مات .

كان المطر قد عنف تهطاله ، والريح تصفر ، والجسد الصغير الملتف بالثوب الاحمر اللون يهتز من البرد ومن الحزن . وكنت اذ انقل قدمي في بطء شديد الى حيث هيفاء تنتظرني تحت ظلال الشجرة الضخمة المعجوز التي لم تكن ملكھا قط ، اشعر انني اتحول شيئا فشيئا الى جثة . كان وجهي يزداد امتقاعا ، ويديا متصلبان ، وقلبي يكف عن الخفقان ..

وكانت السماء ، وقتئذ ، تحتكر البكاء.

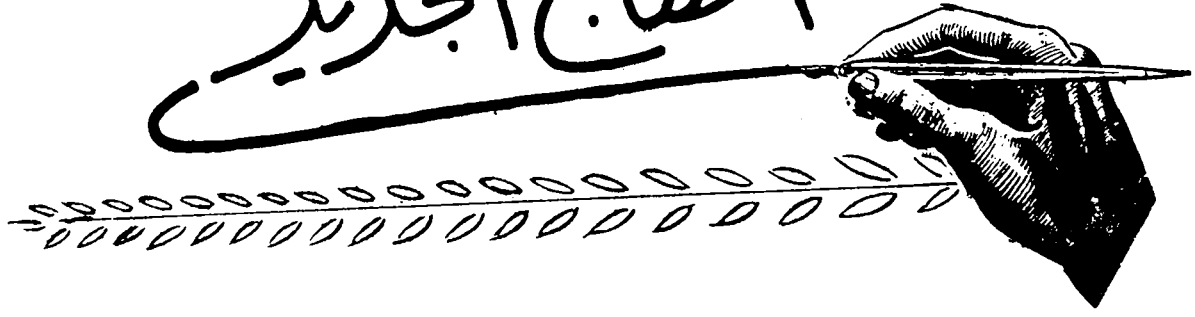
عادل ابو شنب

من منشورات دار الآداب

الحي اللاتيني(رواية) للدكتور سهيل ادريس
الخندق الغميق (رواية) للدكتور سهيل ادريس

دار الآداب ص.ب ٤١٢٣

النتائج الجديدة



الفنانين بعض الشيء فصاروا يرجعونها الى عاهة او مرض ، ثم احتاجوا الى وقت طويل كي يدركوا ان الامر العارض في الحياة اليومية يحتاج الى كثير من الجهد في التقاطه ، وكلما كانت زاوية الليل اقل انحرافا كلما كان الجهد في ايجادها وابعازها متعبا يقتضي صنعة وتفننا ولعل الاستاذ سمير تنير موفور الحظ من موهبة الرصد هذه .. فهو يعرف كيف ينقل الحادث العادي الى مستوى الازمة ، ويعرف كيف يحيط هذه الازمة بسيالة حياتية تبرز انحرافها البسيط وتبرره . وهذا يعطي قصصه نكهة انسانية فيها أنين وتذمر . اننا نحس وطأة الازمة التي يبرز تحتها البائسون من الباحثين عن الخبز ، ومن منا لا يعثر ذلك الشاب الذي وقف يتأمل السماء والبحر ، شاعرا بنشوة فكرة تعوم وتفرق بينما كان يفريها بان يصرخ .

- انا عطيل .. الذي هزم الاعداء في كل مكان

واذا بامه تقطع عيه متنته بثلاثة ترانيل جيبها ، بصوتها النائح :
« ستذهب اليوم الى العمل ، لا تتأخر .. فطورك جيد .. لا تشارك العمال به . ابوك مات واخوتك صفار .. ليس غيرك .. انت رجل البيت » . فاذا بالشباب يتميز غيظا وينفجر .

ربما كانت الام في قصة « احرف صغيرة » تؤكد لابنها بكلامها ذاك عطفها عليه ، وتريد ان تشمره بمسؤوليته الجسيمة . ولكن الشاب يحس بكل ثقل العمل وتعبه في تلك اللحظة بالذات حين استسلم للبحر والسماء فاقبلت امه تنقص عليه هنيهات التحرر تلك

وفي مثل تلك الثواني الحائلة بين ذراعي فتاة الماخور حين كان سامي يحلم بانتشالها من ذلك المستنقع البشري ، اذا بصوت المجوز يوقظه من نيله ومشروع الغرام ذاك ..

« تمالي .. هناك زبون يريدك » .

تجد هذا المشهد في قصة « وحل في جيب الشمس » ويزيد في تعاسة تلك الحال ان سامي يرتمي ويزيد كأنه يقاتل عدوا غير منظور ... بينما « رأى الفتاة تتطلع اليه برقة واشفاق ثم تمشي نحو المجوز مطأطئة الرأس »

وفي قصة « مجرد أمنية » تبلغ موهبة الرصد ذروتها ، فيستحيل الحادث اليومي الى غناء شعري فيه تمجيد لاندفاعات الحب في نفس المراهق ، وفيه رثاء للعاطفة المخنوقة والأمنية المؤودة ، فتى طلع على الدنيا من جديد وهفا - كالعادة - الى بنت الجيران « سعاد » كان في حديقة الدار اصيل يوم ربيعي والهواء يتسلل الى صدره وينغدغ حواسه « احس بالطبيعة تفتح ذراعيها وتلقاه باحضائها .. انه منذ زمن يتوق

وحل في جيب الشمس

بقلم سمير تنير

موجة من البحر (١) حملها القدر الي ، تلقيت رذاذها بصدري ووجهي، تشقت نفسها . وأنسام لبنان حلوة على الدهر . حملت صحرائي ويممت صوبها فوجدت عنائي فيها ، وبؤس قومي مدروجا بين حروفها . لمحت انسان بلدي البسيط المكابد والجبار المكافح في آن ، في سبيل لقمته ، عمله ، كرامته ، قلبه ، أمانيه .. وكل ما تشمله هذه الكلمة النبيلة المختصرة « الكفاف » ولكنها مع ذلك عسيرة المنال صعبة التحقيق ما دم الانسان اعزل في مجتمع لم تحتو قوانينه على ضمان حق المواطن في حد معقول من معيشة كريمة . وفي خلال العمل اليومي والحياة ذات الصراع المستمر ، تمر على المرء لحظات تخرجه عن بلاده الاستمرار ، وتجبره على معاودة النظر في سير حياته ، فيعيش برهات تمنيات تتوتر فيها عصابه فيثور او يخور ، ويستقبل الحادث بنظرة تختلف عما اعتاده من اهتمام او عدم مبالاة . وهنا يكون الفنان كامنا يرصد ، اذا وجد الزاوية التي انحرفت عندها منظورات الانسان اسرع بالتقاطها وتثبيتها ، منتقيا من عناصرها اجود ما يتفق وعدته الفنية (من كلمة او لون) واحس ما يتلأم وموقفه من العالم (ايجابا او سلبا) والكل يعلم ان المستحيل في الفن هو نقل الحياة الطبيعية برمتها ، اي بكل ما فيها من فوضى وصدق واشياء غير مبررة وردود فعل يحتاج فهمها الى نقص تاريخي قد لا تعثر فيه على حقيقة مقنعة ..

ثم ماذا نفيد اذا رأينا الحياة اليومية تعاد كما هي ؟ الا نشعر بالسخف والملل ؟ .. واذن فكلمة « انتقاء » هي كلمة شديدة التوفيق في حديثنا عن علاقة الفن بالحياة اليومية . واذا وصفنا فنانا بأنه يجيد الانتقاء ، فكأننا نصفه بأنه موهوب او شديد الوعي. وعن طريق هذا العمل السحري يتمكن الفنان ان يعيد خلق العالم كما يشتهي اي يعبر عن رأيه بالحياة الواقعية ويحدد موقفه منها ويعرض مفهوم الانسان عنده .

اما اللحظة التي يتوقف فيها الزمان النفسي عن سيره الطبيعي فقد كانت تبدو ، في الفن القصصي القديم ، على شكل معجزات تندخل فيها قوى غير منظورة من ملائكة وشياطين .. ثم تحسنت الاحوال عند

(٢) مقدمة مجموعة قصصية لسمير تنير ستصدر قريبا .

ان يعطي انسانا ما .. شيئا .. هدية .. رمزا لحب او اعترافا بجميل » كل تلك الشاعر الدفاقة تفرقت في عروقه منذ لح على ارض حديقته « شريطة معقودة ، ناعمة كالحرير ، لونها احمر قرمزي .. رقيقه .. ذات ثنيات لطيفة وتموجات مغرية . فريدة هي في وحدتها ... » ذلك هو الشاعر !

ويستطيع قصاصنا بمهارة دقيقة ان يبرز الاسى الذي ولد عند ذلك المراهق من تردده في امر اهداء الشريطة الى بنت الجيران ... فهو يضيع بين الافدح والاحجام لان قدمه لم تثبت على الارض بعد . وهذا الحزن الصغير رفيق مترف ناعم يبلغ اعماق الافئدة ... ويذكرنا بمراهقتنا المحرومة من العطف والارشاد . ففيه نافذة انسانية يعانها كل مراهق . وفيه نافذة محلية تعرض مشكلة النابو المضروب على العلاقات بين الجنسين . وانني سوف استعجل الامور واخل بقواعد « النقد الرصين » فاذكر ان هذه القصة من اجمل ما في المجموعة واقربها الى القلب لما حوته من عفوية ودقة ولما فيها من طابع محلي يكشف عن الانسان في احد مناحيه ...

وابطال قصصهم يثورون بشكل ما ، ثم لا تلبث نفوسهم ان تهدأ او ان تنحني امام العاصفة مثل طفل علقت رقبته بحبل ثم هوى .. انه يحرك اطرافه بلا اتجاه ثم لا يلبث ان تشخص عيناه ويموت دون ان يفكر بالسبب . ورغم ان ابطاله متعددو الاجواء والمنازع - وتلك ميزة تحسب للقصص - فان العمل هو ازمة حياتهم ، فاذا خسروه انحدروا الى دركات ملحوظة في فقدان الكرامة وانحطاط القيمة حتى ان قصة « الليل والامل » تقدم لنا الانسان في مسكنه كلب ضربه صاحبه فعاد يتمسح به طمعا في لقمة ، وفي قصة « لنور بالثمن » يسير الشيخ في طريقه الى العمى وفقدان الحيلة دون مسعف او معين . اما قصة « الازهار في كل مكان » فانها لتدفعنا الى الرعب والاشفاق حين نرى السلول ولما ينقه بعد ، مضطرا الى ترك المستشفى ومخالطة اولاده وجيرانه والعمل مع الناس ، لان الوكالة لم تعد تدفع ثمن علاجه !

ويشكل العمل اليومي « لعنة » غير ماثار عليها امام بطله « وحل في جبين الشمس » وبطل « الشموع المنطفئة » اذ يكتشف احدهما انه مهرج يضحك الناس وليس فتانا بل مسخ يشوه الاشياء الصغيرة الجميلة . ولكن كل ذلك لم يجعلهم يثورون بحرق واصرار ، ولم يكتلهم ولم يجعلهم يؤمنون بهدف واحد مقدس مشترك . وترى تعزيتهم تقتصر على القناعة واكتشاف بعض امور انسانية وهبوا لها حياتهم . فالسلول حين يصل الى بيته صباح العيد ويلتقي بامرأته التي تعمل خادما وباولاده الذين يقضون الحلوى « يشعر بان الحياة تعود اليه من جديد . ان نظراتهم الحزينة لم يستطع يوما ان يصمد لها وايقن في تلك اللحظات ان كل ما في الحياة من قسوة سينهار حتما امام تلك الاعين الرقيقة الحنون ، وكذلك الشيخ الذي يدلف الى المستشفى وبعينه « الماء الازرق يناجي نفسه مفتخرا بـ « انه ياكل لقمة ، بشرف وامانة » لكنه مع ذلك سوف يفقد بصره وسوف يهيم يستعطي تاركا زوجه المقعدة وحيدة في البيت ! . ولعل الكاتب نفسه قد استشعر اخطبوطية هذه الازمة ورباطها الخانق، ولعله لم يهتد الى حل ، فاكفى باثارة المشكلة وتجسيدها وعمد الى تصوير قسوتها بطريقتين :

الاولى : انه كتب قصة ساخرة اسمها « جنازة » وفيها يعرض وسط مظاهر الحزن حوارا فيه مساومة بين تاجرين جشعين ، ونشعر من خلال القصة ان التاجر غير مخيرين في موقفهما ، بل مدفوعان بلؤم الى

الحفاظ على مصالحهما .

والطريقة الثانية ان ابطال نصف عدد قصص هذه المجموعة هم فتیان يافعون ، وابطال النصف الثاني هم اناس عاديون لم يحظوا بأي قسط من الوعي الاجتماعي لمشكلتهم ، وفي الحالتين يكونون مفدورين اذا لم يسيروا في الطريق . لصحيح .. اي في طريق التجمع والعمل من اجل حياة اكثر عدالة وكرامة . ولعل هذه الظاهرة تعود ايضا الى سببين : الاول : سن الكاتب فهو ما يزال في العشرين من عمره . اي انه يمنح من موهبته ومطالعته ومشاهداته الاولى في بيئته وما حولها ..

والسبب الثاني يعود الى ان الامة العربية لم تجد طريقها النهائي في سبيل بناء اشتراكية عربية . ومع ذلك فان قيمة هذا الكاتب تتجسد في انه من بين اوائل الكتاب العرب - غير الشيوعيين - الذين طرحوا هذه المشكلة باخلاص وبساطة ومعاناة .. وبدون مبالغات ايضا . ولعل ذلك يرجع الى وعيه والى انه « لبناني » اي انه من بلاد هادن الاستعمار بشكل من الاشكال وانصرف الى بناء صيفته الاجتماعية في حين ان الاخطار الخارجية التي تتهدد البلدان العربية كادت ان تصرف اكثر الكتاب عن هذا السبيل .



في مجال الحديث عن الصنعة « التكنيك » احب ان ثبت رأيا قابلا للتطوير . وهو ان كل كاتب حر في شكل الاداء الذي ينتقيه ما دام يتلاءم مع الفكرة التي يريد الايحاء بها ، والحوادث التي ينتقها ويسلسلها ، اذ مادامت القصة فنا مستوردا فلا يمكننا ان نهضم تقاليدها بل علينا ان نخترع هذه التقاليد بشكل يتلاءم مع نفوسنا . على ان الكاتب مازال يجيد الحديث عن التجربة الذاتية اكثر مما يجيد الحديث عن التجارب الاخرى التي لا تخصه وليس لها مساس بحياته حتى اذا حاول الحديث على مستوى المبادئ شعرنا بالبعد عن الحياة وبان التركيب العقلي بدا يهيمن على القصة بأكملها . ان الهدف الذي يريد ان يصل اليه الكاتب غير واضح فيما يبدو . انه يسير ثلاثة ارباع الطريق ويسير - الطريق كله في « الليل والامل » « ومجرد امنية » « الحمار الابيض » . ومع ذلك ففي اسلوب هذا الكاتب صدق ينغذ الى القلب وفيه رؤية صافية للعالم .. رؤية فيها جلاء ودقة وبساطة وتلك اهم صفات الاسلوب الجيد . ففي جمل امثال : « لم يحدث شيء .. الامور لم تتغير كانه توقف عن المسير . لم يتغير شيء فالدنية غسلت بالمطر ، وبدت عارية . » و « في الافق الواسع كانت الاشياء تنساب هامي من وراء الدموع رقيقة ناعمة وكان لا اثر لحياة ولا وجود لها . »

في جمل مثل هذه نظم الى الموهبة ودقة الحس ونشعر بالجمال .. وقد ركز الكاتب موهبته الحساسة في اقصوتين شعريتين هما : « الفجر ينزف » و « النور في القلب » وفيهما نجد انتصارا عظيما ونرى رؤية غضة للعالم على شكل عرضاني كأننا في فيلم ماون يعرض لقطات سريعة للعالم في ثانية .. ذلك نشاهده في « الفجر ينزف » وانني اترك الحكم على هاتين الاقصوتين لاثنتين من كبار المثقفين الموهوبين في الوطن العربي .. مع اختلافي معهما في نقطة واحدة هي انهما اعتبرتا لاقصوتين شعرا وانا لا اسمي الشعر الا اذا وجد فيه وزن اي ذا اعتمد وحدة زمنية منمقة .. وعذري في هذا الخلاف انني اذا ناديت بحق القصصي في ابتكار التكنيك فلانه ليس للقصة العربية تكنيك .. وانا اجد في تراث الشعر العربي شيئا هاما يجب المحافظة عايه ، هو : الوزن . كتب الشاعر الجبار بدر شاكر السياب عن هاتين الاقصوتين :

قصص بلغارية قصيرة

ترجمة : طلعت السمري

مطبعة المعرفة - القاهرة - ١٥٢ ص

أجاب أرنست همنجواي الروائي الشهير على سؤال ل أحد الصحفيين عندما سأله هل «مارست النقد الأدبي في صدر حياتك» قائلا : « انني لم امارس الادعاء والغرور . »

وبالرغم من ان رأى همنجواي في النقد لا يمثل حكما مطلقا ، ولا يمكن ان تكون له صفة الشمول .. الا اننا نرى ان مثل هذا الرأي ينطبق على كثير من النقاد الذين يتصدون لهذه المهمة الخطيرة .. وان عددا من نقادنا يتوهمون ان الحركة الادبية ما هي الا ميدان للقتال .. لا يخوضه الا الفوارس المقلون بالحديد ، والمجيدون للكر والفر ، وهم لم يؤمنوا بعد ، بان هناك علاقة حية ، متفاعلة ، ذات مضمون بناء بين الناقد والاديب ... وان من اولى واجبات النقد الاساسية ومهامه التوجيه والكشف عن خصائص كل اديب ومميزاته الفردية ، ونواحي الاجادة في ادبه ، وتقييم الانتاج بالالوب الذي يسمح بتطويره ، والدفع به الى الانطلاق بدلا من اقامة العوائق والموانع التي تسد الدرب على الرواد ، وتطمس معالم الاشياء التي تواجههم .. ولهذا فان مشكلة النقد .. مشكلة معقدة تستلزم دراسة خاصة ، وخاصة اذا كان العمل الادبي المراد نقده .. مترجما ، لاننا ما زلنا في حاجة دائمة لننقل لادبنا ما قد تعجز امكانياتنا الادبية عن ابداعه ..

تذكرت هذا وانا اطالع مجموعة القصص البلغارية القصيرة التي ظهرت اخيرا في القاهرة ... والتي قام بترجمتها الاديب الشاب طلعت السمري ، وهذه هي المجموعة الاولى للمترجم ، وصحيح انه نشر كثيرا من الترجمات والبحوث في عديد من المجالات والجرائد المعروفة .. ولكنه مترجم ناشئ على كل حال .

ولقد كان الادباء الناشئون ، وما زالوا .. يفتشون بجهد ومشقة ، ومعاناة ، عن دروبهم الجديدة .. ومترجمنا هذا من هؤلاء الجادين «عرك الحياة .. وعركته الحياة .. » اذ انه قصاص كذلك . وهذه البراعم تحتاج فيما تحتاج اليه من الهواء الطلق ، والنور الصافي ، والرعاية الصادقة المخلصة ... بل والى النقد المخلص كذلك ، الذي يأخذ بالأيدي في حب ، ويرشدها في امانة ، ويصلح الاخطاء بغير تهكم ، ويسقيها ماء عذبا ، لا ملحا اجاجا يميته ويقضي عليها .. وهي في اول الطريق ...

والمجموعة التي اصدرها الاديب طلعت السمري تضم اربع عشرة قصة لاثني عشر كاتب بلغاريا .. امثال « جورجى راتشيف » ، « بويان بولجار » « ديمتر تاليف » ، « تشودومير شورينجيسكي » ، « الين بلان » وبعض الكتاب المعاصرين امثال « ايفان اوستريكوف » ، « دميان كالوف » ، « فاليفاتوف » ، « راديشكوف » ، « جورج ماركوف » ، « قسطنطين كوليف » وسأحاول هنا تلخيص .. او عرض بعض القصص ... لاكلها .. عرضا سريعا دون ذكر التفاصيل . والتعليق عليها في صدق وامانة .

فالقصاص فيها شبه الى حد كبير بالقصاص الروسي .. في طريقة معالجتها للاشياء ، وفي طابعها الانساني ، وقوة تعبيرها .. وقد يرجع

« ان قصيدتك « النور في القلب » و « الفجر ينزف » تحملان نواة شاعر عظيم يجمع الى خصب الخيال وقوة الاحساس المعرفة المبكرة - ولهذا التبرك اهمية كبرى - المعرفة المبكرة بماهية الشعر .

« انك تذكرني بشاعر كان من المتعمقين بالفلسفة ولكنه كان يعني الاشياء ويرى ان واجب الشاعر ان يمجّد هذه الاشياء البسيطة الفانية ... يمتدحها للملاك وهو يستعمل كلمة الملوك بدلا من الاله . انه ريلكة ولا يب انك سمعت به . ان علينا ان نعبّر عن المحسوس المتجسد Concrete

Abstract وليس عن المجرد اننا نعيش في عصر الرموز .. التعبير بالجماد عن المجرد .. هذا ما ادركته وما حققته فنجحت فيه . ونحن - واقتصد الشعراء - اما ان نستعمل هذه الرموز من الاساطير والتراث الادبي العالي .. واما ان نخلقها .. نبتكرها ، ولكي نبتكر هذه الرموز لابد لنا من بناء ادبي معين : قصة او قصيدة طويلة او جملة قصائد تستعمل فيها نفس الرموز . او اقصوصة شعرية .. وهذا الاخير ما فعلته . فضمن مثل هذا البناء .. هذا العالم الذي يخلقه الفنان تستمد الرموز معناها الجديد الذي نريده لها . »

اما القصص الشاعر جبرا ابراهيم جبرا فقد كتب اليه : « في كلنا قصديك محاولة جريئة اهتلك عليها . فانت تجرب في كثير من الاثارة والتدقيق . وانت ترى بوضوح ، صور النور في شتى اشكاله والوانه . والتجسيد وهو ما في الشعر - ات عن وضوح الرؤية .

« في « الفجر ينزف » انت انجح منك في « النور في القلب » لانك تتجنب العبارات المبثثة العاطفية : « المصباح يتأوه » الابواب في الاعلى تصفق كنبضات القلب « « اليدان تشابكان في حب ومودة وطهر » الخ انسنة الجماد لاتعجبني اجمالا .. كما لاتعجبني المجردات الاخلاقية في الشعر . في « الفجر ينزف » تنمو قصيدتك من الدخّل باندفاع ، لولا انك تفسدنا احيانا قليلة بكليشاهات النثر : « الفجر يتشابب . الافق مخضب بالنار والظلال الهائلة تهرب » . اقلع هذه الصور العادية من شعرك . كان يكفي في هذا المقطع جزؤه الاخير الجميل : « الضوء يطلع من البحر . كأمرة عارية تنهض من السرير » وافسدت المقطع الثاني بالعبارة الاخبارية الاولى « اغرودتي كانت حزينة » كانك تنبهنا الى نوع العاطفة التي يجب ان نستشعرها مقدما . وهذا خطأ . قل : « اغرودتي كانت تقول : يارب . الخ »

« انك تبني جو الاقصوصة الشعرية بناء قصصيا زمنيا وحسنا تفعل كما ان قصيدتك ملأى بصور مرئية خفاقة الحركة .. « من المعجوز التي تحلب البقرة الى المختار الذي يقتل شاربويه » غير ان صورتك تميل الى الانتشار بدلا من التجمع ، ولعل السبب هو استعمالك هذه الاسطر القصيرة التي يكفي كل منها بذاته . »

✱

اريتسم ... ؟

هذه الموجة من البحر ما اجتازت بوادي الشام طمعا في دمشق فقط .. وانما اجتازت بوادي العراق طمعا في بغداد ايضا . وكما تندي صدري ووجهي برذاذ البحر ، فاحتضنته فرحا طروبا .. كان قبلي من سعد برشاشة الماء قبل هوائه ..

وانا موقن ان القارئ سوف يعيش هنيهات غنيات مع وعي متفتّح وموهبة متألقة .

دمشق محيي الدين صبحي

موقف غرامي مع الفجيرة .. ثم حالة الفتاة النفسية بعد اختفائه .. ثم وفاته فعلا .. وغريبا كما جاء .. وقد احاطه الناس من كل جانب وقال احدهم :

« ان قلبه يتدفق بالفناء ... »

وقال اخر :

« انه مات من الجوع هذا الفتى الفقير .. »

ثم قالت احدى الفتيات لصديقاتها :

« انه مات من الحب هذا العزيب » ولكنهم جميعا كانوا على حق ..

وكذلك قصة « تشودومير شوربجسكي » : « غداء عائلة كوتشو » وقد تناولها بأسلوبه اللاذع الساخر .. المليء بالفكاهة .. فيحكى قصة لاحدى الاسر من الطبقة المتوسطة قبل التحرير وعلى التفسخ .. والتفاهة التي يعيش فيها افراد هذه الاسرة .. الكونة من اب عجوز بالمعاش يدعى « كوتشو » وزوجته المتصايبة وبناته الثلاث « تسنا » وهي دائما غارقة في المانكير ، و « تسنا » التي تهوى قراءة القصص الغرامية .. « وتسنا » التي تتسلل من ان لآخر لتسرق قطعة من الربى دون ان يشعر بهما احد .. وهكذا ليس في حياتهم شيء .. اللهم الا السيد « كوتشو » العجوز هو انشطهم .. فيذهب ليتسوق حاجياته .. ثم يعود للمنزل ويدخل المطبخ .. ليجهز الطعام دون ان تساعد احدى فتياته او حتى زوجته .. وبعد اعداده الطعام لم يجد من يحمل الصينية للغرف .. ويمضي الوقت سريعا .. حتى جاء موعد الغداء .. والطعام لم يعد بعد فكان جزاءهم ان اكلوا .. خبز .. وجبنا .. وبصلا ..

وثمة شيء اخر .. هو ان القصص محلية - تتناول شرائح صغيرة وقطاعات ضيقة من الحياة من بلغاريا .. ورأى انه لا بأس .. بل من

ذلك الى تلمذ بعض كتاب القصة في بلغاريا على يد كتاب روس .. فمثلا قصة « المسبحة » لـ « جورجى راتشيف » يحكى فيها قصة رجل عجوز وزوجته ... لم يعيش لهما طفل ، واستمر هكذا فترة كبيرة الى ان رزقا بمولود اسمياه « كيريل » تباركا بالحاج كيريل .. الذي قام واعطى لوالد الطفل بعض حبات مسبخته ليلصمها للمولود الجديد فتبعد عند الشورور .. ونما الطفل ، واطلق عليه اهل القرية اسم « كيرشو » لازدياد نموه .. واستمر الاب يلصم لولده حبة جديدة ، في كل مناسبة تمر بحياة وحيدة .. حتى اتم دراسته المتوسطة ثم اشتغل موظفا .. حتى طلب للجيش .. فانتظم في صفوفه .. وما لبثت ان قامت الحرب ... وفي اثنائها رقي الى رتبة الملازم الثاني ... والاب فخور كل الفخر بوحيدة الذي عوض صبره في الحياة .. فيتتبع بنهم شديد اخبار الحرب ... ويتلهف على قراءة خطايات ولده التي كان يحدد فيها المعارك التي اشترك فيها .. فيقوم الاب ويفتح الخريطة .. ليتبع سيرها ثم يدور في كل القرية حاملا خريطته ليشرح للناس كل شيء عن المعركة .. غير ان خطايات وحيدة انقطعت فجأة مما جعله يتساءل :

لماذا لم يكتب « كيريل » هل هو مريض .. ام جريح .. او اي شيء اخر .. ؟!

ولكن ذلك الشيء الاخر الذي يخشاه يجعله يردد مرة اخرى :

- لماذا يتقاتل الناس هكذا .. ويموتون ؟! الم يحصلوا على ما فيه الكفاية ... هل يريدون تحطيم وحيدى ؟

كانت الدماء تجري في عروقه باردة كالثلج كلما فكر في هذه الاشياء .. ولكنه يضيف حبة اخرى لمسبخته المباركة .

وفي صباح يوم كئيب ، اخبره ناظر المدرسة بوفاة وحيدة .. ففقد الامل في الحياة .. وزهدا .. وقد شوهد بعدها في حجرته الساكنة ، والتي تتسلل الشمس من نافذتها الضيقة .. وقد انعكس ضوءها على حبات مسبخته المختلفة الالوان وظهر وفي اخرها حبة سوداء كبيرة .. جديدة ، وهي تلمع لمانا قانما .. ومع لمانها زحف الحزن الاسود الى قلبه الحزين ، وغمره الى الابد ..

هذه لمسة فنية لا يدركها الا وجدان قوى .. يرى الاشياء في هدوئها حتى ولو كانت عنيفة .. صراخ .. وضجيج ولكنه يرى ما فيها من دموع تسيل بلا عنف ... وتسرب الاحزان في داخل الذات الانسانية بحيث تظهر كبيرة .. او اطراقة هادئة .. ووراء هذه المظاهرة البسيطة تنضج تماما الاعماق البعيدة المليئة بعناصر المأساة ... وهكذا تجد « راتشيف » يقص حكاية الانسان مع الحياة .. ومع نفسه ، ويعبر عن المواقف الانسانية .

اما قصة « ستارلخ » عازف « الريك » للكاتب الكلاسيكي الكبير « الين بلان » (١٧٧٨ - ١٩٤٩) فتحكي قصة شاب موسيقي .. فقير جاء طالبا الرزق .. متجولا في القرى .. وذات يوم وجده العمدة على مسطرة .. في ساحة القرية ، فشك فيه وقاده لسجن القرية .. حتى يتبين له حقيقته .. ومنذ اللحظة التي دخل فيها السجن .. دون في القرية الحانه العذبة .. من آتله الموسيقية « الريك » .

وهذه الالحان .. جذبت اليه احدى الفجريات .. فجاءت تسترق السمع .. والنظر .. من نافذة السجن ثم توسلت للعمدة ليفرج عنه .. وقد كان .. وتوطدت علاقة الموسيقي الفلاح .. بالفتاة العجربة وعائلتها بعد ان عزف في حفلة عرس أخيها .. فاسر قلب الفتاة .. وعطف الاب .. ثم صداقته للاب واشتغاله عنده .. ثم هربه .. بعد

مجموعات الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الست الاولى من الآداب تباع كما يلي

مجلدة

مجموعة السنة الاولى	١٩٥٠ ل.	١٠٠ ل.
» » الثانية	» ٢٥	» ٣٠
» » الثالثة	» ٢٥	» ٣٠
» » الرابعة	» ٢٥	» ٣٠
» » الخامسة	» ٢٥	» ٣٠
» » السادسة	» ٢٥	» ٣٠

الفروري ان نستعرض حياة الشعوب الاخرى وان نتعرف على خصائصها ولامحها المحلية ، فكل ذلك يغني ادبنا ، ويثريه ، ويدفع الى شرايينه بدفقات جديدة من الدم ، النقي الذي يزيد شباب ادبنا فتوة ، وعمقا ورحابة ..

ولكنني اقر في المقابل انه جاء بالكتاب بعض الاخطاء المطبعية واللغوية البسيطة ، وهي الشيء الذي فات المترجم فلم يحاول مراجعة الترجمة اثناء طبعتها ..

القاهرة محمد مهران السيد

اوقفوا هذا السرطان

بقلم : الدكتور سيف الدين البستاني

اما السرطان فهو الماسونية ، واما المؤلف الداعي الى بتر السرطان فهو الدكتور سيف الدين البستاني - من عرب اللواء المقيمين في دمشق - ، وهو طبيب افرم بفضح الماسونية والعمل على الحلولة بين سمومها وبين مصير الشعب العربي ، منذ عشرين عاما . واما الكتاب فهو حصيلة هذه الجهود الطويلة المتأنية التي خرج المؤلف منها وهو « اشد ايمانا بالواجب الذي اُلزم نفسه بانجازه ، الا وهو فضح هذه الزمرة الفاسدة وازالة الاقنعة الكاذبة عن وجوها الشوهاء ، وتعريضها امام الشرفاء فلا يخدع بها بعد اليوم احد » .

اذن فهدف الكتاب منذ الصفحة الاولى واضمح ، الا وهو مكافحة الماسونية وتخليص الشعب العربي منها .

« ان الواجب الاول الملقى على عاتق امتنا العربية الناهضة الان هو تصفية هذه الجمعيات المخربة ، واجتثاث جذورها السامة من تربتنا الطاهرة قبل ان يستفحل خطرهما ويستشري شرها فتقتضي على كل امكانية في المستقبل لمنع خطرهما ... ذلك لان المستعمرين كانوا يخلقون في المجتمع الذي يتغلغل نفوذهم فيه فئات خاصة لاتنتمي الى طبقة اجتماعية او سياسية معينة ، وانما ترجع باصولها الى مختلف الطبقات ، لتعمل ضمن برامج مدروسة ، واهداف معينة الحدود والشعارات سلفا تنتهي كلها الى هدف بعيد واحد هو خدمة السياسة الاستعمارية بأساليب غير مباشرة وخفية ، او لتمهيد السبل امامها » . والمؤلف الدكتور سيف الدين البستاني ، لاعتقد بان الجمعيات الماسونية في الوطن العربي تخدم السياسة الاستعمارية البعيدة او المستوردة فحسب، بل هو يعتقد بوجود ارتباط اكيد بين الجمعيات الماسونية والصهيونية العالمية ، ويلقي الاضواء على العلاقات القائمة بين الماسونية واهداف اسرائيل ... وهذه النقطة بالذات هي اهم ما في الكتاب وهي التي تعطيه اهمية في المكتبة العربية . اذ هو اول كتاب عربي يفضح ارتباط الماسونية باسرائيل عدوة العرب ..

وعلى الرغم من ان المؤلف لم يضع فصلا خاصا عن هذه الناحية : « ارتباط الماسونية نظاما وتكوينها بالصهيونية والاستعمار » فان هذه الحقيقة كانت محور الكتاب وهي تواجه القارئ في كل صفحات الكتاب وفي كافة فصوله .. وعلى سبيل المثال نورد هذا المقطع المأخوذ من فصل بعنوان : « موقف الماسونية من القضية » يقول الدكتور البستاني : « اليك ماجاء في كتاب - كيف أنشئ المحفل الاكبر الوطني السوري اللبناني - تأليف وجمع حسين اللاذ واحمد مختار نجا ، فهما يتهمان

محمد رفعة السكرتير الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري بانه كان يتعامل مع الصهيونيين ، وانه اشتغل بالسمرة وبيع الاراضي العربية لليهود . وبذلك ينفضح ارتباط الماسونية بالصهيونية وخيانتها للشعب العربي » .

وحين يعقد المؤلف فصلا للحديث عن سمات الماسونية وحقيقتها يقول : « ان اليهود وحدهم يخشون الكشف عن مآربهم التي تختفي بين جوانح الجمعيات السرية . والماسونية لاتضطر للاغراق في التكم الا اذا كانت مسرحا سريا لهذه الاطماع ... فالماسونية وجميع الجمعيات السرية المماثلة ليست غايات وانما هي وسائل ، تستخدمها القوى الخفية لتهديم القيم التي تقف حائلا دون مطامع بني اسرائيل » .

وهو في خاتمة الكتاب ايضا يقول : « لقد انضح ان الماسونية يهودية استعمارية ، فهل يمكن للعرب او لغربهم من امم الارض ان ياتلفوا مع تلك الروح العدوانية التي يقودها تلامذة التلمود من الماسونيين واسيادهم احبار اليهود ؟ » .

هذا هو محور الكتاب ، او هذا هو السرطان الذي يدعو الدكتور البستاني الشعب العربي لمكافحته والتخلص من ويلاته . وهو في الوقت ذاته يشير الى تنافي الماسونية مع القيم الحضارية والانسانية وعداوتها لكل المكتسبات الاخلاقية والاجتماعية الصالحة .

وان كان للناقد ان ينصح باقتناء كتاب او تحاشيه ، فاني ادعو الى نشر هذا الكتاب على نطاق واسع في كافة الاقطار العربية وانصح باقتنائه في مكتباتنا العامة ومكتباتنا المدرسية .

واظن انه سيرد على تساؤلات عديدة لدى القراء العرب والطلاب منهم بوجه خاص - ، واظن انه سيزودهم بأسلحة فكرية فعالة في معركتنا الحياتية الانية مع الاستعمار والصهيونية .

دمشق شريف الرأس

قصص

من منشورات دار الاداب

الدمع المر	الدكتور سهيل ادريس
قناديل اشبيلية	الدكتور عبد السلام العجيلي
السفونية الناقصة	صباح محي الدين
حادثة شرف	الدكتور يوسف ادريس
ضيف من الشرق	فاضل السباعي

دار الاداب

بيروت - ص.ب ١٢٢

السكك في الحرف

قصة بشار علي بـ ١٩٩٩

خطر لي ان احده ، بينما كان الصديق يشرب قهوته بلذة وهدهد .
قلت له :

- ما اسمك ؟

فاجابني وقد توقف عن العمل :

- حسين .

قلت وقد تفاعلت بالاسم :

- ومن اين انت يا حسين ؟

فاجابني وقد اسند ذراعه على فخذه ، وفي كفه فرشاة تنتظر :

- اننا من درعا .. ولكننا مقيمون هنا في دمشق !

وتابعت اسئلتي بينما كان يتابع هو توقفه عن العمل خلال الرد عليها :

- هل لك اخوة او اخوات . ام او اب ؟

ابتسم حسين ابتسامة باهتة ، ثم ترك ابتسامته المتعبة تجيب على سؤالي :

- لي اخوة واخوات ، صفار . وام فقط .

وسألته مجددا ، ولكن بحنان اكثر عندما علمت انه كبير العائلة :

- والمدرسة .. يا حسين ! هل دخلت مدرسة ذات يوم ؟

فاجابني وقد اطرق برأسه يبحث عن شيء ضائع :

- بقيت فيها ثلاث سنوات . ثم هجرتها . ان عملي اليوم اكثر اهمية من الدراسة !

فختمت اسئلتي المرحجة :

- وكم تبيع في اليوم يا حسين ؟

فكان رده بسيطا عفويا :

- ليرة او اقل .. احيانا اكثر !

انزل صديقي قدمه عن الصندوق ، ورفع القدم الاخرى ، وبدا الفرق واضحا بين فردي حذائه . وتابع الصبي مسح الحذاء بنفس اليد - المرتجفة ، وضعف الخبرة .. فكان اليد التي تمسك بالقلم تعجز عن حمل فرشاة في حياتها . وكانت المرايا لاتزال تعكس مئات الصور ، ورائحة الخمرة السوداء تتصاعد مثل عبير وردة برية في صحراء مقفرة والاضواء تهتز تحت الهواء الذي تبعثه الروحة ، والزبائن بين داخل وخارج ، يصفون على جو المقهى ، ما تركه انامل العازف على الاوتار المختلفة ، من شتيات الانغام التي يوحدها عازف الكمان الماهر . وكانت هذه المقطوعة التي تعزف دون ان يسمعا احد ، ينقصها لحن « حسين » ذلك الصبي الذي لا ينسى .

كانت المرايا المتقابلة تعكس الوجوه البادية فيها الى ما لا نهاية . ورائحة البن تتصاعد من اطراف المقهى الاربعة ، والرواد على قلتهم منتشون بعبير الخمرة السوداء ، عندما مر احد صابني الاحذية . كان صبيا لم يتجاوز الاثنتي عشرة سنة ، يحمل صندوقه الخشبي كأنه حمل ثقل قد ناء به الظهر الرقيق !

كان الى جانبي صديق يشرب قهوته ببطء ، وينظر بين لحظة واخرى الى حذائه المغير ، ويبعث باحدى عينيه الى الشارع ، تبحث عن ماسح احذية ، فلما مر الصبي صاح الصديق بأعلى صوته :

- يا ولد .. تعال يا ولد ...

فتسمر الصبي ، وابتسم ، ثم استدار ، ودخل المقهى الصغير ، والقي بحمله بين اقدامنا ، واقتعد كرسي صغيرا كان يحمله بيده . ومد الصديق احدى قدميه ، وبدأ الصبي عمله في معالجة الحذاء المغير .

كان الصبي رقيقا نحिला ، ذا بشرة ناعمة . وكان في وجهه عينان سوداوان جميلتان لم ار اجمل منهما في حياتي . وكان رغم اشتغاله في مهنة مسح الاحذية ، نظيفا تلوح عليه آثار نعمة غابرة . وكان لوداعته ولصفاء وجهه ولطافته ، اشبه بقطعة من الخبز قد نعتت في الحليب الساخن .

حاول الصبي ان يمسك بيده الفرشاة ، فسقطت من يده ، ولكنه تناولها بسرعة ، وبدأ يمسح بها القبار . كان يبدو عليه التكلف في عمله ، وبدا انه يعمل في مهنة ليست له ، او انه لم يتقنها بعد . وكانت يده المرتجفة وعيانه اللتان كانتا تشعان بالسنا الباهر ، وانكسار الامل على نظراته الحائرة ، يفسران محاولته المخففة التي كان يشبعها الجهد في تنظيف الحذاء ، ويطرحان دون اشارة اي سؤال ، حياة قلقة ، وعذابا ليس لهوله حدود ، كان الصبي يخضع له نفسه ، لتذوق مرارة الفشل في كل سحبه فرشاة على جلد مغير ، ليلمعه فيبصر فيه مستقبل ايامه الغامضة !

كان يرتدي سترة زرقاء باهتة قد لوحتها الشمس ، ولكنها كانت نظيفة ، وفي قدميه كان يتنعل صندلا صيفيا لا يزال فيه بقية من حياة حتى اواسط الخريف ، وكانت ازرار السترة اللامعة ، تخفي بعض الشيء نسيج الفناء الذي حاكته الايام على صفحة السترة التي توشك ان تبلى ولم تمسك على حياتها سوى يدين مولعتين بالنظافة ، قد حضنتا هذا الصبي الذي لا يزال منهمكا في تلميع فردة الحذاء .

سئلت ان احدث صديقي فسألته :

- الا ترى الى المرأة كيف تعكس الصور عنا ؟ من نحن ، بين عديد الصور المتشابهة ؟

ولكن الصديق لم يجبني . لقد انصرف الى حسين يسأله :

- لماذا لم تتقن الفرقة الاولى جيدا ؟

فرد حسين وهو يتسهم ابتسامة بيضاء :

- تق ياسيدي انني وضعت فيها كل جهدي .

انهمك حسين من جديد في حمل الفرشاة ، والمسح بها ، ولكن ذراعه الضيقة كانت اعجز من ان تحمل فرشاة وتضغط بها على صفحة حذاء مغبر . وفي خلال العمل وانهما كنا مجددا في الحديث عن المرايا اخرج حسين علبة دهان مفرغة ، نظيفة ، مملئة بالماء حتى فتحتها ، ووضعها على جانب من الصندوق . كان في العلبة الزجاجية سمكة صغيرة . وكانت السمكة رفيعة طويلة ولكنها صغيرة . وكان اطار الزجاجية ضيقا فلا يتسع للسمكة اذا ارادت ان تتمدد على طولها فيه . كانت السمكة متعبة مرهقة ، مضطربة تصعد الى الذروة ، وتعود من جديد في لحظة لتستقر في القعر وكأنها تضغط على نفسها لتقصر قليلا .. ولكن ذلك كان مستحيلا . وكانت تنفّس بسرعة ، وبعمق ، وبتعب . خيل لي اننا وصديقي ان السمكة ستموت لامحالة اذا ظلت في هذا المكان الضيق . فسألت حسين :

- لماذا لاتضعها في طاس . او كوب . انها ستموت يا حسين ؟

فرد ضاحكا ، وهو يتأملها بشغف ووله مفرطين في السعادة :

- ستقاوم ياسيدي . انني ساخذها الى المنزل توا ..

انصرفنا الى تأمل السمكة المحصورة في نطاقها الضيق . ولكن حسين كان ينظر اليها نظرة خاصة . كان يشعر نحوها بمواطف عديدة ، ولكنه لا يعيد التعبير عنها . لقد كان مشغولا بعمله الذي لم يتقنه بعد . انه لا يعرف كيف تحمل الفرشاة ، ولا كيف يوضع الدهان على قطعة الاسفنج . انه يدخل المهنة الجديدة دون الالام بأبسط اسسها ومبادئها ، وكان جهله لاصول الصنعة يعوضه من ارتجاف يديه ، وحمرة خديه وخفوت الضوء في العينين السوداوين الجميلتين ، وارتجاف الشفتين القرمزيتين كجناحي حمامة مطمونة .

كانت السمكة توشك ان تموت . وكان حسين يسرع في مسح ماتبقى من الحذاء . كان يتعذب بعمله وحمله الصندوق وارتدائه تلك السترة الزرقاء البالية . لقد كان عليه ان يجرب عمل صانعي الاحذية المفرطين في الحنق . وفيما كانت السمكة تختنق بالماء - رغم انها لاتعيش الا به - وجدردان الزجاج المحيط بها تضيق عليها شيئا فشيئا - كما تضيق جبال الثلج في المحيطات على السفن النائية - وتنفسها يضطرب ويشد كلما بدت لها النهاية اقرب من عنق الزجاجية المفرطة في القصر ، كان حسين لا يزال يحمل الفرشاة بيد مرتجفة ويحاول اتقان تلميع الحذاء بولكنه كان يخفق في كل محاولاته . وكان يبدو عليه الاضطراب وعدم الاستقرار وكان الشعور بالراحة يعاوده قليلا ولكن سرعان مايند عنه ليحل محله شعور بالقلق والمسؤولية التي القيت على كاهله ! وكان يعتذر بعينيه من الزبون ، ليسامحه اذا بدا انه لم يستطع تلميع الحذاء بالصورة المعهودة في مثل الحالات المشابهة . وكان لا يستعمل لسانه رغم سلامته ، خشية الا يتفوه بكلمات ليس لها علاقة بموضوع الاعتذار ، اصلا !!

نزلت قدم الزميل ولم حسين اغراضه ، وحمل سمكته الصغيرة في زجاجته الضيقة وتوقف لحظة امامي . كان يمزقه الالم ، فقد بدا وجهه الرقيق عابسا لمصير السمكة ، ولكنه اراد لو امد احدى قديمي ، فلم افعل . كنت راغبا من كل قلبي ان ينجو امل حسين في ان تعيش السمكة وتواصل الحياة .

غاب حسين في الزحام ، ولكنه ترك في نفسنا صورة لاتمحي . ان السمكة الصغيرة لاتزال تتعذب . لاتزال تصعد وتهبط دون ان تستطيع المكوث ولو لحظة على طولها فيحملها الماء اذا ارخت بكل ثقلها فيه . وحسين ، ذلك الصبي الرقيق الذي حمل صندوقا ينوء به الظهر ، واخذ يجلس امام الزبائن وفيهم الطيب وفيهم الشرير لا يزال يمسح الاحذية بيد مرتجفة ، وعينين متعبتين ، وقلب لم يتسع لاحلام الطفولة فاتسع لهموم الصغار الذين يغدون ارباب اسر قبل الاوان !!

كان عبير الغمرة السوداء قد خدر اكثر الحواس ، وبعث النشوة في بعضها ، والمروحة تبعث الانسام الرطبة في المسام جميعا ، والمرايا المتقابلة لاتزال رغم صمتها ، تعبر عن مكنونها بابداعها من الصورة عثرات الصور المتشابهة ، وتوزع خواطر النفس على الماضي والحاضر والمستقبل وتقف اكثر فاكثر عند كافة الاحواض الضيقة المترعة بالسمك ، والمنتشرة في اكثر بقاع العالم . وخلال هذا الفيض من الصمت الثقيل بالتأمل سألني صديقي وهو يتسهم ابتسامة ذات معنى :

- هل تعتقد ان السمكة ستموت ؟

فقلت له وعينا حسين السوداوان تثيران لي طريق الجواب ، ووجهه الرقيق وبشرته الناعمة تمهدانه :

- اذا كنت تقصد السمكة الصغيرة ، فكل ظني انها لن تموت !

ولا ادري الى الان رغم مضي مدة طويلة على التقائنا بحسين ، اذا كانت السمكة قد ماتت حقا ! ذلك ان اتساع الحوض على السمكة ، بشير باتساع الاحواض جميعا !!

علي بدور

حمص

كتابان خطيران

لجان بول سارتر

عارنا في الجزئر :

لهنري اليغ

الجلادون

ترجمة عابدة وسهيل ادريس

دار الاداب

سارح في الفكر

كنا نأثيه

ليلا ، يا حسن لياليه !

الشارع في الليل مليء بالعشاق

وخطى حيرى وعيون ظلماته

وقلوب جوعى ، وظلال وسمانه

الفرحة فيه

واللوعة فيه

يا حسن لياليه !

★

كانت تلبس لي فستانا اخضر

ولاني اهوها - كانت تتعطر

فالشارع من طيب شذاها عنبر

وعيون تحسدني ، وقلوب تكسر

كم كانت تبكي في الليل، وتهذي وتثرثر

« سأموت غدا بعد وداعك

وسأحرم من ومض شعاعك

الشارع من دونك صحراء

والدنيا من غير هواك خواء .

لو اني املك تغيير غدي

لو ان الليل يطول الى الابد

لمددت الشارع حتى ابواب الجحش

(*) اسم ل احد شوارع القاهرة

ولقلت وداعا يا كمدي . . «

★

الحب كبير يا انس مسائي

هو اكبر من ضحكي وبكائي

هو اكبر - حتى - من حسن الاكبر

فهلمي نهجر شارعنا المظلم

وتعالى نغترف النور من الميدان

ونسير مع الناس

ونذويب نفسينا في اعذب كاس

★

كنا نأثيه سويا

واليوم اعود اليه وحيدا

ما زال الشارع مفتوح الاحضان

للطير الشارد والقلب الظمان

مسيت بخير يا حسن الاكبر

صدقني . . لن اسأل عن قمر اخضر

وعبير كان يعطر اركانك

لن اشكو لبيوتك ارزاء زماني

لن اسكب فوق رصيفك احزاني

فقوادي يعلم ان النور قريب

وعيون ما زالت تحلم بالميدان

وحبيبي سوف الاقيه في كل حبيب .

★

فمتى يا شارع اهجر ظلماتك

ومتى سأغادر وكناتك

لاجرب اجنحتي في الافق الرحب

ولانشيء مملكتي في كل فؤاد

ما بالك تحلم بالماضي ؟

ما بالك تبتز دموعي ؟

اطردني من ارضك ، شقق قدمي

أصرخ يا شارع غضبا في

اغلق من دوني ابوابك

ونوافذك المفتوحة ، اغلقها دوني

او فاحذر يوما ادخلك قويا فيه ،

وهناك امسح من ارضك خطوى

وساطفيء مصباحا شاهدي ابكي ،

ولسوف امر على « الشرفة » عاصفة
لا تلوي

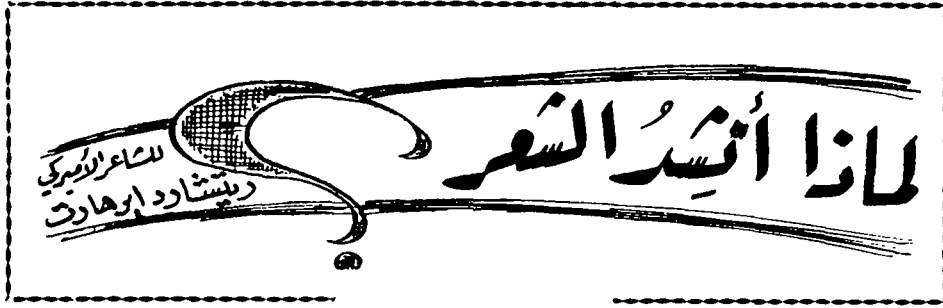
وسأبصق من اقدس محراب ،

محرابك يا امسا ادبر ،

يا اصغر من ان تذكر .

القاهرة رشدي صادق





كوردة حمراء . »

لاستفدت اكثر مما تستفيد من قراءة الف صحيفة من النثر الذي يشرح لك موضوعا من الموضوعات . بالله عليك قل لي : مالذي ستشرحه هذه الصفحات الالف ؟ ان ذلك التشبيه ، البسيط ، للحب بالوردة الحمراء يخلف وراءه سحرا كبيرا . وينقلك هذا السحر الى روعة بيت هاملت :

« وجود او لا وجود ، تلکم هي المشكلة . »

وسرعان مايسلمك هذا الى :

« التألق ينساب ، هابطا من الهواء . »

انك قد تنتقل بعد هذا الى اي حقيقة شعرية عميقة تحبها وتعشقها .

في هذه الايات ، وغيرها ، يبلغ عنصر التركيز ذروته ، الى حد انها تتشعب في ذهنك وتورق فروعا مثلما تورق الشجرة . ان الشعر يجعلك تعيش الحياة . واذا بك تصبح جزءا من شيء ابعد منك ، واكبر . وهكذا تندمج في علاقات وروابط خالدة ، ابدية وقد يغمرک في هذه الحالة شعور ديني عذب ، ذلك لانك لو فكرت - ولو ساعة من زمان - في احتمال وجود شيء غامض ذي طبيعة دينية ، فانك ستشعر وكأنك قد ولدت من جديد . . .

ثم ينتقل الشعر من البيت الموزون المقفى ليأخذ طريقه الى الشعر الاكبر ، شعر الحياة ، شعر كل ساعة ، وكل فعل وكل حركة . وتصبح انت صنوا للذي لا يتغير . تستطيع ان تحقق هذا بصورة اكثر مهارة . وابتعد عن الافتعال اذا قرأت الشعر لا النثر . ان الشاعر الذي يكتب لك قد يتعرض لمتابع مؤلة . اما انت ، ايها القارئ ، فقد تحظى بمتعة بعيدة كل البعد عن الالم وعن المتاعب .

ولكن بالرغم من كل ماقلت في السطور السابقة ، اعتبر كل محاولة للاجابة على السؤال « لماذا تكتب شعرا لانثرا » انتهاكا لحرمة الدوافع والحوافز التي تدفع الشاعر الى الكتابة وهو لا يدري بها ، ولا يعرف عنها . .

ان النثر هو الزوج ، والشعر : الزوجة . فاذا فصمنا عرى الروابط التي تربط بينهما ، عادا واجتمعا من جديد . ان النثر يعتمد - بغريزته - على الشعر ، والشعر يعتمد - بغريزته - على النثر . وهما يعترفان بهذا الاعتماد المتبادل .

عندما يسألني سائل « لماذا تعبر بالشعر عما تريد ان تقوله ؟ » اجيبه على الفور : « لان هذا ايسر لي . واسهل . » ويبدو انه كان علي ان اثبت ذلك بان اكتب مقالتي هذا مستخدما الشعر فسرى انه يتفوق على النثر في مجال الایحاءات والتداعي .

انني اقترض الشعر لاني مضطر الى الاستسلام لطوفان من الفرح المحموم ، فرح يقبع بين الحروف المتحركة ، هناك حيث يربض سر اللغة الاكبر . هذه الحروف المتحركة هي النهر او البحر الذي يشق طريقه بين الحروف الساكنة ، الصلبة الضخمة . هذه التجربة هي في الواقع تجربة موسيقية . واقترض الشعر لاني لا اعرف كم صيفا تبقى لي في حياتي هذه التي احياها . واريد ان اقول ان هذا الخاطر تردد علينا بصورة اكثر عنفا واشد الحاحا حين كانت اعمارنا تتأرجح بين العشرين والثلاثين .

ان الشعر اكثر حياة من النثر .

واقترض الشعر لان الشعر يحقق المتعة لروح الضعف الكامنة فينا ، بأشكالها ومراتبها المختلفة . والشعر يقود العقل من الجوهر المنطقي الى ذلك الجوهر الكهربائي الذي يتوهج في اكثر ساعات حياتنا غموضا ، وهو يتوهج بصورة جد غريبة ، وفي اولى لحظات تبلور الشخصية .

كل هذه الحالات عرفها الانسان ، غير انه لم يستطع التعبير عنها ، الى ان جاء الشعر فحدد هالمها وصاغها في اشكال رائعة .

واقترض الشعر لان النثر يجعلك كسولا ، اما الشعر فيكسبك حيوية . وذكاء .

والشعر يقفز بك الى الغاية التي ما بعدها غاية ، مع تركيز كبير مداره جوهر الاشياء . والشعر يعبر عن غاية الانسان ، وهدفه ، ورسالته . اما النثر فيخبرنا بما عرفناه سلفا . وهو يخبرنا في خطوات متثاقلة ، وبصورة فظة .

الشعر يوحي لك بوجود لانهاية لم تعرفها من قبل ، وبوجود شيء افضل ، شيء لم يكن موجودا من قبل . ولو قد امعنت التفكير - بينما العمر يمضي بك - لو قد امعنت التفكير في بيت شعري بسيط « ظاهريا فقط » مثل :

« حي

كوردة حمراء

الى سواد عيني ثانية

لي رفيف ابتراة بين شطيك ، واهلا من بعدها بالزوال

طال ياموسم الغلال انتظاري ، ورمي اليأس ظله في سلاي
امن الال انت يالون عينيها فأغفو على حقول الال
صبها ، صبها يحب النشاوى خمرة العين مثل خمر الدوالي
صبها يا سواد جنت خوابي ، ومدت عيونها آمالي
صبها يدعيك آهي ويدعوك حيني ، ويشتهيك امتثالي
حملته اليك في فورة الصبوة ، رنات ماسك المتلاي
فأفص من ضيائك السمع ، يشرق القاللون في اصفرار الكلال

صبها ياسواد يانكة الله ، واهلا من بعدها بالزوال .

خليل الخوري

دمشق

من الادباء العرب

صبها ، صبها يحب السكارى ، خمرة العين مثل خمر الدوالي
صبها ياسواد ، يانكة الاصل ، يالمح رونق الاصل
صبها يبترد لهاث مسافاتي ، ويظفيء جدا الظنون اشتعالي
انا ملقي على اراجيح وهمي ، اتلوى على زنود خيالي
لا ابالي بكى بعيني جوع الكأس ، ام ضج كبرياء سؤالي .
طيب ياطيب ! ياغوى كل غوياء ، وسر ادعاء كل دلال
ما احتفالي بأن اعيش ، ولكني بهذا الدجى الرعوش احتفالي
فمتى ادعي بانك ملكي وباني حرقت فيك ضلالي ؟

انا يالون ، يا اخضلال الاماسي ، وفوح العبير بين التلال
انا ياماس ، ياتوهج أحلامي على درب غربتي وارتحالي
لي اللظى المر ، والتشوق ، والغربة باليل ، لي وعود النوال
لي يا مرفا الصبايات رحلات ، تناهى في ليلهن مآلي

انا نقرأ النثر لنعرف . ونقرأ الشعر لنكون اقوياء .
ونعني بالقوة هنا : عمق النظرة ، ولا نعني بها القوة المادية
« بالرغم من ان الشعر قد يحققها . »

ان الشاعر يسلس قياده للشعر - ذلك الشكل البدائي
المسحور - لان الشعر قوى ، لا يكثرث للمنفعة وعدم
المنفعة ، ولان الشعر يتحدى الزمن ، ويخاطب السرب
ويستحبه ويولي وجهته شطره .

وعلينا الا نصل في الشعر الجيد الى تفسير واحد ،
نهائي ... فالشعر الجيد يزودنا باحساء تدخل علينا
السرور والمتعة والرضا والاقتناع ، غير انها احساءات
لاتموت على مذبح العقل . .

والمرء عاجز عن استكناه كل اسرار الشعر ، ذلك الشعر
الذي يستحث الروح ويرضيها . غير ان الروح نفسها
سر يحاول العقل بمنطقه ان يحطمه دائما . .

ترجمة محمد عبدالله الشفقي

ومع ذلك فلكل طابعه الذي يميزه ، ولكل الشخصية
التي ينفرد بها .

حسنا . . انني اقول - بالشعر - ما اريد ان اعبر عنه
لان هذا الاجراء امر طبيعي بالنسبة لي ، امر لا تكلف فيه
ولا افتعال . ان اعظم رواية ، في اعظم نثر ، قد تحاول ان
تقول في صفحاتها العديدة ماقاله الشاعر الانجليزي وليام
بليك في بيت واحد : « اوه

يا ايتها الوردة

انك لمريضة ! »

والشعر يتحدثني اكثر مما يتحدثني النثر ، ويتطلب
مني مجهودا اكثر واعنف . ذلك لان الشعر قائم على
التركيز وعلى الكمال والصفاء ، ومن ثم يصبح احتمال الوقوع
في الاخطاء اكثر في الشعر منه في النثر - ذلك النثر
الذي يعتمد على الاسهاب ، لا التركيز ، في التفسير
والشرح والحكاية . .

الى سواد عيني ثانية

لي رفيف ابتراة بين شطيك ، واهلا من بعدها بالزوال

طال ياموسم الغلال انتظاري ، ورمي اليأس ظله في سلاي
امن الال انت يالون عينيها فأغفو على حقول الال
صبها ، صبها يحب النشاوى خمرة العين مثل خمر الدوالي
صبها يا سواد جنت خوابي ، ومدت عيونها آمالي
صبها يدعيك آهي ويدعوك حيني ، ويشتهيك امتثالي
حملته اليك في فورة الصبوة ، رنات ماسك المتلاي
فأفص من ضيائك السمع ، يشرق القاللون في اصفرار الكلال

صبها ياسواد يانكة الله ، واهلا من بعدها بالزوال .

خليل الخوري

دمشق

من الادباء العرب

صبها ، صبها يحب السكاري ، خمرة العين مثل خمر الدوالي
صبها ياسواد ، يانكة الاصل ، يالمح رونق الاصل
صبها يبترد لهاث مسافاتي ، ويظفيء جدا الظنون اشتعالي
انا ملقي على اراجيح وهمي ، اتلوى على زنود خيالي
لا ابالي بكى بعيني جوع الكأس ، ام ضج كبرياء سؤالي .
طيب ياطيب ! ياغوى كل غوياء ، وسر ادعاء كل دلال
ما احتفالي بأن اعيش ، ولكني بهذا الدجى الرعوش احتفالي
فمتى ادعي بانك ملكي وباني حرقت فيك ضلالي ؟

انا يالون ، يا اخضلال الاماسي ، وفوح العبير بين التلال
انا ياماس ، ياتوهج أحلامي على درب غربتي وارتحالي
لي اللظى المر ، والتشوق ، والغربة باليل ، لي وعود النوال
لي يا مرفا الصبايات رحلات ، تناهى في ليلهن مآلي

انا نقرأ النثر لنعرف . ونقرأ الشعر لنكون اقوياء .
ونعني بالقوة هنا : عمق النظرة ، ولا نعني بها القوة المادية
« بالرغم من ان الشعر قد يحققها . »

ان الشاعر يسلس قياده للشعر - ذلك الشكل البدائي
المسحور - لان الشعر قوى ، لا يكثرث للمنفعة وعدم
المنفعة ، ولان الشعر يتحدى الزمن ، ويخاطب السرب
ويستحثه ويولي وجهته شطره .

وعلينا الا نصل في الشعر الجيد الى تفسير واحد ،
نهائي ... فالشعر الجيد يزودنا باحشاء تدخل علينا
السرور والمتعة والرضا والاقتناع ، غير انها ايحشاءات
لاتموت على مذبح العقل . .

والمرء عاجز عن استكناه كل اسرار الشعر ، ذلك الشعر
الذي يستحث الروح ويرضيها . غير ان الروح نفسها
سر يحاول العقل بمنطقه ان يحطمه دائما . .

ترجمة محمد عبدالله الشفقي

ومع ذلك فلكل طابعه الذي يميزه ، ولكل الشخصية
التي ينفرد بها .

حسنا . . انني اقول - بالشعر - ما اريد ان اعبر عنه
لان هذا الاجراء امر طبيعي بالنسبة لي ، امر لا تكلف فيه
ولا افتعال . ان اعظم رواية ، في اعظم نثر ، قد تحاول ان
تقول في صفحاتها العديدة ماقاله الشاعر الانجليزي وليام
بليك في بيت واحد : « اوه

يا ايتها الوردة

انك لمريضة ! »

والشعر يتحدثني اكثر مما يتحدثني النثر ، ويتطلب
مني مجهودا اكثر واعنف . ذلك لان الشعر قائم على
التركيز وعلى الكمال والصفاء ، ومن ثم يصبح احتمال الوقوع
في الاخطاء اكثر في الشعر منه في النثر - ذلك النثر
الذي يعتمد على الاسهاب ، لا التركيز ، في التفسير
والشرح والحكاية . .

الصنم العجيب

قصته

تفلم عبدالرحمن البسك

مهداة الى الصديق : علي بدور

في فجر احد الايام ، شاهد سكان المدينة مخلوقا عجيبا منتصباً في الساحة الكبرى وهو يتنسم . وكانت تبدو على وجهه سمات الرحمة وينبعث من عينيه بريق الشفقة والحب والاخلاص .

كان ذلك المخلوق عملاقا ، يشبه عفرينا من العفاريت انطلق من مكان كان فيه حبيسا ، وقد امتد راسه فوق الابنية الضخمة ، وملا جسده الساحة الكبرى ، وامتدت ساقاه بعيدا حتى تجاوزتا اعمدة الهاتف والكهرباء .

وسرعان ما انتشر الدعر بين السكان ، فطفقوا يهربون ويدبرون ، فهم لا يكادون يرفعون ابصارهم لمشاهدة وجه ذلك المخلوق حتى يرتدوا بأعينهم وهم يرتجفون فرقا . الا انهم سرعان ما طرحوا الخوف جانباً والتفوا حول ساقى العملاق ، حينما جذبتهن ابتساماته الرحيمة ومخايل وجهه الانسانية .

تبلغ الزعيم ، الذي كان يحكم المدينة بالجور والتعسف ، نبا هذا المخلوق ، فارغى وازيد وجذع ان يتحالف هذا المخلوق مع الشعب ، فقرر ان يقف بنفسه على سر هذا الصنم الضخم ليبدأ بمجابهته ، وليبادر الى درء خطره .

فلما مضى اليه ، جزع من ضخامة جسمه ، وفزع من قوة ذراعيه الفتولتين وفسحة صدره الصلبة ، ولكنه ، ما لبث حتى اخفى خوفه هذا ثم راح يرمقه بنظرات صارمة يريد ان يؤثر فيه ويطلع في قلبه طابع الخوف والمهابة . ولكن الصنم قابل هذا التحدي بزمجرة غير مفهومة دوت على اثرها الارحاء ، فوقع الزعيم تحت ضغط الاهتزازات الصوتية وارتجفت القلوب ، وظن الناس ان عاصفة شديدة اخذت تصدع الجدران وتقتلع الجذور والاشجار .

ولكن بعد فترة سكن كل شيء . ونهض الزعيم من مكانه واخذ ينفض الغبار عن ثيابه ، ولكن نظرة حانت منه فشاهد الناس يحفون به وينظرون اليه في شماعة فما كان منه الا وانفجر صائحا : « انه صنيعكم ... اظنون انني لا اعرف ذلك ايها الاغبياء .. انه عميلكم .. ان هذا لن يجديكم نفعا . انتظروا قليلا وستشاهدون ما سيحل بهذا الصنم » . ولما امسك عن زجر الناس ، انصرف الى الصنم فاخذ يتلمس جلده فيجده صلبا كالصخر ، ثم يفحص شعيرات قدميه فيجدها متينسة كالخيال . ولما حار في تحليل هذا الامر امر نفسه بالانصراف فانصرف بواسطة سيارة مصفحة .

وجد الناس في تلك الفترة مزيدا من الفرص ، فقاموا يرقصون ويهللون فرحين حول ساقى العملاق . وكانت المدينة قد اغلقت متاجرها وحوالياتها حتى وكأنها بدت في عطلة رسمية . وبدأ الناس ينثالون من كل حذب وصوب الى الساحة الكبرى حتى اجتمع فيها عدد كبير .

وراحوا يقضون امتع الاوقات الى جانب ذلك الصنم الذي سحرهم بابتسامته الرقيقة ومخايله الانسانية العميقة التائير .

اما في وزارة الدفاع ، فقد دعا الزعيم الى اجتماع طارىء . فتوافد الوزراء واخذوا يصنعون الى الخطط التي رسمها الزعيم في مخيلته للقضاء على هذا الصنم .

من اجل ذلك وجه الدعوة الى جميع علماء الكيمياء والفيزياء والفلك والكهرباء والطب والتشريح ، فلما اجتمعوا القى فيهم كلمة وطنية حماسية ، وحثهم على كشف سر هذا المخلوق العجيب ووعدهم بمكافآت سريعة رفيعة .

واكب ذلك المبلغ من العلماء على البحث ، بعد ان اقاموا مخابرههم في الساحة الكبرى ونصبوا بجانبها الاجهزة الضخمة والمجاهر العظيمة . ولكن دراسة المخابر ونتائج المعادلات الجبرية والهندسية لم تؤت ثمارها كما هو في حال تطبيقها على الامور الطبيعية .

وغادر اهل العلم الساحة الكبرى خاسرين ، وعرف الزعيم مقدار الخسارة المعنوية التي لحقت بسمعته . ففكر ان افضل طريقة للسيطرة على هذا المخلوق انما يكون باستمالته ومفاصته عله ينجح فيما فشل به غيره .

اخذ الزعيم يخاطب الصنم بواسطة مكبرات الصوت فسأله قائلا :
- ايها المخلوق الغريب .. ايها الصنم الحي !! من اي بلد انت ؟
وهنا خرج الصنم عن صمته لأول مرة منذ حل في المدينة . وقال بصوت يشبه هزيم الرعد :

- انني ايها الزعيم المحترم من مدينتكم
فقال له الزعيم وهو يشعر بالزهو لهذا الانتصار الذي احرزه من جراء حمل الصنم على الكلام .

- حسنا ايها الصنم الحي ، ان كنت حقا من مدينتنا ، فالي اي حزب تنتمي ؟

وضحك الصنم العملاق ، فزمرج الغضاء ، وظن الناس الذين كانوا يستمعون الى هذه المحادثة ، بان عاصفة شديدة لا شك دهمتهم . ولكن الزعيم ما لبث ان اردف :

- ما الذي اضحكك ايها الصنم الحي .. اتسخر من نظام الاحزاب ؟
- انني اتسخر من نظام يعترف بحرية الاحزاب ثم يضع نفسه فوق تلك الحرية .

وشعر الزعيم بارتباك شديد ، وقال للصنم بصوت خفيض يريد به الا يبلغ مسامع الناس :

- التزم الصمت أرجوك .. هل تريد فضيحتي ؟
- بل اريد نشر الحقيقة .
- وايه حقيقة هذه التي تزعم انها حقيقة ، الا تعلم انني اريد ان

جذبني .. انني مخلوق لامتلك الا حاستين ، حاسة السمع وحاسة
الشم فالاولى تجذبني نحو السجون العميقة ، فانقاد الى صيحات
المدين وصرخات المفلولين ، والثانية تجذبني نحو المجازر ، فانقاد الى
البقع الحمراء المسفوحة واقف بجانب الارواح الصاعدة ، واخفف سلوى
المتكولين ، ثم اعرج على المتكوبين الاصحاء واسكب في انوفهم رائحة
الحرية واسعر في صدورهم لهب الانتقام .. ثم اغيب ..

وظهرت علام الغضب على وجه الزعيم فقال بصوت تخنقه الرجفة :
- اذن فانت متآمر لا مباشر .. بخ . بخ
ظننتك هبة من السماء سعت الي لتساعدني في تصريف امور المدينة
واذا بك ناكر متنكر

- هدى روعك ايها الزعيم ..
- دع روعي يستعر .. واستعد لنزلي .. فان كنت شيئا اقوى
من قوتي فاسحقني .. والا .. فساجعل منك ايها الطفل اضحوكة
العالم .. ساصنع منجنيقا لشنقك .. وساعلقك من اقدامك بشاحات
« ديامونت » واجرك في السهول والمستنقعات ، ثم ساقطع جسدك اربا
اربا ، وابعث بلحمك الى الوحوش لتتقات من جيروتك ولتتغذى
باعتمادك ايها الصنديد . ايها الصنم .. ايها الخرافة .. الا تدري
اننا في قرن اندحرت فيه هذه الخزعات ، فلم يعد يظهر شيطان
مثلك .. او جنى او قوى غيبية لا سلطان لاحد عليها .. اننا الان في عصر
البارود ايها الغبي ..

وانفجر الصنم ضاحكا ، فدوى ضحكه كانه العاصفة وارتمى الزعيم
مرة ثانية على الارض ، ولكنه زحف متراجعا .. بعد ان تحطم بيده ناقل
الصوت . ثم هرب بسيارته المصفحة وهو فاقد الوعي .

شعر

من منشورات دار الاداب

الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
قصائد عربية	سليمان العيسى
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي
عائدون	يوسف الخطيب

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٣

استعمل الحيلة في حكم الرعية لاقدم الثمرة المرجوة لهؤلاء الناس الذين
حاروا في فهم السلام واختلفوا في طريقة نشره على المجتمع ، انسي
اريد ان اظهر على الناس بطرق جديدة .

- هذا كذب وبهتان .. الا تدري بان الشعور في هذا العصر قد
تيقظ على ان لاسلطان لاحد على احد .

- اذن فكيف يكون الحكم دون ان يتسم بفرض السلطة ؟
- يكون بالرشد والحلم وعدم الجور ، فاللين يذهب بالتعسف والرفق
يزيل حب السيطرة ، وعدم الاستهتار باجماع الرعية على مبدأ يهون
من نقمة العامة على الحاكم .

وسكت الزعيم قليلا ثم اردف في خبث :
- انني اعجبت جدا بآرائك ايها الصنم المقدس . ولقد حسبت في
البداية انك مجرد صنم من الحجر .. صنعك اعدائي لناواني ، واذا بسك
صنم حي تتمثل فيك مشاعر مثالية .. فهلا قبلت عملا برتبة مستشار
عندي ؟.

- مستشار عندك ؟...
- اجل .. وسأفدق عليك المال الوفير والسعادة والرفاه ، وسأحيطك
بكل ما تحلم به عين ويتمناه قلب ، فانت على ما يبدو اوسع مني ثقافة
وادق ملاحظة وابعد نظرا .

- يصعب علي ان اعمل لديك مستشارا .
- وما هو وجه هذه الصعوبة ؟.

- انك تتخذ مكاتبك في غرف تشبه الجحور ، بينما انا لاستطيع
العمل والتفكير الا في مثل هذا الجو النقي النظيف ، فاي بناء يمكن
ان يجمعني معك ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فانا استعمل افلاما
ضخمة في التوقيع وفي كتابة الرسائل ليست اقل حجما من اية شجرة
من هذه الاشجار ، كما ان الورق عندي جسيم ، والدفاتر لدي اطول
من حجمك بمرات ، ويؤسفني ان اقول لك بان محفظة اوراقي تتسع
لك ولماونيك ولحفنة اخرى من مرافيقك .. لهذا ترى ان كل شئ
يبنى وبينك مختلف .

- هذا صحيح .. ولكني امر من اجلك باشادة بناء بناطج السحاب
ويعانق الرياح ، كما امر من اجلك بصنع افلام بحجم الاشجار ودفاتر
بحجم الابنية .. وفراش بطول الشارع ومقاعد بحجم الحافلات ...
اجل .. سابني لك قصرا فخما ، وسأجعله قبلة انظار العالم ، وسأحيطك
بكل اسباب السعادة .

- انني اخاف هذه السعادة ، فما من باب عندكم الا وله قفل ومزلاج ،
وانا اخاف ان تمنحني حرية صغيرة ، بحجم القصر الذي ستبنيه ، ثم
توصد باب ذلك القصر دوني ، فتحرمني الحرية الكبيرة ، وعند ذلك
اغدو لديك كمصفور بين قضبان القفص لا يتمتع جناحيه الا بالحرية الصغيرة .
- بالحرصك ايها العنيد !.. اذن اجعلك قائدا عاما للجيش والقوات
المسلحة .

- لماذا ؟.. امن اجل ان تأمرني ان اطيح بالاحرار وافتك باعناق
الابرياء ؟.. لا .. لا ! انني لاوافق .

- انني اقدم اليك الذهب والفضة .. ارجوك .
- انني لااحتاج اليها في عالمي ..

- اذن ماذا تروم من هذه المدينة . هيا ارحل عنها ارجوك ..
- أسأل ماذا اروم من هذه المدينة .. حسنا ، فما دمت تريد ان
تعرف ، فلا بأس في ان اخبرك بان رائحة الدماء التي سفكت قد

والانخفاضات ، واخذت الطائرات تتعثر في خطوط سيرها . واعلن
الريابنة ان جوا غربا يحول دون الوصول الى الصنم ، وان الطائرات
تكاد تلقى مصرعها نتيجة للعواصف الشديدة . عندئذ امر قائد السرب
الطائرات بالعودة ، ففعلت دون مكابرة .

اما في الليلة التي تلت هذه المحاولة الجريئة . فقد سكن كل شيء
خصوصا بعد ان افلس الزعيم والجيش من كل الوسائل .

وحتى منتصف تلك الليلة ، لم يستطع الوزراء ولا القواد ولا الامناء
العامون ان يجدوا مخرجا . واخيرا اقترب رئيس الاركان باستخدام
القنابل الذرية .

وافق الزعيم على هذه الفكرة ، كآخر اجراء يمكن ان يتخذه بحق
ذلك العفريت الذي جاء ليبشر الشعب ضده . فخابر مندوب دولة
صديقة وطلب مساعدتها في القضاء على هذا العدو . وبسط الامر للمندوب
وامره بايفاد الخبراء لتفجير قنبلة ذرية بين ساقى العملاق . واجابه
مندوب الدولة الصديقة الى طلبه بالموافقة وشربوا وقتئذ نخب الصداقة .
في الوقت الذي عرف فيه الشعب بالماؤامرة الكبرى ضد الصنم الحي
كانت الاستعدادات قد اتخذت لضرب الصنم ، فهب الناس ودخلوا
المدينة من جميع جهاتها وحاصروا قوات الجيش واحتدمت المعركة .

واستمر الظلام .. واستمر خلاله النضال الى ان تسلمت خيوط
الفجر ، فجاء النور ، واخذ يطارد جحافل الظلام التي بدت وكأنها
بقايا لصوص تنوارى .

ولما اشرفت الشمس ، لم يجد الناس اثرا للصنم الحي ، بل
شاهدوا مكانه شجرة باسقة وارفة امتدت اغصانها حتى ظلت الساحة
الكبرى ، وارتفع ساقها حتى تجاوز اعمدة الهاتف والكهرباء . اما
قمتها فقد كانت تتجاوز اعلى الابنية .. انها شجرة الحرية .

عبد الرحمن البيك حلب

دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

قضايا جديدة في ادبنا الحديث للدكتور محمد مندور

في أزمة الثقافة المصرية لرجاء النقاش

نزار قباني شاعرا وانسانا لمحيي الدين صبحي

احس الشعب بخطورة الحالة ، ورأى انه من المفيد ان يدافع جميع
ابنائنه عن هذا الصنم الذي لم ينزل الاذى باحد ، خاصة وان محادثته
مع الزعيم قد كشفت امورا غامضة عن الرعية .. فاقنوا بان زعيمهم
سيء النية وانه اذا مافضى على هذا الصنم فمعنى ذلك انه سينتصر
بسهولة على كل المعارضين والمطالبين بالحرية . فما عثم الشعب حتى
قرر حمل السلاح والدفاع عن الصنم الحي .

وفي منتصف الليل ، امر الزعيم باخلاء الساحة الكبرى من الناس .
ولكن احدا ما لم ينفذ امره . عند ذلك نشبت معركة حامية تراجع على
اثرها الشعب ولجأ الى ضواحي المدينة لتنظيم صفوفه واعادة الكرة .
ولما تبلغ الزعيم نبا التمرد والمقاومة ، استشاط غضبا وعرف مدى
الصلة التي تربط الصنم مع رعيته .. فأسرع باصدار الاوامر الى
الكتائب المسلحة باطلاق النار . فلما فعلت ازداد دهش الزعيم اذ علم
بان الرصاص لم ينفذ بالصنم .

وسرعان مااستبدل الزعيم هذه الكتائب بكتائب اخرى ، وامرهما
برمي الصنم بالقنابل اليدوية ففعل افراد الكتائب ماامروا به ، ولكن
شظايا القنابل تطايرت بين ساقى العملاق وكأنها هباب ورق محروق
تداعيه موجات الهواء .

شاهد علماء التشريح والانسجة هذه المحاولات ، فاشتد تعجبهم من
صلابة انسجة الصنم ، واقترحوا ان تفجر القنابل في جهازه الهضمي ،
لاحتمال ضعف الانسجة هناك . وتطوع احد الجنود للقيام بالمهمة . فتسلق
جسد العملاق مستعينا بشعيرات جلده حتى بلغ فمه ، فسار على شفته
العليا ثم قذف القنبلة في الفم . وانفجرت القنبلة في المعدة ، ولكنها لم
تقض عليه ، بل ساعدت بقايا الطعام على الهضم .

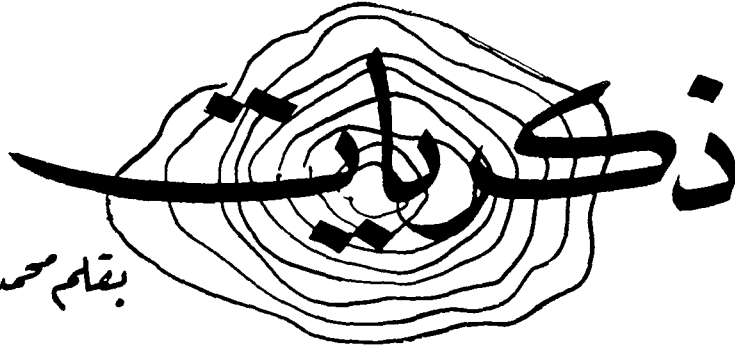
ازداد حنق الزعيم وغضبه حينما عرف ان العملاق لم يموت ، ودبت
في اوصاله مشاعر الخوف فيما اذا خاب في القضاء عليه . من اجل
ذلك خابر الاركان وامر المدفعية الثقيلة بضرب الصنم .

توجهت المدفعية الثقيلة نحو الساحة الكبرى في سرعة زائدة . وعند
الجانب الشرقي وقفت تصب نيرانها على العملاق ، ولكن العملاق ، شأنه
في المحاولات السابقة ، تجاهل مايدور حوله . الا انه في الجانب الاخر
من الساحة نشبت حرائق هددت المدينة بالزوال . فانصرفت فرق
الاطفاء الى محاصرة النيران ، ولكن النيران التهمت وزارة الدفاع بالذات
وكانها قطعة ورق تعرضت الى لسن اللهب .

وفي صبيحة اليوم التالي ، جاءت الزعيم مخابرة لاسلكية . من وزير
الدفاع ، يدعو الى منزله لوضع خطة جديدة . وذهب الزعيم الى
منزل وزير الدفاع على جناح السرعة . وهناك قررا ان تقوم اسلحة
المدركات بالهجوم على ساقى الصنم ثم يلي ذلك انقراض طائرات الفانبيرا
من الجو لقصف ظهره .

واعجبت الخطة الزعيم ، فتحركت الاليات رامية تحطيم ساقى العملاق
ولكن العملاق لم يتجاهل هذه المرة مايدور حوله . فلما سمع هدير
الدبابات داس احداها بقدمه فسحقها وجعلها في مثل دبابة طفل
مصنوعة من التلك . عندئذ ارتدت باقي الدبابات على اعقابها منعوة ..
واختفت ..

وحان الوقت لقصف الطائرات ، فحات حول الصنم في الجو ،
ولكنها لم ترهبه ، فقد بدت له وكأنها مجموعة ذباب لافيمة لها . ورأى
ان افضل طريقة لصدها هو بعث الاضطراب في الجو الهوائي . فاخذ
ينفخ في الهواء حتى اضطربت التيارات الهوائية وحدثت الارتفاعات



بقلم محمد الزعبي

بضاعة الاغبياء ، وتحريف غريزة يفف الانسان فيها على مستوى الدواب .
حسب .. ولم تكن نطمع من وراء هذا الدوران المستمر في دوامة الفكر
ان نصل الى اية نتيجة ، اذ ليس من المعقول ان يصل من لا يزال يحبو
ويزحف في عالم الجواب المظلم الى نتيجة لم يصل اليها قبله اشخاص
سبق ان وفقوا على اهدامهم كافلاطون وابن رشد وكانت وسجلوا بضع
خطى عنيدة جبارة ثم ما لبث ان لفهم الزمان بوشاحه وراح بهم الى
حيث لا ندرى .

يوم آخر ...

كعادتنا ، « خطى سدى » وافكار سود ، وبعض مقاطع من نزار قباني .
غير ان امرا جديدا سوف يحدث هذا اليوم ، وسيكون نقطة تحول في
حياتنا نحن الاثنين ، حيث سنستدير نحو الحياة بزواية مقدارها
(١٨٠) درجة ؟! يصل الان الى آذاننا ، زئير مظاهره طلابية يدوي في
القاعة الداخلية لكلية الحقوق فيف يوسف فجأة صاغفا بيده اليمنى
على جبهته .. ثم ينفجر :

- نحن نناقش هنا امورا سخيفة ، ونزرع الدروب والمهرات حكايات
لا تسمن ولا تفني ، بينما يزمجرون هناك ويعيشون الحياة بدمانهم واعابهم
وخلابهم انسجاما مع طبيعتهم ومع منطق الحياة السليمة .
فقاطعه : - ومع ذلك قد يكونون مخطئين .

فرد بنفس الحماس السابق :

- حين تكون الطبيعة والحياة خطأ فنحن لسنا الا جزءا من هذا الخطأ ،
نحن لسنا من الريح يا مريم ، وهذا الدماغ الذي نسفه به القيم الموجودة
لم ينزل اليانا من وراء المجرة ، نحن جزء من هذه الانسانية وهنـه
الامه وهذه الجامعة ، ومنتهى الفباء الا نكون الان بينهم نؤدي فريضة
السلف علينا .

- انا معك يا يوسف ، ولكن هل عرفت لماذا سيتظاهرون اليوم ؟
- المعيب اصلا يا مريم انك لا تعرفين ، وانني اكاد اجهل ، اليوم هو
هو (٢٩) تشرين ثاني .

ولما لم اكن مقتنعه تماما بفكرة الاشتراك بالمظاهرة فقد قلت له وكان
قد هدا قليلا :

- وهل تعتقد ان رفيعين سيفيضان شيئا الى هذه الكتل البشرية
المتدافقة ؟

ورأيته ينفض :

- ليست القضية قضية ارقام يا آنسة ، كما ان الوطنية ليست فرض

قبل قليل كنت افوم بتصفيف شعر طفلتنا « لينا » الاسود ، واسلمها
طريق المدرسة الواقعة على مسافة قريبة من بيتنا ، وذلك بعد ان وضعت
لها كنب يومها في محفظتها الانيفية المختصرة وطبعت على خدما الطري
قيلني المعنادة . وحين عادت الى غرفتي تذكرت ان علي ان اخرج لزوجي
« يوسف » من المكتبة ، كتاب « نقد العقل المطلق » لكاتب حيث
سيسنعين به في اعطاء درس يتعلق بهذا الموضوع في احد صفوف
المدرسة التي ما زال يشغل فيها وظيفة مدرس فلسفة منذ ثماني سنوات .
وبينما كنت ابحت عن الكتاب ننابتني هزة داخلية غامضة الملامح بلغت
ذروتها حين صار الكتاب بين يدي ، وسرت بخطي منلعمشة الى يوسف
احمل له الكتاب ، وكم كانت دهشتي حين رأيته بدوره يضطرب عندما
وقع بصره عليه ، ونظرة سابرة ارسلها الى فوق ، واختار ركزها بين
عيني ثم ربت على خدي الايمن بنجيب وخرج متسلما نفس الساراع
الذي سبمه فيه لينا قبل قليل .. وكان ما يزال يسير مطرفا حين
استدار به الطريق نحو اليمين وغاب عن ناظري . اما انا فقد اغلعت
الباب ببطء وسحبت خطاي بشاغل لاللتصق باول مقعد اراه مستسلما
لشعور اعجم غريب ، ما لبث ان بدأ يفصح عن حاله حين اخذت خيوط
من الماضي يعود تاريخها الى تسع سنوات ننسلل من مكائنها بكبرياء
لتلفني برفق ونقلني الى جنة عدننا حيث اعيتني مع « ذكريانا » لحظة
خصب . فالحق ان الزمان يستطيع ان يسدل ستره على معظم الحوادث
البشرية الفردية ويحذفها مرة واحدة الى غير رجعة كأنما لم تكن اصلا
غير ان هنالك حوادث عملاقة في حياة الكائن البشري يف كالتود في
وجه الزمان نحدي نهره ولياليه ، ودورانه على محوره بشكل مخيف :

ذاب يوم ...

انني الان في المسى الشمالي لحديقة جامعة دمشق ، والى جانبي
زميلي في الصف والاختصاص يوسف - اي حاليا والد لينا التي قد
تكون الان جالسة على مقعد ، لدرس - ، وكعادتنا بدانا نتساءل عن اخر
نقطة وصلنا اليها في اليوم السابق في نقاشنا حول الزمان والوجود
وبعد اخذ ورد ومماحكة بمعنى وبدون معنى اتفقتا على نقطة شرعنا
نلوكها بالسنتنا وخطانا ونلف حول عنقها حبل يومنا اللدن ... كنا
في السنة النهائية لفرع الفلسفة وعلم النفس وكان نجاحنا مضمونا
لتفوقنا النسبي على زملائنا ، وهذا ما كان يبرر انصرافنا النواصل
لمثل ذلك الجدل البيزنطي في نظر الزملاء ، اما الذي كان يجمع بيننا - انا
ويوسف - فقد كان وحدة المصيبة ، مصيبة وجود بدون ميرر ، وبدون
معنى، وبدون غاية، بينما الحب لم يكن يومها ليخطرلنا على بال، اذ كنا نعتبره

كفاية ، انها قضية دفاع عن النفس والكرامة والملك ! تصوري اليهود يدخلون هذه الجامعة الان ويستبيحونها وتصوري نفسك بالذات تصرخين كالسعادة بين فكي احدهم ومخالبه .

ولم اكن بحاجة الى مزيد من الشرح بعد ان تصورت نفسي فعلا فريسة بينهم ، ودون ان انبس بكلمة اخذت بيد يوسف ، وبقوة شدته صوب القاعة الداخلية لكلية الحقوق .

يوم ثالث ...

في صوتنا بحة « محبة » هذا النهار ، لاننا البارحة القينا بانفسنا في سيل المظاهرة العرم الجارف وانطلقنا بكل قوانا لنادي بحياة نالوث الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية وبسقوط نالوث الصهيونية ، والاستعمار والشيوعية ، تاركين الفلسفة واساطينها تنتظرنا في الممشى الشمالي يحرسها سيادة الزعيم الاوحد ورائد المطلق « العقل » . واليوم ونحن نتابع مضغ الخطى والحروف كنا نشعر ان اشياء جديدة تبرعم فسي داخلنا ، وان كلمات ذات لون جديد وطعم جديد تفرخ في حناجرنا ، فأحاديثنا اليوم في اي موضوع كان مفصوحا انها ليست اكثر من دريئة تخفي وراءها امرا يكاد يجهله كلانا .

يوم رابع ...

خلفا لمادتي افقت مبكرة هذا الصباح ، ورايتني ارتدي ملابس بسرعة واحمل دفتري وانزل في مدى طريق الجامعة الطويل . كان لا بد من ان اتسائل عن ما هية هذا الشيء الجديد الذي دخل حياتي منذ حوالي الشهر وما برح يكبر ويتزعزع ويتوضح . كنت اشعر انه يتحداني، وانه دخل حياتي ، رغم ارادتي ، ولذلك كثيرا ما شددت شفتي فيما بينهما وانا سائرة ، او انني اتوقف عن المشي في محاولة القاء القبض على ذيل فكرة ما تلبث ان تقيب ... اتكون هذه اعراض الحب يا ترى ؟ اعراض هذا السخف العجيب الذي يتساوى على صعيده السيد والعبد ، الغني والفقير ، الجاهل والبصري ؟ ولماذا يحب فلان فلانة ؟ الانها اجمل « من فوق التراب ولا فخر » ؟ اذن لماذا لا يحبها جميع الرجال ؟ .. وبينما تتلاطم في جمجمتي وتتصارع في ملامح وجهي هذه الافكار ، فتجعلني لا ارى احدا في الطريق ، اذ بصوت يوسف يتقنني :

- اراله مبكرة اليوم يا آنستي ؟

- بل انا الذي اراله هكذا .

- لا بأس .. فالهمم اننا ضبطنا بعضنا بالجرم المشهود ! ..

« يا للشيطان الذكي ، الذي يعرف كل شيء ! » قلت هذا في نفسي وتابعنا المسير صامتين نفكر في ذلك « الجرم المشهود » ..

حان موعد المحاضرة ، وبدأ زملاؤنا ينفضون من حولنا باتجاه قاعة الدرس بينما بقينا جالسين كأنما ستنمخض بعد قليل عن امر جلل تمهد له بعض حركاتنا ، وبعض ابتساماتنا . كان يوسف يغير قعدته بين الحين والحين ، ويضرب على المقعد الخشبي بجمع احدى يديه ، ثم ما لبث ان استدار نحوي تماما وهزني من كنفه هزة خفيفة وقال :

- عرفت طبعنا اننا كنا مخطئين يوم كنا ما نزال نسله مشكلة الحب ، وانه كان علينا ان نكون اكثر وعيا وفهما فلا نطلق احكاما على امور لم تشا لنا ظروفنا ان ندخل تجربتها مبكرين ... ارايت حين خرجنا لأول مرة من سردابنا يوم ذكرى تقسيم فلسطين واقتطاع اللواء والقينا بانفسنا بين المتظاهرين كيف شعرنا بشهوة اصيلة واصبحنا ننتظر اول مناسبة قومية اخرى كيما نعيش التجربة من جديد ؟

لم ارد عليه بشيء هذه المرة ، فقلبي كان ينبض بشدة ، ودموعي

كادت تشي بسكوني وربما قد احس هو بذلك الا انه تابع حديثه على نفس المستوى ، ثم ما لبث ان فاجاني :

- سنخطب بعضنا الليلة ... يا مريم .. ساخطبك ، وغدا سيكون اصبعك هذا محوطا بحلقة صفراء على عادة الناس . وعندما سأسلي للعداء بعد اليوم سأفطن ابدا الى ان اسمها هو « مريم » .

يوم خامس ...

لم اذهب الى الجامعة في الحصة الاولى هذا اليوم ، وحين وصلت متأخرة وجدته ينتظرني على الباب حيث بادرنى :

- لماذا تأخرت هذه المدة فلقد كانت المحاضرة مهمة ومفيدة .

- بل لماذا تنتظرني على الباب ، الانني غدوت خطيبتك ؟

- طبعنا فلقد اصبحت اخاف عليك ...

فانتمت انا مازحة :

- من نسمة الجنوب .

كنا كأنما نشاهد بعضنا لأول مرة ، حتى اننا لم نستطع ان نتطلع الى وجوه بعضنا كعادتنا منذ اربع سنوات ، وحين جلسنا على احد المقاعد كانت واضحة المسافة التي تفصل بيننا ، وبحركة لا شعورية رأته يمسك بيدي اليمنى ثم يضغطها بين يديه ، وكان يحاول ان يرفعها الى شفتيه حين مر ثلة من الطلاب امامنا ، فسحبتهما بنزق واخفيتهما تحت كتابي ، وغدوت ارتجف كأنما يدي كانت ستقطع او سنظل عالقة بين شفتيه .

يوم سادس ...

لم اكن قد نمت اطلاقا الليلة الماضية ، وقد قمت اكثر من مرة أشعل المصباح وانطلق الى يدي ببكاء عاني اجد فيها اثرا من يديه ، وكنت كالجنونة اضعها فوق الوسادة وانهاه عليها قبلا دونها الجحيم ، او اضمها الى صدري وانام فوقها مخافة ان تفلت مني أو يطير منها خاتم سعادتني البكر . وحين بزغت الشمس بعد عناد كاد يقتلني ، كنت اتناول طرف الشارع كالحمومة باحثة عن نبيي الجديد ... نعم كنا ندق اخر مسمار في نعش الفلسفة والعقل ، ونطلق كل ما وراء الطبيعة من اكاذيب حين افقنا من اغماء القبة الاولى ، التي ما زال طعمها تحت لساني يتحدى تسع سنوات مضت ، والتي غرست في كياني الحياة وجرتني من اعصابي الى الطريق التي وجدتني فيها انهض مبكرة كل يوم لاصفف شعر ثمرة قبلتنا الاولى ، بل ثمرة المظاهرة الاولى التي غرست في دماننا بكرة الحياة السليمة ، واضع لها كتب يومها في محفظتها الانيقة المختصرة ، واسلمها طريق المدرسة الواقعة على مسافة قريبة من بيتنا .

محمد الزعبي

درعا

الشعر العربي في المهجر الامريكي

دراسة فنية

بقلم

وديع ديب

السر ٢٠٠ غرش لبناني

في بيته !

قصة لأنيست هنفراي
ترجمة هوج طرابيشي

الجندى

ذهب كريس الى الحرب بعد تخرجه من معهد المبتودين بكنساس . وتظهره صورة فوتوغرافية بين زملائه الاكليريكيين ، وهم يحملون جميعا القبة العالية . وكان قد انضم الى رماة البحرية عام ١٩١٧ ، ولم يعد الى الولايات المتحدة الا عندما عادت الفرقة الثانية من « الرين » في عام ١٩١٩ .

وتظهره صورة اخرى وهو على « الرين » بصحبة شابتين المائيتين واحد العرفاء . ويبدو فيها كريس والعريف كبيرين جدا بالنسبة لبزيتهم اما الالائتان فقير جميلتين . ولا يظهر « الرين » على الصورة . في الوقت الذي عاد فيه كريس الى مسقط رأسه باوكلاهوما ، كانت الحماسة التي يستقبل بها الإبطال قد اصبحت مجرد ذكرى . لقد عاد متأخرا جدا . اما زملاؤه الذين سيقوا الى الخدمة فقد استقبلوا جميعا بحرارة عند عودتهم . واجتاحت البلد موجة عارمة من الهستيريا . ولم يتأخر رد الفعل . فقد بدا انهم يجدون كريس سخيلا الى حد ما اذ يعود متأخرا جدا ، بعد سنوات من انتهاء الحرب .

وفي البدء رفض كريس - الذي كان في غابات « بللو » وفي « سواسون » و « شمبانيا » و « سان ميل » و « ارغون » - ان يتحدث عن الحرب . ولكنه ، بعد فترة ، احس بحاجة للتحدث عنها ، الا ان ما من انسان اراد الاصفاء اليه . لقد استمع الناس الى كثير ممن قصص الفظاعة حتى ما عادت الاحداث الحقيقية تثيرهم . وتبين لكريس ان عليه ان يكذب كي يستمعوا اليه . وعندما فعل ذلك مرتين ، نسر هو ايضا من الحرب وقصص الحرب . وتملكه اشمزاز ، بسبب كذبه من كل ما جرى له في الحرب . فكل الظروف التي كان يمكن ان تبعث فيه احساسا من الهدوء والاحترام - تلك الظروف البعيدة الان التي قام فيها بشكل بسيط وطبيعي بالعمل الوحيد الممكن لانسان في الوقت الذي لم يكن من شيء يجبره على ذلك - قد فقدت معناها وقيمتها ، بل فقدت وجودها نفسه .

وبالفعل كانت اكاذيبه بسيطة ، فحسب لنفسه امورا راما اخرون او قاموا بها او سمعوها ، وأورد بعض الاحداث المريبة والمألوفة عن الجنود كاشياء اكيدة . بل ولم تثر اكاذيبه اي احساس في قاعة البليارد . فاصدقاؤه ومعارفه الذين استمعوا الى اقاصيص مفصلة عن الالمان الذين وجدوا مقيدون بالسلاسل الى رشاشاتهم في غابات « الارغون » والذين لا يستطيعون ان يتصوروا - وقد اعمتهم عنصرتهم - المقاتلين الالمان الا وهم مقيدون ، لم يتأثروا اطلاقا بحكاياته .

واشماز كريس من تجربته في الكذب والمبالغة ، وكان من حين الى حين ، عندما يلتقي برجل اخر حارب حقا فيشرتران بضع دقائق في غرفة الملابس ، اثناء احدى السهرات مثلا ، يتخذ غريزيا موقف الجندي القديم بين الجنود الاخرين ، موقف الانسان الذي امضى

حياته وهو خائف ، خائف الى حد مهيل . وهكذا فقد كل شيء . كان ذلك في اواخر الصيف . كان ينام الى ساعة متأخرة ، ثم يستيقظ لينهض الى المدينة ويبحث عن كتاب في المكتبة ، ثم يتناول غداءه في البيت ثم يقرأ على درجات المنزل الى ان يكتفي ، ثم يذهب الى المدينة من جديد ليمضي ساعات النهار الاكثر قيظا في قاعة البليارد القاتمة الرطبة لقد كان يحب لعب البليارد كثيرا .

وعند المساء كان يتعلم عزف الكلارينيت ، ثم يتسكع في المدينة ، ثم يقرأ وينام . وكان دائما ، عند اختيه الصغيرتين ، بطلا . ولو شاء لقدعت له والدته الفطور في فراشه . كانت دائما تدخل غرفته عندما يكون مضطجعا وتطلب اليه ان يروي قصصا عن الحرب ، ولكن انتباهها كان ينتشلت دائما . ولم يكن والده يبالي بكل ذلك .

وقبل ان يذهب كريس الى الحرب ، لم يكن مسموحا له بقيادة سيارة العائلة . كان والده يعمل في وكالة عقارية ، ويرغب دائما ان تكون السيارة تحت يده عند اضطراره لنقل العملاء الى الريف ليريهم ملكا او مزرعة . وكانت السيارة تقف دائما امام بناية « البنك الوطني الاول » حيث كان لوالده مكتب في الطابق الثاني . والان وقد انتهت الحرب فالسيارة مازال نفسها .

لم يتبدل شيء في المدينة باستثناء الفتيات الصغيرات اللواتي كبرن . لكنهن كن يعشن في عالم معقد جدا من تحالفات قد تحددت ومن تنافسات مستغلقة ، بحيث ان كريس لم يستشعر في نفسه القوة والشجاعة ليدخل فيه . الا انه كان يحب ان ينظر اليهن . كان هناك كثير من الفتيات الجميلات . وكان لجميعهن تقريبا شعر قصير . وقبل ذهابه ، كانت الفتيات الصغيرات فقط او الفتيات المتساهلات يتزين هكذا . وكن جميعهن يرتدين صداري وقمصانا بيافة مستديرة . وكان ذلك يكاد يكون زيا مرحدا . وكان يحب ، وهو على الدرجات ، ان ينظر اليهن وهن يسرن على الجانب الاخر من الشارع . كان يحب رؤيتهن يمشين تحت ظل الاشجار . وكان يحب اعناقهن المدورة من فوق صداريهن . كان يحب جواربهن الحريية واحذيتهم بكعوبها المسطحة . وكان يحب شعرهن القصير ومشيتهن .

وكانت لا تجتذبه ابدا عندما يكون في المدينة . انهن ماكن ليعجبينه عندما يشاهدن في قاعة الشاي اليوناني . في الحقيقة ، انه ماكان ليشتهيهن . لقد كن ، في داخلهن ، معقدات جدا . كان الامر يتعلق بشيء اخر . كان يشتهي ، بشكل غامض ، صديقة ما ، ولكنه ماكان ليبتل جهده ليحصل عليها . لقد كان يود لو كانت له احداهن ، ولكنه لم يكن راغبا في ان يمضي كثيرا من الوقت للفوز بها . لم يكن راغبا في اطلاق نفسه بالمكانة والدبلوماسية . لم يكن ، باي ثمن ، راغبا في المازلة . لم يكن راغبا في ان يكذب من جديد ، فما كان ذلك ليستحق العناء .

كان يرفض ايضا النتائج . كان يرفضها نهائيا . كان راغبا في ان يعيش دون نتائج . ولم يكن اصلا يشعر بحاجة حقيقية الى صديقة . لقد علمه الجيش ذلك . كان الظن شائعا بأنه لا يمكن الاستغناء عن فتاة . كان جميع الناس تقريبا يعتقدون ذلك . لكن ذلك باطل . ما من احد بحاجة الى المرأة .

وكان هذا اسخف ما في الامر . فمن جهة كان احد الشبان يشيع ان الفتيات لا يعنين شيئا بالنسبة اليه وانه لا يفكر فيهن ابدا وانهن لا يثرن فيه اية حرارة . ثم يتباهى اخر بأنه لا يمكنه الاستغناء عنهن ، مؤكدا انه بحاجة اليهن دائما وانه بحاجة الى فتاة في فراشه كل الليالي . كل ذلك لم يكن الا اكاذيب . اكاذيب في الحالة الاولى وفي الثانية . ليست هناك حاجة الى الفتيات اذا لم يفكر بهن . لقد تعلم ذلك في الجيش ، ثم ، عاجلا ام آجلا ، ينتهي الامر بالحصول على احدهن . ان المرء عندما يكون ناضجا حقا بالنسبة للمرأة ، يعثر دائما على احدهن . عاجلا . ام آجلا يتم ذلك دون حاجة الى التفكير فيه . لقد تعلم كل ذلك في الجيش .

والان لقد كان يرغب كثيرا لو كانت له فتاة بشرط ان تأتي اليه دون كلام . لكن الامر كان هناء في بيته ، معقدا جدا . كان مدركا ان التجربة الماضية لا تتجدد ، وان من الصعب الاعتماد اليها . وهذا ما كانت تمتاز به الفرنسيات والالمانيات . فكل هذه الاحاديث غير مجدية معهن . لم يكن الكلام ممكنا ولم تكن هناك حاجة اليه . كان كل شيء بسيطا وكان التفاهم جيدا . وفكر اولا بفرنسا ثم بألمانيا . وبالنتيجة كان يفضل ألمانيا . لم يكن راغبا في مغادرة ألمانيا . لم يكن راغبا في العودة الى بيته . الا ان الامر قد انتهى به الى العودة . وها هو الان هنا من جديد ، جالسا على الدرجات .

كان يحب الفتيات اللواتي يجتزن الرصيف المقابل ولكن العالم الذي كن يعشن فيه لم يكن عااله . كان يفضلهن من نواحي كثيرة على الفرنسيات والالمانيات . كان يتمنى لو كانت له احدهن . ولكن ذلك لا يستحق عناء المحاولة . لقد كن بمجموعتهن جميلات ، وكان يحبهن هكذا . كان ذلك رائعا . ولكنه ما كان ليندفع في المباهاة . لم تكن هناك واحدة يرغب فيها الى ذلك الحد . الا انه كان يجد لذة في النظر اليهن جميعا . كلا . ان ذلك لا يستحق العناء . ليس في الوقت الذي تصبح فيه الحياة محتملة من جديد .

كان جالسا على الدرجات يقرأ كتابا عن الحرب . كان مؤلفا تاريخيا يجد فيه من جديد قصة المعارك التي اشترك فيها . ولم يستهوه من قبل كتاب الى هذه الدرجة . وتمنى على كل حال لو وجد فيه خرائط اكثر . كان يقلب صفحات كتابه ، وهو سعيد بقراءة قصص مفيدة حقا وموضحة بخرائط مفصلة . والان انه يدرك كيف كانت الحرب فعليا . لقد كان جنديا طيبا . وهنا كان كل الخلاف .

وفي صباح يوم ، بعد شهر من عودته تقريبا ، دخلت والدته الى غرفته وجلست على السرير وهي تلفف مژرها . وقالت :

— هارولد ! لقد تحدثت مع والدك البارحة مساء . انه لا يطلب اكثر من ان تأخذ السيارة للخروج مساء .

— ايه ؟ قالها كريس وهو لم يستيقظ جيدا بعد . أخذ السيارة ؟ . نعم ؟

— نعم . ان اباك يعتقد منذ بعض الوقت انك تستطيع ان تأخذ السيارة للخروج مساء ، عندما يحلو لك ذلك . . ولكننا لم نتكلم في هذا

الامر الا البارحة مساء .

قال كريس :

— انني اراهن بانك انت التي ازعجتني للحصول على ذلك .

— ابدا . ان اباك هو الذي عرض القضية .

— حقا ؟ لكنني اراهن بانك انت التي ازعجتني .

وجلست كريس في سريره .

وسألته والدته :

— تريد النزول للغطور ، هارولد ؟

فاجاب كريس :

— عندما انتهني من ارتداء ثيابي .

وذهبت والدته . وبينما كان يغتسل ويحلق ويلبس للنزول الى قاعة الطعام لتناول فطوره ، كان يسمع طقطقة شيء يقلى ، صادرة من المطبخ .

وعندما جلس الى المائدة حملت اليه اخته البريد . وقالت :

— حسنا ! هاري ! ايها الرموط العجوز ! لماذا استيقظت ؟

وتطلع كريس اليها . كان يحبها كثيرا . كانت الماثورة عنده .

— هل قرأت الصحيفة ؟

وناولته « نجمة كنساس سيتي » فنزع عنها لفافتها وفتح الصفحة الرياضية ثم طوى الصحيفة واسندها الى ابريق الماء مثبتا اياها بصحفته بشكل يستطيع فيه القراءة وهو يأكل .

وظهرت والدته امام باب المطبخ ، وقالت :

— هارولد ! هارولد ! ارجوك لا تدعك الصحيفة . ان والدك لا يستطيع قراءتها اذا كانت مدعوك .

فقال كريس :

— انني لادعكها .

وجلست اخته الى المائدة وتطلعت اليه وهو يقرأ .

— سنلعب البيسبول في ساحة المدرسة بعد ظهر اليوم .

وانا التي ستقذف بالكرة .

فقال كريس :

— رائع . وهل تشعرين انك كفؤ لها ؟

— انني اقدف افضل من عدة صبيان مجتمعين . انني اقول لهم كل ما علمتني . ان الفتيات الاخريات لا يساوين شيئا كبيرا .

— آه . حسنا . قال كريس .

— انني اقول لهم انك فتاي . ألسنت فتاي ، هاري ؟

— وكيف ؟

— تعتقد انه لا يمكن ان يكون الاخ حبيبا مجرد انه اخ ؟

— لا ادري .

— لا . انك تدري . قل لي هاري : الا يمكنك ان تكون فتاي لو كنت اكبر سنا ولو كنت تريد حقا ؟

— بالتأكيد . انك من الان صديقتي .

— أحقا انا صديقتك ؟

— بدون شك .

— اتحبنى ؟

— هه

— هل ستحبنى دائما ؟

— بالتأكيد .

— هل تأتي لمشاهدتي وانا لعب البيسبول ؟

- ربما .

- اواه ! هاري ! انك لانجيني . لو كنت تحبني لرغبت في المجيء
لشاهدتي وانا لعب البيسبول .
وخرجت والدته كريس من المطبخ ، ودخلت الى غرفة الطعام . كانت
تحمل صحيفة فيها بيضتان بشحم الخنزير ، واخرى فيها معجنات .
وقالت :

- دعينا لحظة ، هيلين . اريد ان اقول كلمة لهارولد .
ووضعت البيضتين امامه وجاءت باناء فيه شراب القيقب للمعجنات
ثم جلست بمواجهة كريس . وقالت :
- اريد لو تترك هذه الصحيفة لحظة . هارولد !
وخفض كريس الصحيفة ثم طواها .
وسالته والدته وهي ترفع نظارتها :
- هل قررت ماتريد ان تعمل ؟
فقال كريس :
- كلا .

- الا تعتقد انه قد حان الوقت لذلك ؟
كانت تقول ذلك بلطف . و كانت تبدو قلقة .
وقال كريس :
- لم افكر في ذلك بعد .
فقال والدته :
- ان الله يحتفظ بعمل لكل منا على الارض . وليس هناك مكان
للعاطلين في مملكته .

واحس كريس بانه متضايق وبانه صعب الانقياد ، كما هو الامر دائما .
وتابعت والدته :
- انني قلقة جدا من اجلك ، هارولد . وانا اعرف انك قد تعرضت
لكثير من التجارب واعرف كم الرجال هم ضعفاء . انني اعرف ان جدك
العزیز - ابي نفسه - قد روى لنا قصصا عن الحرب الاهلية ، وقد
صليت لاجلك . انني اصلي آتاء النهار من اجلك يا هارولد .
كان كريس يتطلع الى شحم الخنزير وهو يتجمد فسي صفحته .
وتابعت والدته :

- ان والدك قلق ايضا . انه يعتقد ان لاطموح عندك ، ان لا هدف
محددا لك في الحياة . لقد وجد شارلي سيمونز ، وهو بمحرك ، مركزا
محترما جدا ، وسيتزوج قريبا . وقد وجد جميع الشبان وظيفة . انهم
يريدون الوصول الى شيء ما . ويمكن من الان التأكد من ان شبانا
كشارتي سيمونز سيصبحون قريبا نافعين للوطن .
ولم ينطق كريس بحرف .
وقالت له والدته :

- لانعاند بهذا الشكل ، هارولد . انت تعلم اننا نحبك . وانني لا اقول
لك حقيقة الامر الا لخيرك فقط . ان اباك لا يريد التعدي على حريتك .
انه يعتقد انه يجب ان تحصل على الاذن بقيادة السيارة . واذا ما اردت
ان تأخذ احدى فتياتنا اللطيفات للنزهة فاننا سنسر لذلك . نريدك
ان تلهو . لكن يجب ان تبدأ العمل . هارولد ! ان اباك يترك لك
الحرية في هذا الموضوع . كل المهن شريفة ، كما يقول . ولكن يجب
ان تبدأ باحداها . لقد طلب الي ان اكلمك هذا الصباح ، وتستطيع الان
ان تذهب لمقابلته في مكتبه .

فقال كريس :

- اهذا كل شيء ؟

- نعم . الا تحب امك يا ولدي العزيز ؟
- لا .

كانت والدته تتطلع اليه وهي جالسة في الجانب الاخر من المائدة ،
والتمت عيناها واخذت في البكاء .
وقال كريس :

- انني لا احب احدا .
لكن لماذا اجابها هكذا . انه لم يكن يستطيع ان يشرح لها ،
لا يستطيع ان يفهمها .
كانت تلك حماقة من جانبه . لقد نجح فقط في جرحها . واقترب
منها واخذها من ذراعها . كانت تبكي ، ورأسها بين يديها .
وقال :

- لم اقصد ان اقول ذلك . لقد كنت خارجا عن نفسي . هذا كل
شيء . لم اكن اريد القول بانني لا احبك .
كانت والدته ماتزال تبكي .
ووضع كريس ذراعه على كتفها :
- الا تستطيعين تصديقي ، قولي ماما ؟
وهزت والدته برأسها .
- ماما ، ارجوك ، صديقي !
- نعم ، قالت الام بصوت متقطع . ورفعت عينيها اليه :
انني اصدقك ، هارولد .
وقبل كريس شعرها . وادارت وجهها نحوه . وقالت :
- انني امك . لقد حملتك دائما على صدري عندما كنت طفلا صغيرا .
وشعر كريس بضيق وبنوع من الغثيان .
- اعرف ذلك ، ماما . سأحاول ان اكون ابنا طيبا .
وسالته والدته :
- هل تريد ان تركع وتصلي معي ، هارولد ؟
وركعا بحذاء مائدة قاعة الطعام وبدأت الام وكريس بالصلاة .
- دورك الان ، هارولد .
فقال كريس :
- لا أستطيع .
- حاول ، هارولد .
- لا أستطيع .
- هل تريد ان اصلي عنك ؟
- نعم .

فصلت والدته حينئذ عنه ، وقاما . وقبل كريس امه وخرج مسن
المنزل . لقد حاول كثيرا الا يعقد حياته . لكن هذا الفصل لم يثره اطلاقا
لقد نملكه فقط شفقة على والدته التي اضطرت الى الكذب . سينطلق
الى كنساس سيتي ، وسيجد فيها عملا ، وستسر بذلك . وقد لا يتجنب
فصلا اخيرا قبل رحيله . لكنه لن يذهب الى مكتب والده . انه
سيهرب هذه المرة . لقد كان يريد حياة بلا قصص . كان لابد له من
ذلك ، ولكن كل شيء ، قد انتهى الان على كل حال . وسيذهب لمشاهدة
هيلين وهي تلعب البيسبول في ساحة المدرسة .

مناقشات

حول « العروض العربي بين الكم والارتكاز »

بقلم ملك عبد العزيز

ليه ، ولكن ، من أي شيء تتكون الاسباب والاولاد ؟ ألم يشرح الخليل مم تتكون حتى يفهم الناس اصطلاحه ؟ ألم يشرحها بأنها تتكون من حركتين فساكن مثلاً او حركتين يفرقهما ساكن او غير ذلك ؟ وليس يعني هذا رجوعاً الى الحركات والسكنات التي سارت عليها دراسة العروض حتى اليوم ؟ وهذه الاسباب والاولاد التي قال بها الخليل الا تتكون من مقاطع ؟ فهل ترانا خرجنا عن جادة الصواب اذا قلنا ان المقطع هو وحدة الكلام ، وان الخليل لم يهتد اليه لانه بالفعل لم يذكره . وهل يظن الكاتب الفاضل اننا ننتقص من قدر الخليل حين نقول هذا القول ؟ . نحن ونحترم الخليل ، ونحترم كل مقام به القدماء من بحوث في اللغة وهذه هي الروح (١) التي كتب بها الدكتور مندور كافة بحونه في العروض العربي ، ولكن ليس معنى ذلك ان نقدسهم ونقول « ليس في الامكان ابداع مما كان » لان التفكير بهذه الطريقة هو الذي اوقفنا في عصور التخلف الماضية التي ماتت فيها اللغة ومات التفكير وانتشرت الخرافات ، بعد ان اففل باب الاجتهاد ، وتحكيم العقل في استنباط الاحكام التي تناسب روح العصر .

واذا كان صاحب العقد الفريد قد اهتدى حقاً الى بعض ما اهتدى اليه الدكتور مندور في بحثه بكلمة ألغاهها عرضاً في احد كتبه ، فهل معنى هذا انه كان عليه ان يكف عن استخدام وسائل العلم الحديثة للتثبت مما قاله القدماء . وهل اذا كان القدماء قد قاسوا المسافات بالنظر او استمعوا الى القلب بالاذن الا يحق لنا اليوم ان نستخدم الوسائل والاجهزة الكهربائية الحديثة ؟ ... على ان الخليل نفسه وهو أبو العروض لم يذكر ان موسيقى الشعر لاتضطرب الا اذا حدث تغيير في الالوان « او النواة الموسيقية » كما ذكر الدكتور مندور وهذا الرأي هو خلاصة بحثه . بل اغلب الظن ان احداً لم يكن ليلفت الى ما قاله ابن عبد ربه لولالبحت العلمي الذي قام به الدكتور مندور ، لان ابن عبد ربه لم يكن باحثاً منهجياً ، بل كان يلقي ملاحظات متفرقة . ولو كان التفات الى هذه الملاحظة احد من قبل لدخلت في صلب علم العروض ولتداولتها كتبه .

على ان الاستاذ الحساني يمعن في خطئه حين يحمله اعتداده وفرحته بنفسه على الوقوع في اخطاء ماكان اغناه عنها . فهو يجزم في ثقة يحسد عليها بان اصطلاح النواة الموسيقية ليس الا سرقة لاصطلاح الوند المجموع ولكن الدكتور مندور يقول ان النواة الموسيقية - التي ينكسر الشعر اذا لحقها تغير - تتكون من مقطع طويل ومقطع قصير متجاورين ، وعلى المقطع الطويل يقع الارتكاز وكلمة « متجاورين » لاعني لغوياً ان يكون المقطع الطويل قبل القصير بل قد يجيء بعده ، وبذلك لا تكون النواة الموسيقية هي الوند المجموع كما جزم السيد الحساني ، بل قد تكون الوند المفروق ايضاً .

كما انه ادعى ان الدكتور مندور قد « انخدع بما يبعثه اطلاق

أحب اولاً ان اقرر انني - ككثر من يكتبون الشعر - لاصبر على بحوث العروض ، وان كنت قد صبرت عليها مرة في مقالي « حول اوزان الشعر الحر » فاني اضيق بها في اكثر الاحيان . ولكني رغم ذلك رأيتني في حاجة الى ان اعلق على مقال الاستاذ الحساني حسن عبيد الله المنشور في عدد ايلول تعليقاً قصيراً .

واول مالفت نظري هو اللهجة الجديدة التي كتب بها الاستاذ الحساني مقاله الاخير ، ففي مقاله الاول « نازك وعروض الشعر الحر » كان يخاطب نازك في كثير من الادب فيقول « فهل تقبل الشاعرة المعروفة من كاتب غير معروف ان يقول لها : نازك ، ان في شعرك غلطة » ولعل هذا الاسلوب المهذب هو الذي شجعني على مناقشة ارائه . فاذا به في مقاله الاخير يتحدث عن احد اساتذة الجيل الكبار بلهجة عجيبة لاتحمل ماينبغي من احترام وتقدير ، فيقول « والمقطع هو الداهية الكبرى » التي تسلطت على عقل الدكتور مندور « كما يقول « ولكنه في غمرة « حمى الاختراع » والتجديد وتوليد النظريات « بالمافية » يرفض ان يبحث .» وامثال تلك العبارات .

ولكني اقول للاستاذ الحساني حسن عبد الله الطالب بدار العلوم : انتظر قليلاً حتى تتعلم ماتعلمه الدكتور مندور ، وتدرس مادرسه ، وتتفق ايامك ولياليك في دراسة اللغات القديمة والحديثة وفقها ، ثم تحدث بعد ذلك بما يميله عليك ادبك الجميل وذوقك المرفه . ولعل هذه الطريقة الجديدة في المناقشة قد حملته على كثير من التسرع وعدم الدقة ، فانساق في فرحة غامرة يلقي الاحكام ويسفه المعارفين .

لقد ادعشني ايضاً تنصلي من انه في مقاله السابق كان يستخدم الطريقة الحديثة كما شرحها الدكتور مندور في « الميزان الجديد » في مناقشته لموسيقى الشعر ، كاني قد نسبت اليه جريمة !! مع انه جعل هذا الكتاب احد مراجعه « هامش ص ٥٢ عدد حزيران » . كما انه خلال هذا المقال اكثر من استخدام كلمات « المقطع الطويل والمفتوح والمقلق والمقطع القصير والكم والارتكاز والتفويض » وهي كلها اصطلاحات لم ترد كلها او بعضها في كتاب بالعربية الا في كتب الدكتور مندور او الدكتور ابراهيم انيس . او لعلها وردت في كتب الخليل ونحن لاندرى!! واظنني لست بحاجة الى ان اعيد نقل النصوص التي وردت فيها هذه الالفاظ فهي تملأ صفحات ٥٢ ، ٥٣ من عدد حزيران .

بل ان كل الابيات التي وزنها السيد الباحث في هذا المقال ، قد وزنها بطريقة المقطع الحديثة ايضاً ، ولم يزنها بطريقة الالوان والاسباب التي نسبها للخليل ، ولا بطريقة الساكن والمتحرك التي جرى عليها وزن الشعر العربي في كافة عصوره حتى اليوم ، وهذا فقط ماكنت اعنيه بقولي انه يتبع الطريقة الحديثة . اما انني كنت اسند اليه ايمانه بنظرية الدكتور مندور في الكم والارتكاز فذلك شرف لم يخطر ببالي ان يناله الدكتور مندور من السيد الباحث الكبير !!!

ويقول السيد الباحث ان الخليل قسم الكلام او الشعر الى الالوان والاسباب وانه لذلك لم يكن بحاجة الى ان يتحدث عن المقطع او يشير

(١) كتب الدكتور مندور في كتابه « الميزان الجديد » ص ١٨٨ : « ليس من شك في ان الخليل بن احمد كان رجلاً عبقرياً نفخر به مع من نفخر من اجداد ، ولكن العلم لايعرف الوقوف الخ ... »

الثانوي ومما تحدثه الحروف العادية الخالية من الارتكاز .
وبعد ، فلن استقصي كل ماقاله الاستاذ الحساني وأملته عليه حماسة
الشباب وفرحته ، فحسبي مذكرت ، ولكنني سأشير الى مسالتين
صغيرتين تتعلقان بشخصي الضعيف . فقد ذكر الاستاذ الباحث انني
أبرر استخدامي لمفاعيله في بحر الرجز بأنها عودة لكم التفعيلة الاصلية
فلماذا إذن لم استخدمها بنفسها . ولكنني اقول انني لم ابرره بذلك بل
بررته بحاجات نفسية هي التي تدفع الشعراء كافة الى استخدام
التفعيلات المزحفة بدلا من الاصلية ، ولكنني أضفت ان الاذن لاتنبو عنها
لانها من ناحية تساوي التفعيلة الاصلية في الكم ، ومن ناحية اخرى
وهذا هو الاهم انها اقرب الى الاصل وزينا من كثير من زحافات . وفي
الحق انني حين استخدمتها لم تكن في اذني مفاعيل بل متفعلن اي تشديد
اللام وهي كما نرى قريبة جدا من متفعلن لولا الثقل الذي يلحقها ، وهي
اقرب من متفعلن وكذلك فعلت التفعيلتين المزحفتين المعترف بهما .
كما ان الاستاذ الذي ينكر الحاجات النفسية للشاعر يقول في
مفتاح مقاله « ان التجديد في موسيقى الشعر لا يقتصر لذاته ، ولكن
المقصود منه قبل كل شيء فتح افاق جديدة للتعبير ، على انني لم أؤيد
كل تجديد او خروج على القواعد الا اذا استند الى اصول موسيقية
ونفسية عامة يمكن اقرارها .

وأخيرا فاني أبشر الاستاذ الحساني بانني لن اعود لمناقشة مسائل
العروض ، لاوفر وقتي وجهدي لاشياء اجدى علي واقرب الى نفسي
وان كنت اتمنى على الله ان يتحقق ماتمناه الاستاذ ساخرا من ان يدخله
في زمرة الشعراء ليستطيع ان يفهم حاجاتهم النفسية ، فاني اعتقد
اعتقادا صادقا ان اي ناقد حقيقي لا بد ان يكون قد عانى تجربة الاتانج

يصدر هذا الشهر

الآكلون لحومهم

مشرحة للكاتب العربي

مطاع صفدي

وهي اول جزء من سلسلة (الكتاب
الازرق) التي تتناول مشكلة اثباتية
الانسان العربي فكريا وفنيا ووجوديا

وتصدرها دار (الفكر المعاصر) بدمشق

ص.ب. ٢٦٦٨

الاحكام من الاعتداد بالنفس .. فيقول ان نواته تلك تتكون في الشعر
العربي « اطلاقا » من مقطع طويل ومقطع قصير متجاورين » .
ولكن لسوء الحظ ان الدكتور مندور كان اقرب الى تواضع العلماء
وتخرجهم من تلميذه النجيب . فهو يصرح (١) تصرحا واضحا لا لبس
فيه بانه اجري تجاربه على ثلاثة ابهر من الشعر العربي فحسب بمعمل
لاصوات بباريس وهذه الابحر هي : الطويل والبسيط والوافر . وهو
لم يعمم نتائج تجاربه على الشعر العربي كله ، بل انه كان يتوق الى ان يتم
بحته بعد عودته من بعثته وكان هذا امله حين كنا تلاميذ له في كلية
الاداب ، لولا ان الكلية لم تجد المال الكافي في ذلك الوقت لاستحضار
معمل للاصوات ، ولعل الاستاذ الحساني وهو طالب نابه بدار العلوم
ومهتم بالعروض ان تتج له كليته دراسة عليا في هذا الفن مصحوبة ببعثة
في دراسة فقه اللغة ، وان ترسله ليجري تجاربه في معمل للاصوات
بالخارج ، او ذلك الذي سمعت انه قد احضر مؤخرا بجامعة الاسكندرية
فلعله عندئذ يتم جهود من سبقوه بدلا من ان يحاول تحطيمها ، ولعله يقدر
جهادهم ، ولعلنا عندئذ نستطيع ان نستمع اليه في تقدير حتى اذا خلا
له ان يعارضهم .

على ان هذين الخطأين اللذين وقع فيهما الاستاذ الباحث قد جعلاه
يرى ان بحر الخب خال من النواة الموسيقية في مثل قول شوقي :
« مضناك جفاه مرقده » لان التفعيلتين الاولى والثالثة لا تحتويان على
تلك النواة « كما فهمها الباحث » . ورغم ان بحر الخب ليس من
تلك الابحر التي درسها الدكتور مندور ، فان الاستاذ الحساني لو تأمل
التفعيلتين اللتين اشار اليهما لوجد بهما نواتين موسيقيتين هما « ناك
في مضناك » - باعتبار الهاء مشبعة الضم - في مرقده « ذلك ان
الدكتور مندور كما سبق ان اسلفنا قال ان النواة تتكون من مقطعين
متجاورين احدهما طويل والاخر قصير ولم يحدد ايها يسبق الاخر ، لان
كلا من الحالتين صالحة لتكوين النواة الموسيقية .

ثم ان الاستاذ الحساني تجرئه الحماسة فيقول « ان الارتكاز وعدم
الارتكاز طريقة عرجاء لادراك الارتفاع في الشعر العربي » ثم يعود فيناقض
نفسه بعد سطر واحد حين ينقل قول الدكتور ابراهيم انيس عن طبيعة
الانشاد فيقول « مراعاة التفعيلات في الوزن واعطاء النبر « اي الارتكاز »
حقه من الضبط ومراعاة النغمة الموسيقية » .

اما ممارسة الاستاذ الحساني في قواعد الارتكاز اللغوية فامر من الصعب
مناقشته فيه ، لانه من السهل ان ينطق الكلمة بالطريقة التي تعجبه
هو ثم يقول هكذا ينطقها الناس . ومن هذا قوله ان الارتكاز على ميم
« مسامير » لايزيد على الارتكاز على ميم « مسمير » . كما انه يظن ان
هناك تناقضا في قول الدكتور مندور ان الارتكاز لايقع الا على المقطع
الطويل في حين انه يعترف بوقوعه على الميم في مسمير . ونسي ان قول
الدكتور مندور الاول ينصب على الارتكاز في الشعر فحسب ، وهو
الذي لا يكون الا على المقطع الطويل . اما في الكلام العادي فمن الجائز
ان يكون على مقطع قصير لان بعض الكلمات قد تخلو من اي مقطع طويل،
وان كان بالبدهة ان يكون ارتكازيا اساسيا في كلمة مثل مسمير بل
ارتكازا ثانويا ، لان الارتكاز الاساسي سيكون على المقطع الطويل « م » ،
وكل هذه الحقائق تسجلها الرسوم الكهربائية التي تنتج عن الذبذبات
الصوتية امام اجهزة الاصوات ، فالذبذبة القوية الناتجة عن الارتكاز
الاساسي تحدث في اوراق التسجيل خطا أطول وأعمق مما يحدثه الارتكاز

(١) ص ١٩١ من كتاب « في الميزان الجديد »

الفني شعرا او نثرا ولو لبعض الوقت ليعرف حاجات النفس الانسانية حين تتهيأ للخلق .
وبعد ، فاني احب ان اهتمس للباحث الفاضل بان الطريقة التي كتب بها مقاله هذا لم تكن الطريقة التي يجمل بطالب نابه ان يتحدث بها عن اساتذته الكبار أمثال الدكتور مندور ، وان من أملى عليه تلك الالفاظ الجارحة او نصحه بها لم يكن بناصح ولا أمين ..

ملك عبد العزيز

القاهرة

الى السيد عادل الهاشمي

بقلم محيي الدين محمد

في مقالك تناقض هام احب ان الفت اليه النظر :

تقول : « واخيرا ، هل من الكرامة والعزة في شيء ان نقول ونردد - ونحن امة العدالة والحرية في الفكر والحكم - اننا لم نتنسم اريج حرية الفكر منذ الفتي عام .. ؟ ان من يقول ذلك مفتخر الى دليل . وما لمسنا دليلا . اما الدلالة على تمتع امتنا بحرية الفكر فتفوق الحصر وتمتد اسفار التاريخ .. » (انتهى قولك) .

وذلك يعني ان الامة العربية كانت وما زالت مجتمعا حر العقيدة مفتوحا للنقد والنقاش ، وطرح الاراء العقلية او الملحدة وغير الملحدة ، وان انعدام الشهداء كان بسبب من وجود حرية الفكر .

ثم تقول : « وعلى مدى العصور ، وفي عصرنا الحاضر شهداء لنا كثر في سبيل حرية الفكر وابطال مناضلون .. » (انتهى ..)
وذلك يعني ان الامة العربية كانت سجننا طويل الامد للمفكرين الاحرار والملاحدة . اي كان هناك شهداء فكر اضهدتهم الدولة الاسلامية وعاقبتهم وعذبتهم ، وذلك يؤكد عدم وجود حرية فكر ..

فاي القولين - من فضلك - تريد ان تثبت ، لنستطيع محاجاتك ؟؟
وشيء اخر : ان اجلوه نهائيا بالنسبة لك وبالنسبة للسيد احمد صدقي الدجاني ، ومن يشايحكما الرأي ، ويحب ان يطلق علي اوصافا مسلية للغاية ..

ان حضارتنا الشرقية كانطلاقة ، كانت موجودة بتأثير التيار العقلي اليوناني ، ثم همدت لظروف متعددة اهمها ان الذهن الشرقي لم يتحول كلية وجذريا من تيار الزهد والاسطورية الى التسليم بالواقع الرياضي والعلمي الحقيقي . بل كان تطوره قمميا ، ولم تكن اساسه القاعدية في اعم اشكالها واوسعها .. نحن نعلم ان العرب عرفوا الكيمياء والفلك والجبر وحساب المثلثات ، ولكن منطق الحقيقة والانصاف يجعلنا نقول ان حركة الترجمة عن اليونانية هي التي حولت الذهن العربي هذا التحويل الى العلم ، ويكفي ان نورد مقالا صغيرا على ذلك ببعض الكتب التي ترجمت : الفيزيكا لارسطو . رفع الاثقال لايرون . الآلات المصونة على بعد سنين ميلاموريس . هيردس الصغير في الآلات الحربية . قنزينيوس وهيرودن الاسكندر في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه . هذا عدا كتب الموسيقى والاصوات والفلك والرياضيات التي ترجمت بأكملها ، بل ان الدستور العلمي ذا الاحكام التسعة الذي وضعه (اخوان الصفاء) الذين تستشهد بهم - ليس الا النص اليوناني للمقولات العشر المسماة (كاتيغورياس) .

لقد كان الذهن العربي احتوائيا وخالفا . ولكن مقدار الخلق فيه كان اضعف بكثير من مقدار المخزون الذي اضيفت اليه مقادير قليلة من

شخصيتنا الذاتية ، وكان ذلك لان العلم كف عن ان يصبح حركة ونيارا ، وصار كهانة واجتهادا . وان القول بان القرآن هو الذي خلق فينا وعينا العقلي ، كلمة جميلة وشعرية للغاية ، تحتاج من الاقتناع المنطقي اكثر مما تحتاج الى التردد البغياني واستيراد جمل من المستشرقين وجوستاف لويون خاصة .

ان الغرب ذكور واناث . والشرق العربي ذكور واناث ، فاذا طالبنا بان ننسبه بهم كبشر تحولوا من عقلية العاطفة الى عقلية الذهن ، فليس من اجل ان تصيح انت والدجاني :

والسلامة !! لقد حل علينا الكفر والبلاء !!

بل من اجل ان يكون تاريخنا الراهن اعظم وانظف واروع من ماضينا القديم .

تقول ان التشريع الاسلامي عقلي . وانا اقول لك انه منسند كان التشريع وكانت اصوله ، وحتى الان ، ما زال العربي فقيرا ومريضا لم يتقدم خطوة واحدة ، ولا تقل لي ان ذلك ليس عيب التشريع وانه عيب المطبقين ، لئلا اقول لك ان النظرية لو عسرت على التطبيق يصبح الخطا فيها اولا قبل كل شيء .. عندما نادى بزرع عقلية العلم والاشتراكية في ارضنا ، لآخون بلادي ولا احب لوجهها الجميل ان يكون نسخة من انكلترا او فرنسا ، بل احب قبل كل شيء ان استفيد من خبرات الغرب التكنولوجية في القفز بمستوى المعيشة في وطني الى مستوى الغربي واحسن ..

ولا تنس ان العلم ليس وفقا على امة او وطن او جماعة . انه رموز سحرية انسانية تفتح المغاليق وتكشف الغوامض . لقد نقله الصيني بدون ان يفقد صينيته ، ونقله الروسي بدون ان يفقد روسيته .

ان الحضارة هي بناء يشد ازده الماضي والحاضر والمستقبل . هي مخطط عقلي وهادف . له اصول ومنطق وطريقة ، فاذا اردنا بناء امتنا من جديد وعلى اسس عصرية ، فلن يسعنا ذلك اذا القينا بترائنا في المحيط ، ولن يمكننا ان نتحول الى الغرب كلية لاننا في هذه الحالة معرضون لفقدان وجهنا الروحي الذي تتميز به ، وحضارتنا الخاصة بنا جدا ، واذن فما هي الطريقة المثلى لتحويل ذهننا من واقعه الاسطوري الى واقع علمي ، اذا كانت عودتنا الى ماضينا لاثقف ذلك ؟..

١ - ان النقطة العقلية التي انطلق منها الغرب والشرق كانت الذهن اليوناني .

٢ - انطلق الغرب من تلك النقطة بالذات ووسع فيها الى منتهى حدودها ، وذلك بعد ان جمدت المسيحية لفترة طويلة ذلك النشاط العظيم ..

٣ - سكن الشرق في هذه النقطة مدة (حركة الترجمة وحياء العلم) ثم التفت كلية الى الزهد .

٤ - اذا شئنا ان ننطلق مرة اخرى ، فمن اين تبدأ هذه الانطلاقة ؟ هل من الذهن اليوناني القديم ، ام من تاريخنا العلمي المحول من اليونان ، ام من الغرب مباشرة ؟.. !!

اخشى لو طرحت ردا على هذه المشكلة الهامة للغاية ان يكون مقالي في العدد الممتاز (الادب الثوري) غير ذي موضوع ، لانه الروح التي كتب من اجلها المقال .

اما اولئك الذين اثاروا زوبعة حول مقالي (مشكلة حرية الفكر) ، فاعترف ان واحدا منهم لم يفهم جيدا ، واعذرهم في ذلك ..

محيي الدين محمد

القاهرة

النفس القصصي» وانا افول بان ذلك لا يهمني على الاطلاق ولا اتقيد وانا اعود الى قراءة قصتك من جديد برأي مسبق عن قصص اخرى قد يكون فيها ذلك النفس وقد لا يكون . ولكن هل يحتم وجود ذلك النفس في قصص اخرى وجوده في هذه القصة بالذات ؟ كنت انتظر شواهد على عدم تفهمي وتذوقي القصة وليست شهادة نقاد اخرين وبقصص اخرى شهادة مرضية علمية .

ثم انني ما ازال على رأيي في ان القصة نفتقد ذلك الخط اللامحوظ الذي يربط بين الاثر الفني والقاريء والذي قد يتعذر على الناقد ان يدل عليه . انه شيء يحسه ينقل به ، هذا « الشيء » هو الشعور البدئي الذي يوجه الجمال فيسعى الناقد من بعده الى تحليل عناصره واسبابه ومكامنه . هذا الشيء هو الذي احسه الجاحظ في الشعر حين قال بان الشعر لا يترجم .. واذا ترجم سقط موضع التعجب منه . وهذا الموضع هو الذي عبر عنه فيما بعد نقاد فرنسا بكلمة Ineffable او الذي لا يعبر عنه . وان كنت على يقين بان ما يتطلبه الشعر هو غير متطلبات القصة ، فان شيئا ما يظل يجمع بينهما وهو هذا الشيء الجميل الذي نعجز ان نعبر عنه . واول متطلبات القصة ان توحى ، ان تجذب القاريء ، ان تجعله اسير جوها يتنافس مع ابطالها ويشاركهم حيانه . وهذا ما لم تحققه قصة « النور بالثمن » .

كذلك لست من المؤمنين بان كثرة المناقشات الفكرية والاحداث هي التي تعطي القصة حيوتها ، بل ذلك يضعفها ويقتل الحيوية فيها ، فالعمل في ذلك مقدرة الفنان ، فقد يرتفع بهذه المناقشة الى مستوى رفيع من التصوير والتأثير فيأتي اثره خالدا . ان ذلك متوقف على صدق التجربة والاحساس الفني.

وأسف اشد الاسف لعدم نمكني من فهم واحساس قصة «النور بالثمن»

«النور بالثمن» ايضا ...

بقلم عايدة مطرجي ادريس

فرأت رد الاستاذ سمير نير على نقدي لقصته « النور بالثمن » فرأيت ان اوضح الامور التالية :

يقول ، الاستاذ سمير ان القصة ، كما تبدو من خلال نقدي ، فن يخاطب الذات ، وهي بالتالي متروكة لنفسية القاريء واحاسيسه . وهي في الحقيقة ليست كذلك .

اقر بان القصة ، ككل اثر فني ، نتمتع في فهمها وتذوقها على ذاتية الناقد ومختلف نائراته النفسية . فكما ان القصة ، وهي عمل ابداعي ، ملتصقة اشد الالتصاق بذات الفنان وانطباعاته الذاتية ، كذلك الناقد ، ودوره الابداعي لا يقل عن دور الخلاق ، يتعلق ايضا بذاته . ان عملية النقد عملية انسانية محضة . انها تصدر عن ذات حية ، فالي اي شيء براها تنتج ؟ ليست الى ذات اخرى تتلقاها وتنفعل بها انفعالا قد يتعدى حدود الاحساس ليشمل لذات بمختلف ابعادها الحسية والشعورية والفكرية ؟ من هنا كان العمل الفني - ومنه النقدي - غير العمل العلمي ولذا كانت نتائجه متباينة اشد التباين .

وانا لا انكر بان هنالك فوجد يمكن ان يعتمدها الناقد ، ولكن ليس من الضروري على الاطلاق ان يبقى اسيرا لها . لا شك ان على الناقد ان يتتقف ويطلع على مختلف النظريات وتطبيق تلك النظريات فيهمها . ولكن اذا ما برز امامه الاثر الذي سينقده فيجب ان يكون ذهنه خاليا من كل شيء ، من كل انفعال مسبق او نظرية مستوردة . ان انطباعاته الشخصية وصدى ثقافته ومعلوماته التي صقلت نفسه ومزاجه صقلا اصبحت فيه شيئا لا ينفصل ولا يتجزأ من نفسه هي وحدها التي يجب ان تبقى وان تقيّم . ان الفنان حر في ان يستقي مميته من نفسه ، من احاسيسه وانفعالاته الفكرية ، فلماذا لا يكون الناقد حرا ايضا في تقييم اثره من خلال نفسه هو ؟ ولماذا يطلب القاص ان لا اتمسك بشخصيتي الذاتية وانا انقد قصصه ؟ لعله لم يستطع ان يميز بين ان يحتفظ الناقد بشخصيته وبين ان يكون مجردا . ان التجرد غير اثبات الشخصية . ولو نفينا ابراز التأثير الذاتي لدى الناقد لما تقدم النقد ، ولكانت قواعده نابتة الى اليوم من عهد ارسطو دون زيادة او نقصان ، ولما برزت آصار ادبية كثيرة حكم عليها نفاذ بالعدم ثم اتى نقاد اخرون فوضعوها بين شوامخ الآثار الانسانية . ان الفن مغامرة ، ولعلها اصعب مغامرة يقوم بها الانسان وعليه ان يتحمل نتائج مغامرته تلك . وعلى الناقد ان يتحمل ايضا مسؤولية قوله . ولكن اثبات شخصيته يبقى ضروريا . اننا في عصر يقيم للفرد ولآرائه وزنا . ويجب ان يشمل هذا التقييم مختلف الميادين . ونحن في وضعنا الراهن في اشد الحاجة الى ذلك ، الى التجديد في النقد وطرح الفوالب المسبقة لتجاري الركب الخلاق فلا يبقى النقد مخلفا عن الآثار الادبية نفسها . اما ما قد يلحق الفنان من غبن - وهذا ليس بالغريب - فيمكن ان يرده عن نفسه بالمناقشة الحرة التي تنبع من ضميره . وبهذا التفاعل يبقى ما هو صالح للبقاء ويندثر الفث منه .

ثم انني ارى تناقصا في موقف الاستاذ نير . فهو يشكو من كون الناقد يعتمد على ذاته ولا يتجرد ، ثم يدعوني في نهاية كلمته ان اعود الى قصص له اخرى حكم عليها « كتاب عرب كبار ونقاد بارزون بتوفّر

ثلاث مسرحيات

يباع اليوم

في جميع المكتبات
الروايات الثلاث

المسرحية الني
تعتبر من خير ما

انتجته الادب
المسرحي فسي

العصر الحاضر .

٣٠٠ ص ٣٠٠ ق

الموزعون شركة

فرج الله بيروت

ابراهيم لنگولن في السنوي

مدرسة شيرود

مصنع الجحرية

هوارد لنگولن - صلا كرود

القلب الأرعن

جوسه بازكيه

منشورات الفكر الحرة
بيروت

التي وضعها المؤلف بانها ذات العقدة المنفلشة وليست من نوع القصص ذات العقدة المحكمة . ان وجود العقدة او عدمها لا يجعل من القصة قصة ، وكذلك احكامها او انفلاشها . ان هذه النظرة الى تقسيم العقدة وتقييم القصص على اساسها نظرة « منفلشة » دون ريب !

عائدة مطرجي ادريس

حول «المقدرة السلبية في النقد»

بقلم صادق البكار

قرأت في باب مناقشات « العدد العاشر من الاداب » تعليقا للسيد حسان منير حول نقد القصص للاستاذ صدقي اسماعيل « بعنوان المقدرة السلبية في النقد » . ولقد ادهشني فعلا كون التعليق منقولا برمتيه عن كتاب « مرآة النفس لليونيل تريلينغ ، ترجمة الدكتور سليم سلامه » يبدأ التعليق بعبارة « تتميز القصة الحديثة اليوم بقوة معينة من الادراك الحائق تحولت الى هذا الجزء اللاواعي من الثقافة فجعلته في متناول الفكر الواعي » واصل العبارة كما وردت في « المقدمة ص ١٠ » : « ان الذات العصرية تتميز بقوة معينة من البصيرة الحائقة تحولت الى هذا الجزء اللاواعي من الثقافة فجعلته في متناول الفكر الواعي » . والعبارة التي تلي العبارة الاولى في التعليق : « وقد يظن ان ذلك يعني ان لانعنى القصة الحديثة بالافكار وان القصص المبدع بمنجاة من حكم العقل الصحيح » منقولة عن الكتاب « ص ٤٢ » . والعبارة : « ان الوسيلة الوحيدة لتقوية العقل هي عقد النية على لاشيء وجعل الذهن طريقا عاما لجميع الافكار لالنجبة مختارة » منقولة عن « ص ٤٢ » ايضا . ثم « الامور يجب ان تجري كما تجري في الحياة حيث الكثير منها لايجري قط بذات الاسلوب .. ان الناقد يرى ان القصص كلما توغل في النادر والغريب زداد غموضا وتمتتا » منقولة عن « ص ٩١ » . ويتابع : « قد يكون الحافز على هذا القول استنارة عقلية جديرة بالاحترام الا انه لايسعنا التجاوب معها في هذه الايام ، فنحن نهوى الغريب النادر ، ولا نتجاوب مع المؤلف المبثقل في الادب او لعل علاقتنا بالمبتذل معقدة على الاقل ، فقد نرغب في شيء من عناصر الابتذال في لغة الشعر والادب عموما ، على ان يبلغ حد التطرف والتهويل ، بحيث يخدم كحد اقصى امكانيات الحياة اليومية وبالاختصار نرضى بالمبتذل متى قارب الغريب النادر واندمج فيه » منقولة عن « ص ٩٢ » . ثم : « لقد نمتاز بكونه تحليلا سيكولوجيا للغة ، وهذا اسلوب نافع لولا ان الادب لحظت لاتبوح بسر قوتها الى دراسة لغوية ، لان تلك القوة لاتعتمد على اللغة ، بل على الخيال الادبي . عندما نطالع ... » نقلت عن « ص ٧٨ » . ويتابع « اي شيء يستطيع ان يوضح سلطان هذه اللحظات علينا ؟ بل وحتى عندما نستحسن التعبير اللفظي عن تلك المشاعر لايسعنا ان نعالج لفته بالتحليل لان التعبير انما كان حقيقة ادبية لا منطقا سيكولوجيا » عن « ص ٧٨ » . ثم « ان ميزة فن النقد هي قوته واندفاعه بحيث تتبخر الاشياء البقيضة بسبب قربها من الجمال والحقيقة » عن « ص ٤٣ » . والعبارة الاخيرة في التعليق : « يجب ان يجمع بين حكم الاداب وحكم النوق والجمال » منقولة عن « ص ١١ » . وهناك تراكيب متفرقة نقلت عن الكتاب نفسه ، « ان يظلوا قانعين بنصف المعرفة » « ص ٤٢ » . « تصدم عقل المثقف ... » « ص ٤٤ » الخ ...

وينسب كاتب التعليق مااستشهد به « انهم رجال اذكيا .. عن محاولة لعثور عليها » (الى الهلال ١٩٤٦) والحقيقة ان ذلك قد ورد « ص ٤٣ » . من الكتاب بصيغة المفرد .. وبقيّة التعليق ترداد للتعبير التي وردت في نقد الاستاذ صدقي اسماعيل للقصص . وترداد ايضا لعبارات سالارويه ، فاضل السباعي ، وذكريا تامر . وماذا يبقى للسيد حسان منير ؟ .. لا شيء . ولست بصدد مناقشة الاراء الواردة ، فانها عامة بحيث انه استعملها للقصة في حين استعملها كاتبها الاصلي كمعايير تنطبق على اشياء اخرى . مثلا استبدل كلمة « الذات العصرية » ص ٢٠ ، بكلمة « القصة الحديثة » ، وكلمة « الشعر » في « قد يظن البعض .. الشعر بالافكار » ص ٤٢ ، بكلمة « القصة الحديثة » .. الخ . واحب ان اختتم كلمتي بايضاح ان المقدرة السلبية في النقد تعني رفض التقيد بحكم نهائي ومثال على الاندفاع في نظرية الجدل في بحث المسائل الكبرى « مرآة النفس ص ٤٠ » ولا ادري مدى انطباق ذلك على نقد الاستاذ صدقي الذي يكن القراء لارائه كل احترام وتقدير . هذا واتمنى على الدكتور سهيل ادريس كقارئ يثق « بالاداب » نشر كلمتي هذه ليكون في ذلك تبيان كاف للحقيقة .

صادق البكار

دوما

الأهبال (اصاعدة كلها
تريد أن تصنع كتابي
وتكتب للأمة (المرتبعة
صفحة مرفقة من صفحاته

ولكن كيف تصنع كتابي
كيف نزر على
تحدث (اضخم فطير؟..

الجواب على ذلك
نقدية اليك الدكتور
قسطنطين نزيه
في كتابه (عظيم)

نخى والثاين

أطلبه من جميع المكتبات

دار العلم للملايين

فهرس الأداب العام للسنة السابعة ١٩٥٩

راجع بريد الأداب تحت مادة « بريد » . والقصائد تحت مادة « شعر » . والقصص تحت مادة « قصة » .
والنتاج الجديد تحت مادة « كتاب » . والمناقشات تحت مادة « مناقشة » . والنشاط الثقافي تحت مادة « نشاط » .

١ - فهرست الموضوعات

المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة
أ			ت			رسالة الى مناضل	٨	٤٢
الارهاب الجديد	٤	١	تحية الى الجزائر	١١	١	الرسم من مادة الحياة	٢	٤٥
ازمة البطل المعاصر :			توفيق الحكيم روبا	٩	٦	رموز ترنيمة قديمة	١٢	١٣
القسم الاول : اللوحة الغربية	١١	١٢	ث			رواية « الخندق العميق » :		
القسم الثاني : العربي الثوري المعاصر	١٢	١٣	الثقافة ونهضة الشعوب	٣	٢٢	العمامة تاج العرب !	١٠	٣٠
ازمة المسرح في الاقليم السوري	٥	٥٣	ثورتا تموز	٨	١	س		
الاشتراكية الحرفية	١	٦٣	ج			السام	٧	٣٠
الى البطل القائد عمروش	١٠	٧	الجزء الثاني من « دائرة معارف »			سارتر كما عرفته	٤	١٧
الامير عبد القادر : بطولة شعر	٢	٤١	البستاني	٣	٧	الساعة الخامسة والعشرون	٦	٢٧
انبس النصولي :			جمهورية عربية في الاندلس	١٠	٤٢	ش		
من رواد الوثبة العربية	٣	٢٦	جومييه ونجيب محفوظ	٤	٢٢	النساع القروي من خلال شعره « شعر »	٣	١١
ب			ح			ارجوحة الوهم	٤	٣٣
بحر الرجز في شعرنا المعاصر	٤	١٣	حضارتنا ثورة فكرية	١١	٢١	اسطورة الوفاء	٢	٣٣
البطولة في ادب الاطفال	١	٣٠	حول اوزان الشعر الحر	٧	١٤	اغاني الشعوب	٣	٢٥
البطولة في الادب الشعبي	١	٧	حول البطولة في الادب العربي			اغنية حب للعام الجديد	١	٦٩
البطولة في ادب الاندلس	١	٨٨	بعد ظهور الاسلام	١	١٤	اغنية في النهاية	٩	٥٥
وشمالى افريقيا			حول البطولة وادب الاطفال	١	٣٤	اغنية من الجزائر :		
البطولة في الادب الجاهلي	١	٤٣	حول تاريخنا في اسبانيا	٨	٢٤	العالم والحرية	٥	١٩
البطولة في الادب الجزائري	٤	٣٤	حول الشعر الحر	٦	٥١	اقوال	٢	١٦
البطولة في الادب المسرحي	١	٢٠	حول فوضى الشعر الحديث	٦	٥٥	الى سواد عينين	٩	١٦
البطولة في الرواية العربية الحديثة	١	٢٦	د			الى سواد عينين ثانية	١٢	٤٥
البطولة في الشعر الحديث	١	٣٨	دراسات في القصة العربية :			الى عابر	٢	٤٤
البطولة كما يصورها الادب الجاهلي	١	٤٦	« اشباح ابطال »	٦	٢٢	الى نجمة الغروب	١	٥٥
البطولة منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة	١	٤٧	دراسة ونقد :			الى واحدة	٢	٢٤
بعث	٧	٧٩	مسرحية « الايدي القنرة »	٥	٦	امان يتامى	١٢	٢٦
« بريد »			لسارتر	٨	٣	اوربانتيا	٥	٣٣
اقتراح	٢	٧٩	دريس	١٢	١٩	بادية	٧	١٣
الى الشعراء	١١	٧٩	دفاع عن محمد	٧	٢١	بطولة « اوربنت »	١	٣٦
بيان حقيقة	٢	٧٩	دفاع عن المسيح			بقية اللحن	١٠	٢٩
بين الواقع والامكان	١١	٧٨	ذ			بين عهدين	٥	٢٠
حول الاحرف العربية	٨	٧٩	ذكرى الوحدة	٣	١	النتر الحمر في كركوك	٩	٢٧
رئيف خوري وحرية الفكر	٣	٧٧	ر			تحية المؤنمر من العراق	١	٣٣
الشاهد بدون ماكياج	٢	٧٧	رأى اخر في رواية « الخندق العميق »	٢	١٣	تلك القصيدة	٥	١٥
قصية باسترنالك	٣	٧٦	رسالة الى ابى	٣	١٥	نمر ليال	٣	٣٣
مسابقة القصة القصيرة	١١	٧٩				تموز الذي مر بالامس	٨	٢٨

المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة
بلات بطافات من آسيا	١	٦	للمساء آخر	١	١٢		٧	٥
الجزائر	١	٢٥	لولينا	٨	١٣		٨	٥٥
حتى تشرق الشمس	١٠	٣٢	مادية للقمير	١١	١٧		٩	٧١
الحصاد	٣	٢٩	ماساة	١٠	٣٥		١٠	٦٠
حيناً	٤	٣٠	مدينتي اعياد حب	٣	١٩		١١	٦
الحمد الاسود	١٢	١٨	اللقاء الملون	٣	٤٩		١٢	٣
ذكرى جواد	٤	٨	المدينة والثائر الشجاع	٦	٢٦	فصر في الهواء	٩	٥٠
رجل بلا تاريخ	١١	٢٠	من مفكرة رجل مضيق	١٠	٤٠	القضايا الانسانية في افلام		
الرحيل	١١	١١	الموج التائه	٤	٤٧	شارلي سابلن	٣	٤٢
رسالة الى آسيا	٤	٢٠	الميلاد العشرون	١١	٤١			
رساله من جميلة	٤	١٦	الثاني وريح الرمل	٢	١٠	« قصة »		
رعاة البقر	١٠	١٧	النجم الاخضر وقتيلا الموصل	٦	٤	اسمها المحبة	١٢	٣٤
زهرة في الطريق	٣	٤١	نحن المتعين	١١	٣٤	ابسم يا وجهها المتعب	٢	٥٠
زواج شاعر	٢	٤٩	نحن وجميلة	١	١٨	الابواب المغلفة	٩	٢٩
سبوتنيك !	٩	١٧	نسيان	١	٤٥	اطفال الاخرين	١١	١٨
سشرق الشمس ثانية	٩	٢٠	الهارب	٤	٣٧	اعتراف	١	٧٩
ستمطر السماء بعد حين	١١	٢٧	وانا ايضا اهوى النور	٧	٣٦	الاغنية الزرقاء الخشنة	٦	٢٤
سيمفونية الزحف	٢	١٧	وتحت السماء عرب	١٢	٢٧	السوان	١١	٢٨
السيمفونية والشعر الحديث	٥	٢١	يا بيتنا	٦	٣٧	الانشوطة والعام السابع عشر	٣	٤٥
شارع حسن الاكبر	١٢	٤٣	يا قلب	٧	٣٣	اننا قدرون	٩	١٥
الشعب احلى قصيدة	٨	١٧	يهتر الشارع يا لوركا	١٢	٣٣	اينما كان	١٢	٦
الشمس خلف غيمة الخريف	٢	٤٠				تحت الجسر المعلق	٥	٢٥
الشمس عندي لا تغيب	٣	٤	ص			ثلاث اغنيات للضياع	٦	٣٥
الطائر المغفر	٨	٢٣	صفحات مطوية من ذكريات المحاكم			جندي في بيته	١٢	٥٩
طارق الليل	٩	٣٣	والمحامين في حلب	١	٥٦	الحزن في كل مكان	٨	٤٧
الطريق الشائك	٩	١٤	صيادو الذباب	١	٦٠	الحقد الكبير	٣	٢٠
طفل اعرج في ليلة الميلاد	١	٦٨				خيوط رفيعة	٧	٤٥
قلما	١	٢٨	ط			داروس	٥	٦٥
عام بلا مطر	١٢	٢٣	طريق طوله الف ميل	٥	٣٨	الغضب	٤	٥٥
العدالة الجانية	٧	٢٥				ذكريات	١٢	٥٢
العرجي	٨	٤٠	ظ			الربع الحلال	٨	١٥
العروض العربي بين الكم والارتكاز	٩	٢٢	« ظلام في النهار »	٥	١٦	رجل ضد نفسه	٥	٤٨
العودة من النبع الحالم	٧	٨				سنة رجال تحت الارض(مشرحة)	٢	٢٠
عيد الميلاد في بغداد	١	٢٩	ع			السماك في الحوض	١٢	٤١
العيون	١	٤٩	العربي والحربة	١٢	١٧	الشمس باردة في خط الاستواء	٨	٣٠
الفد الباسم	٣	٦	على هامش العروبة والمذاهب المعاصرة:			صلاة جديدة	٤	٣١
غثوة الى ذات الشرفة	٤	٤٢	التطور الاجتماعي	٣	٩	سهيل الجواد الابيض	٥	٤٤
غثوة وداد لجميلة بوجرد	١	١٩	ف			الصيت والحب	٤	٤٣
غيمة الربيع	٧	٤٨	الفلاح والثورة العربية في الجزائر	١	٥٠	النضوء الرمادي	٦	١٨
الفارس المصلوب	٨	٣٣	في ذكرى الثورتين	٧	١	العالم المسحور	٧	٢٦
فطام	٩	١٩	في الشعر	٨	٢٢	ع تابع لـ س	٣	٣٠
قتيلة السلام الاحمر	٥	٤	في قضايا القومية	٩	١	عدو الشعب (مسرحية)	٨	١٢
قصة من الغاوي	١	٤٢	في قضية الدكتور جيفافو	٢	١٨			٣٤
القصيدة العربية	٦	٣٣				العقاب	٧	٣٤
قصيدة وفنجان قهوة	١٢	١٦	ق			العقل البشري	٧	١٠
قطار الفجر	٥	٤٦	قرات العدد الماضي من الاداب	١	١٠١	العزلة والصاروخ	١	٦١
كلمات انسان معاصر	٦	٤٦				العودة الى البيت	٢	٥٩
لا املك الحياة	١٠	٥٥				العيد	٩	٤٤
لا مفر	٦	١٧				الفضب (مسرحية)	١٠	١٨
						في حي القصبة	١١	٤٢
							٢	٣١

العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال	العدد	الصفحة	المقال
١١	٣٩	فرنقلة للأسفل المتعب	٤	١٠	مرة أخرى في فضية الدكتور جيفافو	٧	١١	فردية في دقيقة
٢	٣٩	كيف يتخلص البطل	٧	٥١	مسرحيات شكسبير في السينما	١	٨٤	المسجد الذي لم ينته بعد
٤	٣٨	مكيدة في غزة (تمثيلية)	٧	١٧	مشكلة حرية الفكر	٣	٥٠	منحدر التل
١٠	١	الميراث	١٢	١	مصارعة التران في السياسة الدولية	١٠	١٠	النور سلطان
١	٧٠	النهر ميت	٩	٣	معرفة التقريبية	٨	٤١	النور بالثمن
١٠	١٢	النور بالثمن	٤	٤	معركة ارناني في الادب الفرنسي	٦	٤٩	هل انت بخير
٣	٣٩	وانمسا	٢	١	معركة العرب معركة الانسانية	٣	٣٩	وداع
١٠	٣٦	دواع	٤	٢٥	معركتنا مع الشيوعية	٧	٣٧	« كتاب »
٤	٧٥	« كتاب »	٤	٢	المعنى العقائدي لقيام الجمهورية العربية المتحدة	٢	٥٢	آراء في قضايا الساعة
٣	٧٧	آراء في قضايا الساعة	٣	٢٣	من احياء الاحتضار	١٢	٤٠	ارزاق
٧	٦٧	ارزاق	٣	٥٨	دراسة في الادب البطولي	١	٧٥	اوقفوا هذا السرطان
١٢	٧٣	اوقفوا هذا السرطان	٣	٦٢	منبر النقد	٥	٣٤	بداية الربيع
١	٧٤	بداية الربيع	٣	٦٤	من مذكرات الضياع	٥	٤٦	التاريخ العربي القديم
٥	٧٤	التاريخ العربي القديم	٣	٦٤	« مناقشة »	٦	٧٢	التربية العملية التطبيقية
٦	٧٤	التربية العملية التطبيقية	٣	٦٤	ابطال بلا دموع	١	٤٥	الثورة الجزائرية
١	٧٣	الثورة الجزائرية	٣	٥٦	الى الاستاذ شرارة	٨	٤٣	خمر الشباب
٨	٤٧	خمر الشباب	٣	٥٣	الى الشاعرة نازك الملائكة	٧	٤٧	ذات الخال
٧	٤٧	ذات الخال	٣	٦٣	الى السيد عادل الهاشمي	٩	٦٨	راحوا كلهم وصباحية مباركة
٩	٦٨	راحوا كلهم وصباحية مباركة	٣	٦٩	امتنا وخيرة الفكر	١٠	٧١	ساق على الانوب
١٠	٧١	ساق على الانوب	٣	٥٩	الانسان العربي ورواية دريس	١٠	٧٨	سواد في بياض
١٠	٧٨	سواد في بياض	٣	٦٩	بين شاعر وشاعرة	٨	٦٩	الشعر والشعراء في السودان
٨	٦٩	الشعر والشعراء في السودان	٣	٥٩	بين الشعر والنقد	١	٧٣	شمروخ
١	٧٣	شمروخ	٣	٦٢	بين الواقع والامكان	٢	٥٧	ظلام في النهار
٢	٥٧	ظلام في النهار	٣	٥٨	تموز .. علوش	١٠	٥٨	العرب الفدراليون بالامبراطورية
١٠	٥٨	العرب الفدراليون بالامبراطورية	٣	٦٢	حدود النقد	٥	٣٧	العثمانية
٥	٣٧	العثمانية	٣	٦٠	حول العروض بين الكم والارتكاز	١٢	٣٨	قصص بلغارية قصيرة
١٢	٣٨	قصص بلغارية قصيرة	٣	٥٩	حول قصة	٧	٥٥	مرشد المعلمين في اصول تدريسي
٧	٥٥	مرشد المعلمين في اصول تدريسي	٣	٦٦	حول قصة « الصيت والحب »	٢	٥٥	العلوم
٢	٥٥	العلوم	٣	٥٤	حول قصة « النور بالثمن »	١٠	٦٩	مع الخالدين
١٠	٦٩	مع الخالدين	٣	٥٧	حول « مدينة بلا قلب »	١٢	٣٦	وحل في جبين الشمس
١٢	٣٦	وحل في جبين الشمس	٣	٥٣	حول المقدرة السلبية في النقد	٦	٣٦	الوعي العقائدي
٦	٣٦	الوعي العقائدي	٣	٦٥	حول معرض الرسم الألماني في دمشق	٣	٥	لبنان والوحدة
٣	٥	لبنان والوحدة	٣	٦٩	الذات غاية الفن الحديث	١٢	٤٤	لماذا انشد الشعر ؟
١٢	٤٤	لماذا انشد الشعر ؟	٣	٥٥	حول منبر النقد	١	١	مؤتمرنا الرابع
١	١	مؤتمرنا الرابع	٣	٦٣	حول نقد الشعر	١	١	المادية الديالكتيكية ونظرتها الى التاريخ
١	١	المادية الديالكتيكية ونظرتها الى التاريخ	٣	٥٨	الشعر العربي ودعاة التجديد	٥	١١	التنبي والقومية العربية
٥	١١	التنبي والقومية العربية	٣	٥٧	« الفصوة الرمادي » والقضية العرفية	١١	٣١	محاولات في فهم التاريخ المعاصر (٢)
١١	٣١	محاولات في فهم التاريخ المعاصر (٢)	٣	٥٨	الفراغ العقائدي تملأه عقيدتنا	٣	٢	مراحل اليقظة العربية الاخيرة
٣	٢	مراحل اليقظة العربية الاخيرة	٣	٥٦	قصيدة « ذكرى جواد »	٢	٢٥	« مدينة بلا قلب » بين الشعر والحياة
٢	٢٥	« مدينة بلا قلب » بين الشعر والحياة	٣	٥٨	الكاتب بين قواعد اللغة وقيم الحرية	٦	٣٨	« مدينة بلا قلب » فوستاليجا عتيقة
٦	٣٨	« مدينة بلا قلب » فوستاليجا عتيقة	٣	٥٨	المقدرة السلبية في النقد	١٢	٢٤	مذكرات فتاة رصينة
١٢	٢٤	مذكرات فتاة رصينة	٣	٦٠	« منبر النقد » والدكتور جيفافو	١١	٥٧	هل هذا شعر ؟
			٣	٦٥	« النور بالثمن » ايضا			
			٣	٥٧	هل هذا شعر ؟			

٢ - فهرست الكتاب

الكتاب	العدد	الصفحة	الكتاب	العدد	الصفحة	الكتاب	العدد	الصفحة
١			البكار - صادق	١٢	٦٦	حمودي - باسم عبد الحميد	٢	٥٢
« الآداب »	١	١	بني المرجة - موفق	١٠	٧١	حوراني - يوسف	٣	٧٧
ابرهات - رينشارد	١١	١	البوعناني - محمد	١٢	٢٧	حيدر - محمد	٨	٤٥
ابسن - هنريك	١٢	٤٤	البياني - حسن	١	٢٨		٣	٣٠
ابراهيم - احمد ابو بكر	٨	١٨	البياني - عبد الوهاب	٢	١٦		٥	١٦
ابن عيسى - حنفي	٩	٣٤	البيك - عبد الرحمن	١	٦١		٦	٢٢
ابو ديب - كمال	٦	٣٠		٥	٤٨		٧	٢٦
ابوشنب - عادل	١٢	٣١	ت	١٢	٤٦	خ		
ابو فاضل - هنري	٥	٦٩	تامر - زكريا	٢	٥٠	خالص - الدكتور صلاح	١	١٤
ادريس - الدكتور سهيل	١	٣٧		٥	٤٤	الخطيب - احمد	٢	٤١
	٢	٢		٦	٣٤	الخطيب - يوسف	١	١٠٤
	٢	١		٨	٤١	الخوري - خليل	١	٦٠
	٢	١		١١	٣٩		٣	٣٣
	٢	١	تنير - سمير	٣	٤٥		٥	٣٣
	٢	١		٩	٥٦		٥	٦٤
	٧	١٠		١١	٥٩		١٠	٤٠
	٨	١					١١	٣٤
	٨	٣	ج				١٢	٤٥
	٩	٦	جرجوس - ميشيل	٧	٥٧	خوري - رفيف	١	٣٤
	١١	٦	الجندي - علي	١٢	١٨		٢	١٨
ادريس - عائدة مطرجي	٩	١٥	الجمالي - حافظ	١	١٠١		٣	٧
	١٠	٦٤	الجيار - محمد	١	٦٨		٤	١٠
	١٢	٦٥		٥	٤٦	الخوري - رفيق	٩	٢٧
الادبي - الفت عمر باشا	٣	٢٠		٦	٤٦	خيريك - كمال	٢	٥٧
الاسد - الدكتور ناصر الدين	١	٤٣	الجيوسي - سلمي الخضراء	٢	٧٣	د		
اسماعيل - صديقي	١	١٠٢		٣	٤	الدجاني - احمد صديقي	٨	٦٤
	٥	٧٠		٤	١٣	لوفوفوار - سيمون	٤	١٧
	٦	٣٦		٤	٦٥	لوموباسان - غي	٤	٥٥
	٩	٧١		٥	٥٧	د		
	١١	٩		٦	١٣	الراس - شريف	٣	٣٩
الاكوع - اسماعيل	٥	٣٤		٧	٨		٤	٣٨
الكسان - جان	٣	٥٠		١١	١١	دجي - جورج	٥	٥٣
	٤	٣١	ح				٦	٣٣
	٨	٣٠	الحاج - الدكتور كمال	٣	٢٢	رشيد - هارون هاشم	١٠	٦٤
الامين - فضل	١٠	٥٨	حاوي - خليل	١	٢٥		١	٤٢
انتينا - فايزة مملوف	١١	٥٧		٢	١٠	رفاعية - ياسين	٨	٢٣
اوريانو - جانين	٢	٢٢	حجازي - احمد عبد المظي	١	٤٩		٦	٤٩
ايوب - كامل	٨	٣		٤	٣٠	ز	٨	٤٧
	٩	٣٣	حريق - ايليا	٥	١١	الزعيبي - محمد	٧	٤٧
	١٠	٢٩	الحسن - ظافر	٩	٢٨		١٢	٥٢
ب				١١	٢٠	زكي - فتحي	١٠	٣٦
بحر العلوم - محمد	١	٣٣	حسن - محمد صالح	١٢	٢٦	زنايد - سلامة	٤	٣٣
بنور - علي	٣	٩	الحكيم - عبد الحسن	٢	٥٥	الزبيق - علي	١١	٧٩
	٥	٦٢	الحلاج - مصطفى	١٠	١٨	س		
	٧	٤٥		١١	٤٢	س. ا	٩	١
	١٢	٤١	الحلي - علي	١٠	٦٨	سارويان - وليم	٢	٥٩
البصر - عبد الرزاق	١	٢٦	الحلواني - محمد خير	١١	٣١			
	٦	٥١						

العدد	الصفحة	الكاتب	العدد	الصفحة	الكاتب	العدد	الصفحة	الكاتب
١٣	١٠	المجيلي - الدكتور عبد السلام	١٣	٢	صبيحي - محيي الدين	١٥	٩	سالا رويه
٦	١٢		٢٢	٢		٥٣	٢	السبول - تيسير
٦٢	٨	عندره - اسماعيل	٦٨	٥		٣٥	٦	
١٨	١١	عزام - سميرة	٣٠	٧		٥٦	١	السباعي - فاضل
٦٠	١١	العزير - حسن	٢٢	٨		٤٣	٤	
٢٧	٦	عطفه - سامي	٦٠	١٠		٤٣	٧	
٢٦	٦	علوش - ناجي	٧	١٠		١٥	٨	
٥٦	٦	.	٣٦	١٢	الصدقي - محمد الصالح	٤٣	٧	سرور - ثروت
٢٨	٨		٥٥	٦	صرداوي - موسى	٤٤	٩	
٥٤	٣	علون - عبد العزيز	٢	٣	صعب - الدكتور حسن	٤٢	٣	سعد - فاروق
٧٩	٨	عويضة - عبدالله	٦	٦		٥١	٧	
٤٩	٢	عيسى - ابراهيم عبد الحميد	١٨	٨	صفدي - عصام	٣٤	٤	سعدالله - ابو القاسم
٢٥	٣		٢٤	٩		٥٠	١	سعدني - عثمان
١٢	١	العيسى - سلمان	٥٦	٨	صفدي - مطاع	٢٥	٥	
٤	٥		١٢	١١		٤٣	٨	
٤	٦		١٠	٦	صقر - مورييس	٤٥	٢	سعيد - شاكر حسن
١٣	٧		٢٤	٨	الصوفي - الدكتور خالد	٢٥	٤	
		غ	٤٢	١٠		٢٦	٣	سكاكيني - وداد
٤٥	٨	غريب - روز	١٧	٩	الصوفي - عبد الباسط	٦٧	٥	
٦٧	٣	فصوب - يوسف	١٧	١٠		١٤	٩	سند - كيلاني حسن
٥٨	١١	فطاس - نبيه	١٧	١١		٣٨	١٢	السيد - محمد مهران
			١٦	١٢				
		ف	١٧	٢	الصيفي - اسماعيل مصطفى			ش
٢٠	٤	فارس - محيي الدين	٤١	٣		٨٤	١	الشاروني - يوسف
٤٧	٩		٤٢	٤		٤٩	٢	
٤٠	٢	فتح الباب - حسن	٢١	٥		٥٦	١٠	شاهين - السيد خميس
١٩	٣				ط	٣	٢	شرارة عبد اللطيف
١٦	٤		٥٣	٣	الطائي - عبدالله	٦٩	٤	
١٩	٥		٤٥	١	طوقان - فؤاد	٧٥	١	شعراوي - ابراهيم
٤٨	٧		٣٣	٢		٢٢	٤	شكري - غالي
١١	٣	فلسطين - وديع	١٥	٥		٣٨	٥	
١٨	٩		١٧	٦		٢١	٧	
٤٦	١	فيصل - الدكتور شكري	٩	١٢		٣٤	٨	
		ق	٧٩	١	طويل - نقولا	٥٠	٩	
٦٥	٥	قاسم - حسين			ع	٣٠	١٠	
٦	١	قباي - نزار	٥	٧	عباس - الدكتور احسان	٣٥	١١	
٤	٧		٧٨	١١		١٩	١٢	
١٣	٨		٥٥	١٠	عبد الباقي - مختار	٤٠	٤	شلش - علي
٣٦	١	قربان - نقولا	٦٤	٣	عبد الدائم - الدكتور عبدالله	٢٩	٣	شوشه - فاروق
٣٤	٢	فرقوط - ذوقان	١	٥		٧٣	١	شيبوب - صديق
٥٩	٧	القصيبي - غازي	٣	٩				
١	١٢	القصيبي - عبدالله	٣	١٢				
٢٠	١	القط - الدكتور عبد القادر	٣٣	١٢	عبد الرحمن - جيلي			ص
٢٥	٧	قنصل - زكي	٥٥	١	عبد العزيز - ملك	١٩	١	الصانغ - صادق
٤٠	٨		٢٤	٢		٣٦	٧	صادق - رشدي
٣٥	١٠		٨	٤		١٩	٩	
٦٩	١	فوبدر - فارس	٥٨	٦		٥٥	١١	
٥٥	٤		١٤	٧		٤٣	١٢	
٣٣	٨		٦٨	٩		٣٤	٣	الصالح - خضر عباس
		ك	٦٢	١٢		١	٦	صايغ - الدكتور فايز
٧٦	٣	كشلي - محمد	٥٢	٦	عبدالله - الحساني حسن			
			٢٢	٩				

الكتاب	العدد	الصفحة	الكتاب	العدد	الصفحة	الكتاب	العدد	الصفحة
كنعان - علي	١١	٢٧	المصري - محمد	٢	٤٩	النقاش - رجاء	٢	٢٥
كنفاني - غسان	١٢	٢٣	المصري - محمد	٥	٦٣	النقاش - رجاء	٣	١٥
كول - هيج	٥	٦٠	المصري - محمد	٣	٥	النقاش - الدكتور زكي	٩	١١
ل	١	٦٣	المصري - محمد	٢	٥٩	النقاش - الدكتور زكي	٣	٢٢
لنش - ليونيد	١	٧٩	المصري - محمد	١	١٨	النقاش - عطاء	٤	٤٨
م	١	٧٩	المصري - محمد	٢	٧٨	النقاش - عطاء	٩	٢٩
ماليا - ادواردو	٧	١٠	المصري - محمد	٤	٢	النقاش - فريدة	١٢	٢٤
مسألة - رسمية	٦	٦٣	المصري - محمد	٥	٦	النقاش - فريدة	١	٢٩
مجاهد - مجاهد - م.ع.	٨	١٧	المصري - محمد	٧	١	النقاش - فريدة	٣	٦
مجنوب - محمد الهدي	٩	٢٠	المصري - محمد	١٠	١	النقاش - فريدة	٥	٢٠
الحاسني - الدكتور زكي	١٠	٩	المصري - محمد	١١	٢	النقاش - فريدة	١١	٢١
محمد - محيي الدين	١	٣٨	المصري - محمد	١٢	٤	النقاش - فريدة	١٢	٥٩
	٨	٥٥	المصري - محمد	١	٧٠	النقاش - فريدة	٢	٢٠
	٢	٧٧	المصري - محمد	٢	٥٤	النقاش - فريدة	١	٦٣
	٦	٣٧	المصري - محمد	١٠	٣٢	النقاش - فريدة	٧	٥٨
	٦	٦٧	المصري - محمد	٢	٤٤	النقاش - فريدة	١	٧٢
	٧	١٧	المصري - محمد	٧	٣٣	النقاش - فريدة	٩	٤٦
	٩	٦٩	المصري - محمد	٤	٤٧	النقاش - فريدة	١١	٢٨
	١٢	١٣	المصري - محمد	٩	٥٥	النقاش - فريدة	١	٧
	١٢	٦٤	المصري - محمد	١١	٤١	النقاش - فريدة	١٢	١٧
	٦	٦٧	المصري - محمد	٢	١٢	النقاش - فريدة		
	٧	٣٧	المصري - محمد			النقاش - فريدة		
	١	٨٨	المصري - محمد			النقاش - فريدة		

اشهر العشاق

سلسلة رواية وادب وتاريخ

ابوليز وابلار
باغاني سحر النساء
بودلير في حياته الغرامية
ميسالين الامبراطورة الوثنية
ليدي هاملتن سفيرة الحب
ديك الجن الحب المفترس
كاترين الروسية في احضان الحب
نابوليون وزوجته البولونية
اللورد بيرون عاشق نفسه
بولين بورغيز الشهوة الجامحة
المرأة في حياة ادغار بو
فاغنر والمرأة
المريرة دي بومبادور
مضاجع نابوليون الثالث - جزءان

نشر دار الكشوف، بيروت

دار الطليعة للطباعة والنشر

تقدم

ميثيل عفاق

في كتابه الجديد

في بيل البعث

مفهوم خالديسنت ماكنيه فيلسوف البعث
الذي في شرح فكرة القومسة العنكية وتوضيح
الامس للعقائدية الحركية الانبعاث وتعدد
مكانه المحدث العنكي الجديد.

شفاء السائل لتهديب المسائل

لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

نشره وعلق عليه

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

مدير مجلة « المشرق »

منشورات

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

مجلة الاداب

انتظروا العدد القادم من

عدد ممتاز يصدر في مطلع العام الجديد في موضوع

الادب الثوري!

تحرره نخبة من ادباء الطليعة في الوطن العربي

عدد حافل بالدراسات والقصائد والقصص التي تعبر عن « الحالة الثورية » التي يعيشها
ادبنا العربي المعاصر ويعكس فيها اوضاعنا السياسية والاجتماعية والفكرية الراهنة

احجز نسختك منذ الان
من هذا العدد الفريد الممتاز

صدر حديثاً

هل تحبين رامس

أحدث وأروع رواية

للكاتبة الفرنسية الشهيرة فرانسواز ساغان

ترجمة دقيقة وإخراج رائع علم وقدّم ممتاز

المن ٢٠٠ ق.ل.

منشورات دار الاداب - بيروت ، ص.ب ٤١٢٢

ايتها الطالبة

ايها الطالب

ايها الاسماء والآباء والمعلمون

صدّرت مجلّتك

الزبينة
رسالة

تطلب من جميع المكتبات